بسم الله الرحمن الرحيم



بيضاء من نور

شرح زيارة أمين الله

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢١-١٦٤٠

الموسوي، محمود – مؤلف.

بيضاء من نور: شرح زيارة أمين الله / تأليف السيد محمود الموسوي. -- الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة -- كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث، ٢٠٢١ = ١٤٤٢ للهجرة.

٣١٢ صفحة ؛ ٢٤ سم. -- (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٨٩٢)، (قسم الشؤون الفكرية والثقافية ؛ ٢٧١)، (شعبة الدراسات والبحوث؛ ٢٠١).

يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٢٩٩-٣٠٤).

١. زيارة أمين الله – شرح. ٢. الزيارة – آداب وسلوك. ٣. الأدعية والأوراد (الشيعة الإمامية). أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث. جهة مصدرة. ب. العنوان.

ردمك: ١-١٦-٦٥٥-٩٩٢٢-٩٧٨.

LCC : BP193.1 .M8 2021

تمت الفهرسة في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر



السيّد محمود الموسوي



هوية الكتاب

عنوان الكتاب: بيضاء من نور شرح زيارة أمين الله.

المؤلف: السيد محمود الموسوي.

الناشر: العتبة الحسينية المقدسة.

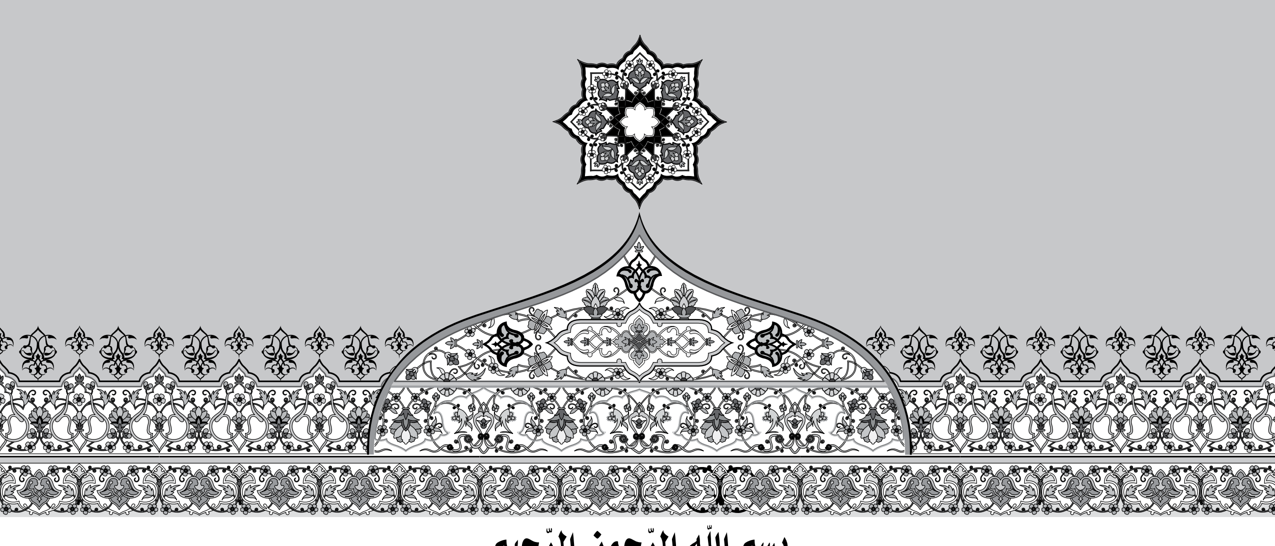
المطبعة: دار الوارث.

عدد النسخ: ٥٠٠.

سنة الطبع: ٢٠٢٢م - ١٤٤٣هـ.

الطبعة: الأولى.

الإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.



بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام عن زيارة أمين الله:

«مَا قال هَذَا الْكَلَامَ وَلَا دَعَا بِهِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا عِنْدَ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، أَوْ عِنْدَ قَبْرِ أَحَد الْأَئِمَّةِ عليهم السلام، إِلَّا رُفِعَ دُعَاؤُهُ فِي دَرَجٍ مِنْ نُورٍ، وَطُبِعَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَكَانَ مَحْفُوظاً كَذَلِكَ حَتَّى يُسَلَّمَ إِلَى قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام، فَيَلْقَى صَاحِبَهُ بِالْبُشْرَى وَالتَّحِيَّةِ وَالْكَرَامَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ».

مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ص ٧٣٩

طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة



الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م

العراق: كربلاء المقدسة ـ العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمة اللّجنة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، السلام عليك يا أمير المؤمنين، وعلى بنيكَ الأتقياء، والصدّيقين، والصالحين، وحسنَ أولئك رفيقًا... وبعدُ...

فتمثّل المنظومة الدعائية للأئمّة المعصومين، من أبدع ما وصل إلى الفقه الشيعيّ، وفكره؛ إذ تمثّل هذه المنظومة - بكلّ أبعادها - الحالة الروحية التي وصل إليها الإمام عليه السلام من علاقة بخالقه الواحد، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى مثّلت هذه الأدعية، والزيارات الحالة العقديّة للأئمّة وما يريد إيصاله من مبادئ وعقائد، وعلوم تستكنه هذا الأدعية.

هذه الأدعية، والزيارات مثّلتْ جانبًا مهمًّا من جوانب التربية الروحيّة والعلميّة من الأئمة لشيعتهم، وهي لسانهم الذي يريدون إيصاله إلى العالم، وهو مدرج العلم ومقداره الذي وصلوا إليه في باب أشرف العلوم وهو علم التوحيد؛ بل إنهم بيّنوا لشيعتهم ومواليهم الأهمية الاجتماعية والآثار النفسية للتوحيد من خلال استشعار الخالق، فلا يعمل عملا إلّا ورأى الله قبله، وفيه، وبعده.

ومن الزيارات المعتبرة - كما ورد عن أعلامنا الأعلام - زيارة (أمين الله)، وسمّيت بهذا الاسم لأنها بدأت به (السلام عليك يا أمين الله...)، وهذا ديدن التسمية في هذه المنظومة الفكرية، كما هو الحال في (زيارة وارث).

وزيارة أمين الله من المرويّات المعتبرة وهي التي قرأها الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام عند قبر جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهي من الزيارات المسندة حيث ذكرت في جميع كتب المزار، وقال عنها العلامة المجلسي رحمه الله إنها أحسن الزيارات متناً وسنداً وأعمها مورداً، وقال المحدث القمي رحمه الله: وينبغي المواظبة عليها في جميع الروضات المقدسة، وهي مروية بأسانيد معتبرة، وردت عن جابر عن الإمام الباقر عن أبيه الإمام زين العابدين عليهما السلام.

وقد تكون التسمية في ظاهرة موجودة، وملحوظة في الدعاء كـ(دعاء العشرات)، و(دعاء السمات)، أو تأتي التسمية نسبةً لناقل الدعاء كـ(دعاء كميل)، أو دعاء سلمان(رضوان الله عليهما). أو بسبب حادثةٍ كما هو الحال في زيارة عاشوراء، ودعاء الجوشن، وهكذا، وما شاكلها من عِلل التّسمية.

أمّا زيارة أمين الله فهي تميّزت أنّها تذكر لأمير المؤمنين(عليه السلام)، الرئاسة دون الوراثة، والتراث؛ فالإمام عليه السلام عندما زاره بهذه الزيارة لم يجعل له تراثًا كما هو الحال في الإمام الحسين عليه السلام: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، ووارث نوح، ووارث عيسى، ووارث محمد...»، بينما أمير المؤمنين زاره الإمام من دون وِراثة، ولا تراثٍ يتوسّل به لإثبات عظمته، وبيان فضله؛ فهو أمين الله، وكفى.

ولا شك إن التشرف بالدخول إلى حرم أولياء الله تعالى المعصومين عليهم السلام فيه توفيق عظيم للزائر، إذ يود المحبّ لآل محمد عليهم السلام أن يظهر الحب والود والانتماء لهم بتواضع ومعرفة، فيستوجب مقدّمات ينبغي أن يتمتع بها الزائر.

فحينما يقف أمام ضريح المعصوم عليه السلام متواضعا يستحسن له أن يظهر حبّه بكلمات حسنة، تليق بمقامهم الرفيع وتشتمل على توصيفهم بنحو حسن والصلاة والسلام عليهم وهي من جملة آداب زيارتهم.

فبما أن مقام ومرتبة المعصومين عليهم السلام لا يمكن أن تعرف إلّا من قبل الله تعالى الذي خلقهم عليهم السلام ومن قبلهم بالذات، فإن أفضل الكلمات التي يمكن أن يستخدم الزائر للثناء عليهم هي الكلمات التي وردت عن لسانهم عليهم السلام.

إنّ شأن وعظمة هذه الزيارة رغم قصرها لا تعد ولا تحصى، فإنها تحوي على مضامين عالية ومعاني جليلة وأعماق بعيدة، فلا يمكن الخوض في بحر معانيها إلّا إذا اطلع القارئ على شروح هذه المضامين وما كتب فيها، وبين أيديكم أحد تلك الدراسات التي تختصر هذا الطريق إلى فتح أبواب المعرفة والتلويح إلى بعض آفاقها مع مراعات العمق المعنوي والعرفاني لتلك الكلمات، وقد تناول المؤلف في هذا السفر التعاليم الأساسية لتأهيل الزائر للزيارة وقدم أنموذجا تطبيقيا عمليا للعيش في كتف أهل البيت عليهم السلام من خلال استخراج مادة دراسية من نص الزيارة كمصدر تلهم العقل والنفس، اللّهُمَّ فَاجْعَلْ نَفْسِي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ راضِيةً بِقَضائِكَ مُولَعَةً بِذِكْرِكَ وَدُعائِكَ مُحِبَّةً لِصَفْوَةِ أَوْلِيائِكَ.

نسأل الله تعالى مزيدَ توفيقٍ للمؤلّف، وأن يكون ما عمِل في ميزان حسناته، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من جاء بحبّه، وتناول كأسه الأوفى.

عن اللجنة العلمية

محمد فاضل

مقدّمة المؤلف

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطيبين الطاهرين.

كلّما شعر المرء بالظمأ أسرع الخطى نحو منبع الماء الزلال ليروي عطشه، وكلّما أراد المتعلّم أن يتزوّد من العلم فهو يسعى ناحية أستاذه الذي يعتبره ملهم المعارف، ونحن إذ لم نعش بأبداننا مع أهل البيت عليهم السلام الذين هم مصدر كل نور وخير وهدى، ولم نخالطهم كما خالطهم أصحابهم ومريدوهم ومموالوهم، فعندما تظمأ أنفسنا وتحتاج إلى غيث الإيمان، وتحتاج قلوبنا إلى زاد التقوى، وعندما تتطلع عقولنا لبصائر المعرفة وبيّنات الهدى، فإننا لا نجد أقدامنا إلا وقد انتهت بنا خطواتها إلى العتبات المقدّسة لأهل البيت الأطهار عليهم السلام، قاصدين زيارتهم متفيّئين ظلالهم الوارفة.

فزيارة أهل البيت عليهم السلام أمواتاً كزيارتهم أحياءً، بل إنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، فيسمعون الكلام ويردّون السلام ويتلقّون السؤال، ولكن الله حجب عن أسماعنا كلامهم، وعوّضنا بذلك الإجابة عند قبابهم النوراء، آثاراً لبركاتهم عليهم السلام، وأشعرنا برد عطفهم علينا.

إضافة إلى ذلك، فإن تلك الزيارات هي مدارس خاصة نعيش خلالها دورات العطاء ودروس التربية، ونتزوّد منها جرعات الإيمان، ونستلهم مواقفنا في الحياة، ومن هنا أصبحت الضرورة ملحّة للسعي نحو تسجيل أنفسنا ضمن وفد الزائرين لكل العتبات المقدّسة لأهل البيت عليهم السلام، كي لا نُحرم أسمى عطاء وأروع تربية وأصدق إيمان وأعذب زاد لحياتنا.

ونحن في هذا الكتاب نتناول زيارة أمين الله كمادة دراسية ملهمة للنفس والعقل معاً، تطبيقاً عملياً لمهام الزيارات في المعرفة الدينية، ولنرى كيف يمكن أن نعيش في كنف أهل البيت عليهم السلام ونسكن إلى ظلهم الحاني، ونلتحف رأفتهم الرقيقة.

زيارة أمين الله التي جاءت على لسان الإمام زين العابدين، علي بن الحسين عليهما السلام، هي زيارة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام في الأساس، ولكن يُزار بها كل الأئمة المعصومين في كل العتبات المقدّسة، فهي عنوان الزيارات وجامع مشترك للتواصل مع نور أهل البيت عليهم السلام، ومختصر نوراني لما فصّل في زياراتهم المختلفة، زيارة عظيمة القدر، عالية المضامين، جليلة الرسالة، متينة في سندها ونصّها المبارك، كما عبّر عنها العلماء الأعلام.

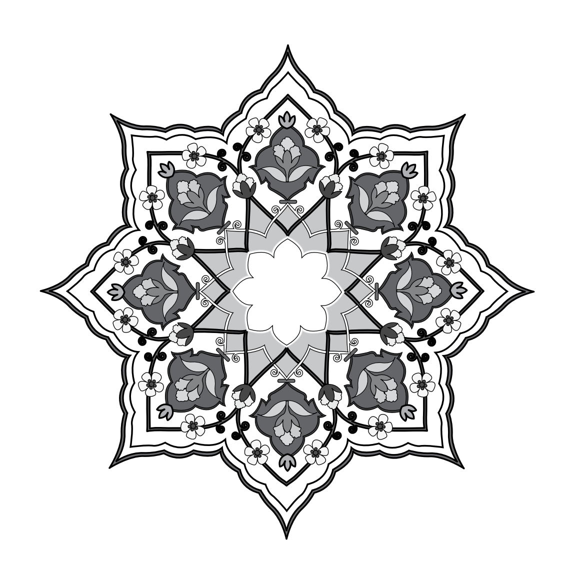
فلنسمح لأنفسنا بالانطلاق مع حروفها النورانية، محلّقين في سماء العظمة مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، راجين أن يكون التطلّع لزيارات أهل البيت عليهم السلام يتنامى في هذا النوع من التعاطي الواعي الملهم، لتعم بركاتهم عليهم السلام أرجاء الأرض وعنان السماء.

ولقد كتبت أصل هذا الشرح وأنا أعيش أياماً عصيبة فترة الاعتقال أول سنة

٢٠١٤م، وقد أنهيته في يوم الخميس الموافق ٦/ ٢/ ٢٠١٤م، وبعد الإفراج قمت بتنضيده وتوثيق مصادره، وطبع في قم المقدّسة عبر مركز الفكر الرسالي للدراسات والأبحاث في شهر شوال من سنة ١٤٣٧للهجرة، الموافق ٢٠١٦للميلاد، إلا أنني أعدت النظر في مختصرات السابق وأضفت بعض التوضيحات والتغييرات، وبعض المطالب الجديدة فيه، ليخرج إلى النور بهذه الحلّة التي بين يديك، راجياً من الله سبحانه وتعالى أن ينظر لهذا الجهد البسيط بالقبول الحسن، وأن يتجاوز عن هفواتي وقصوري، وراجياً من أمير المؤمنين عليه السلام أمين الله على خلقه، أن يؤمنني يوم الفزع الأكبر بشفاعته سلام الله عليه.

محمود الموسوي

البحرين، بني جمرة



منهج الكتاب

الرؤية التي انطلقنا منها في هذا الشرح لزيارة أمين الله، تتلخّص في الوقوف أمام قداسة النص المعصوم من أجل التتلمذ عليه والإفادة منه قدر الإمكان، ومن منطلق أن نصوص أهل البيت عليهم السلام هي نصوص ذات حكمة في البيان، بحيث تتوفّر على رسالة ومضمون أساس جاءت لتحقّقه، وهذا ما يساهم فيه النص في دلالاته بكل تشعباته، ويؤيد مضامينه من بداياته وحتى نهايته، مما يعطي ميزة الترابط الموضوعي بين الفقرات والعبارات.

هذه الرؤية التي تتكئ على أساس حكمة المتكلم، وأن أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن حتى في أسلوب بيانه، والتي تنطلق من رسالية أهل البيت عليهم السلام ودورهم القيادي شديد الذكاء في مختلف ظروف الحياة، تجعلنا ننظر لنصوصهم المباركة نظرة بحثية معمّقة، تبحث عن مجاهيل لا يفيدها الشرح الموضعي الذي يدرس العبارة أو الكلمة مجزوءة عن سياقاتها النصيّة أوالموضوعية أو المقاصدية، ولهذا فإن معالم المنهج المتّبع في هذا الشّرح ملخّص في النقاط التالية:

١- دراسة ماهية المادة الأساس وعنوان النص وما يراد منه في عموم الرؤية الإسلامية، وهي مفردة (الزيارة).

٢- تحرير صلاحية النص من جهة نسبته للمعصوم وما يستتبع ذلك من النظر في صحة صدوره واعتباريته.

٣- دراسة الواقع الذي يحفّ زمن صدور النص وظروفه السياسيّة والاجتماعية

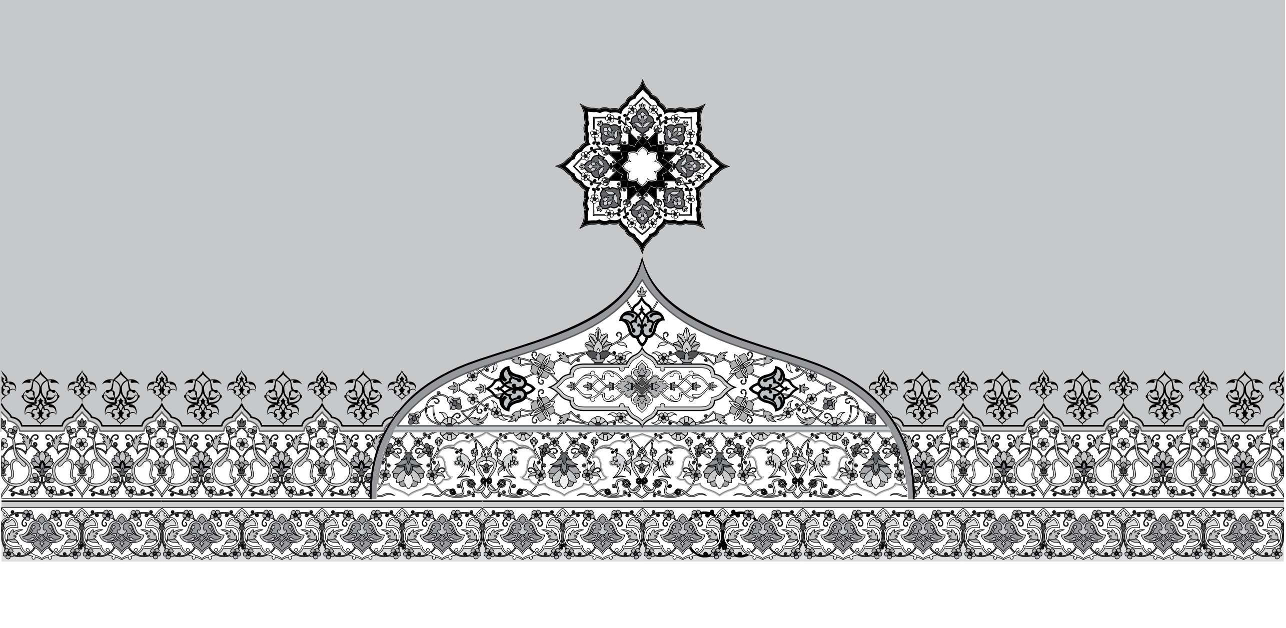
والمعرفيّة، وما يستتبع ذلك من دراسة حدث الزيارة نفسه وظروفه الخاصّة.

٤ – اعتماد التحليل النصّي بما يخدم هدفية النصّ، واستظهار أقسامه، ومحاولة إيجاد الرابط الموضوعي بين الأقسام، بل وبين الفقرات.

٥– شرح العبارات اعتمد على المعاني اللغوية والظلال الموضوعي لها، ضمن سياق النص ورسالته، واستفادة من معطيات الروايات والآيات القرآنية، وذلك من أجل اكتشاف المعنى التركيبي للنصّ، أي معنى الجُمل، وهذا ما يفيدنا في استظهار مراد المتكلم، خلافاً للاعتماد على معاني المفردات، ولأجل المحافظة على هذه الغاية لم نسترسل في بيان المفاهيم وسرد الروايات والآيات الكثيرة، إلا بمقدار توضيحها ومقدار خدمتها لمسار البحث.

٦– بالإضافة إلى أن الشرح سيبرز باقة مفاهيمية في التربية والعقيدة والفكر، لما يقتضيه شرح النص، فهو كذلك سيتضمّن بحوثاً هامة ومميّزة محفوفة بالزيارة، سيجدها القارئ في بدايات الكتاب ونهايته، مثل: (علاقة الزيارة بنصرة الإمام الحجة عليه السلام)، (مراحل تطوّر زيارة أمير المؤمنين عليه السلام)، (احتواء الزيارة على الدعاء)، (مفهوم زيارات الوداع)، (هل يزار كل إمام بزيارة أمين الله، وكيف؟).

وختاماً، فهذه محاولة في طريق فهم كلام أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً في شرح زياراتهم التي هي كنوز معرفية تحتاج من العلماء إلى المزيد من البحوث، خصوصاً ونحن في عصر يمكن أن نسميه عصر الزيارة، لما أحدثته من أثر في المكوّن الشيعي، ثقافة ومجتمعات بل وسياسات.



زيارة المعصومين عليهم السلام مفتاح الخير

زيارة أمير المؤمنين عليه السلام مثالاً

نص زيارة أمين الله[١]

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللهِ فِي أَرْضِهِ[٢]، وَحُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ [السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ]. أَشْهَدُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ، وَعَمِلْتَ بِكِتَابِهِ، وَاتَّبَعْتَ سُنَنَ نَبِيِّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حَتَّى دَعَاكَ اللهُ إِلَى جِوَارِهِ، وَقَبَضَكَ إِلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ، وَأَلْزَمَ أَعْدَاءَكَ الْحُجَّةَ [فِي قَتْلِهِمْ إِيَّاكَ][٣] مَعَ مَا لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَةِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ.

اللَّهُمَّ فَاجْعَلْ نَفْسِي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ، رَاضِيَةً بِقَضَائِكَ، مُولَعَةً بِذِكْرِكَ وَدُعَائِكَ، مُحِبَّةً لِصَفْوَةِ أَوْلِيَائِكَ، مَحْبُوبَةً فِي أَرْضِكَ وَسَمَائِكَ، صَابِرَةً عَلَى نُزُولِ بَلَائِكَ، شَاكِرَةً لِفَوَاضِلِ نَعْمَائِكَ، ذَاكِرَةً لِسَوَابِغِ آلَائِكَ، مُشْتَاقَةً إِلَى فَرْحَةِ لِقَائِكَ، مُتَزَوِّدَةً التَّقْوَى لِيَوْمِ جَزَائِكَ، مُسْتَنَّةً بِسُنَنِ أَوْلِيَائِكَ، [أَنْبِيَائِكَ] مُفَارِقَةً لِأَخْلَاقِ أَعْدَائِكَ، مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيَا بِحَمْدِكَ وَثَنَائِكَ.

ثُمَّ وَضَعَ خَدَّهُ[٤] عَلَى الْقَبْرِ وَقَالَ:

---

(١) كامل الزيارات: حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ، قال: حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ صَدَقَةَ الرَّقِّيُّ، قال: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُوسَى، قال: حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «زَارَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام قَبْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهما السلام ووَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ فَبَكَى ثُمَّ قَالَ:...».

(٢) في العديد من المصادر تبدأ الزيارة بـ(السلام عليك يا أمين الله) وابتدأ بعضها بالسلام عليك يا أمير المؤمنين.

(٣) عبارة (في قتلهم إياك) ليست مذكورة في العديد من المصادر.

(٤) أي الإمام زين العابدين عليه السلام.

اللَّهُمَّ إِنَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتِينَ إِلَيْكَ وَالِهَةٌ، وَسُبُلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْكَ شَارِعَةٌ، وَأَعْلَامَ الْقَاصِدِينَ إِلَيْكَ وَاضِحَةٌ، وَأَفْئِدَةَ الْعَارِفِينَ مِنْكَ فَازِعَةٌ، وَأَصْوَاتَ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ صَاعِدَةٌ، وَأَبْوَابَ الْإِجَابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ، وَدَعْوَةَ مَنْ نَاجَاكَ مُسْتَجَابَةٌ، وَتَوْبَةَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْكَ مَقْبُولَةٌ، وَعَبْرَةَ مَنْ بَكَى مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةٌ، وَالْإِعَانَةَ لِمَنِ اسْتَعَانَ بِكَ مَوْجُودَةٌ، وَالْإِغَاثَةَ لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِكَ مَبْذُولَةٌ، وَعِدَاتِكَ لِعِبَادِكَ مُنْجَزَةٌ، وَزَلَلَ مَنِ اسْتَقَالَكَ مُقَالَةٌ، وَأَعْمَالَ الْعَامِلِينَ لَدَيْكَ مَحْفُوظَةٌ، وَأَرْزَاقَكَ إِلَى الْخَلَائِقِ مِنْ لَدُنْكَ نَازِلَةٌ، وَعَوَائِدَ الْمَزِيدِ لَهُمْ مُتَوَاتِرَةٌ، وَذُنُوبَ الْمُسْتَغْفِرِينَ مَغْفُورَةٌ، وَحَوَائِجَ خَلْقِكَ عِنْدَكَ مَقْضِيَّةٌ، وَجَوَائِزَ السَّائِلِينَ عِنْدَكَ مَوْفُورَةٌ، وَعَوَائِدَ الْمَزِيدِ إِلَيْهِمْ وَاصِلَةٌ، وَمَوَائِدَ الْمُسْتَطْعِمِينَ مُعَدَّةٌ، وَمَنَاهِلَ الظِّمَاءِ لَدَيْكَ مُتْرَعَةٌ، اللَّهُمَّ فَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وَاقْبَلْ ثَنَائِي، وَأَعْطِنِي رَجَائِي [جَزَائِي]، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَوْلِيَائِي، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إِنَّكَ وَلِيُّ نَعْمَائِي، وَمُنْتَهَى رَجَائِي، وَغَايَةُ مُنَايَ، فِي مُنْقَلَبِي وَمَثْوَايَ، أَنْتَ إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، اغْفِرْ لِي وَلِأَوْلِيَائِنَا، وَكُفَّ عَنَّا أَعْدَاءَنَا، وَاشْغَلْهُمْ عَنْ أَذَانَا، وَأَظْهِرْ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَاجْعَلْهَا الْعُلْيَا، وَأَدْحِضْ كَلِمَةَ الْبَاطِلِ وَاجْعَلْهَا السُّفْلَى - إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(1).

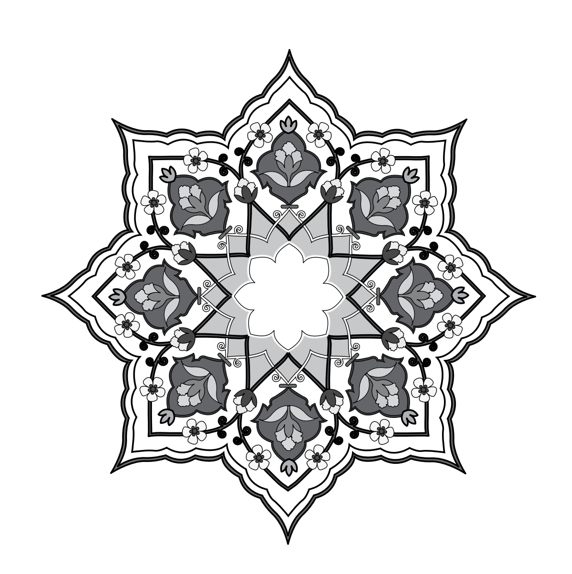
وقد روى ابن طاووس في الإقبال هذه الزيادة:

قَالَ جَابِرٌ، قال: لِيَ الْبَاقِرُ عليه السلام: «**مَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا دَعَا بِهِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا عِنْدَ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَوْ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام، إِلَّا رُفِعَ دُعَاؤُهُ فِي دَرَجٍ مِنْ نُورٍ، وَطُبِعَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَكَانَ مَحْفُوظاً كَذَلِكَ حَتَّى يُسَلَّمَ إِلَى قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام فَيَلْقَى صَاحِبَهُ بِالْبُشْرَى وَالتَّحِيَّةِ وَالْكَرَامَةِ إِنْ شَاءَ الله**».

---

(١) كامل الزيارات، ص: ٤٠.

قال: جَابِرٌ: حَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عَبْدِ الله جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَقَالَ لِي: «**زِدْ فِيهِ إِذَا وَدَّعْتَ أَحَداً مِنْهُمْ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِمَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، أَسْتَوْدِعُكَ اللهَّ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله، آمَنَّا بِالرَّسُولِ وَبِمَا جِئْتُمْ بِهِ، وَبِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَتِي وَلِيِّكَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي ثَوَابَ مَزَارِهِ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُ، وَيَسِّرْ لَنَا الْعَوْدَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ الله**»[1].



(١) إقبال الأعمال، ابن طاووس، ج١، ص٤٧٠.

زيارة المعصومين عليهم السلام مفتاح التربية

للتعرّف على مفتاح التغيير من خلال زيارة المعصومين عليهم السلام، علينا أن نلقي الضوء في البدء على شيء من التعريف بالزيارة كمفهوم، ثم نرتقي لنتعرف على الزيارة كأداة للتغيير.

الزيارة في الدلالة اللغوية

أصل الزور في اللغة[١] هو الميل والقصد والبعد، فأرض زوراء، أي بعيدة، وزار العراق أي قصدها، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾[٢] أي تميل.

وفي لسان العرب، قال: (وقد تَزاوَرُوا: زارَ بعضُهم بعضاً. والتَّزْوِيرُ: كرامة الزائر وإِكرامُ المَزُورِ لِلزَّائر. أَبو زيد: زَوِّرُوا فلاناً أَي اذْبَحُوا له وأَكرموه. والتَّزْوِيرُ: أَن يكرم المَزُورُ زائِرَه ويَعْرِفَ له حق زيارته، وقال بعضهم: زارَ فلانٌ فلاناً أَي مال إِليه؛ ومنه تَزاوَرَ عنه أَي مال عنه. وقد زَوَّرَ القومُ صاحبهم تَزْوِيراً إِذا أَحسنوا إِليه. وأَزارَهُ: حمله على الزيارة[٣].

---

(١) اقتبسنا هذا القسم من كتابنا (زيارة الإمام الحسين عليه السلام سماتها الربانية وآثارها التربوية).

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٧.

(٣) لسان العرب: مادة زور.

وقال الطريحي في مجمع البحرين: (والزِّيَارَةُ في العرف: قصد المزور إكراماً له وتعظيماً له واستيناساً به)[1].

فالزيارة لغة تختزل معنى الحركة من مكان إلى مكان لما فيه من مسافة اقتضت الميل والقصد، لذا فالزيارة في العرف، تمثل حركة المزور وهو (الإنسان) لأخيه الإنسان وتوجهه إليه، بقصد الإكرام والتعظيم والاستيناس، وهو الأساس في قصد الزيارة، وهذا المعنى العرفي هو تطبيق لما احتوته اللغة.

الزيارة في الاصطلاح

الزيارة المعنية[2] التي نحن بصدد الولوج إلى عالمها الرحيب، هي زيارة القبور، ونحن أمام مستويات عديدة من تطبيقات الزيارة، ومستواها يعتمد على قبر المزور، فحيناً يُزار قبر المسلم كواحد من الأهل والأحباب، أو من عامة المسلمين، وحيناً يزار قبر لأحد الأولياء والصالحين، وحيناً يزار قبر لأحد المعصومين ومن لحق بهم من أبنائهم وأوليائهم، إلا أننا بصدد الحديث عن زيارة المعصومين عليهم السلام كمدخل لتناول نموذج منها في شرح زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

إننا نرى ومن خلال دراسة الروايات ونصوص الزيارات الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، أن الزيارة هي شعيرة دينية تتكوّن من مجموعة نُسك، هذه النسك تمثل أجزاء الزيارة كعمل عبادي متكامل ومدروس، وتعبيرنا بالنسك إنما

---

(١) مجمع البحرين: ج٣، ص٣٢٠.

(٢) اقتبسنا هذا القسم من كتابنا (زيارة الإمام الحسين عليه السلام سماتها الربانية وآثارها التربوية)، وفيه المزيد من التفصيل.

لوروده في النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، ومنها الرواية التي عبّرت بـ(حتى إذا قضى مناسكه) تقصد بذلك المراسيم التي يؤديها الزائر، وهي:

عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ ثُوَيْرِ بْنِ أَبِي فَاخِتَةَ، قال: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «**يَا حُسَيْنُ، مَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ يُرِيدُ زِيَارَةَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، إِنْ كَانَ مَاشِياً كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً، وَمَحَى عَنْهُ سَيِّئَةً، حَتَّى إِذَا صَارَ فِي الْحَائِرِ كَتَبَهُ الله مِنَ الْمُصْلِحِينَ الْمُنْتَجَبِينَ [الْمُفْلِحينَ الْمُنْجِحِينَ]، حَتَّى إِذَا قَضَى مَنَاسِكَهُ، كَتَبَهُ الله مِنَ الْفَائِزِينَ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ الِانْصِرَافَ أَتَاهُ مَلَكٌ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله يُقْرِؤُكَ السَّلَامَ، ويَقُولُ لَكَ اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ، فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَى**»(١).

ويمكننا أن نذكر هذه النسك الأساسية بالتالي:

١- شد الرحال، أو المجيء للقبر الشريف

وشد الرحال هو عبارة عن قصد القبر الشريف والمجيء عنده، كمكان مخصوص، أذِن الله أن يُرفع ويُذكر فيه اسمه، فإننا نجد أن الروايات في أساسها تأمر الموالين بالتوجه نحو القبر، ودعتهم إلى أن يشدّوا رحلهم مسافرين إليها، كما أن لتلك الأسفار وذلك الحضور آداباً، فإن لتلك البقاع خصوصيات وشرفاً امتازت به عن سائر الأمصار والبقاع.

إن الحضور القلبي والتوجّه الرّوحي لزيارة صاحب القبر ما هو إلا أحد المقوّمات التي ترفع الزائر درجات، وتفيض عليه بالبركات كلما عرج بقلبه ناحية المزور واندمج بروحه مع حاله ونوره، وأن الزيارة عن بُعد، بالتوجّه

---

(١) كامل الزيارات: ص١٣٢.

القلبـي ماهـي إلا بديـل لمـن عجز عن الإتيـان إلى البقعـة المباركة، وهـي بديل سريع لمـن يديـم الزيـارة كل يـوم وكل أسـبوع وكل شـهر.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهم السلام قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: مَنْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي كَانَ كَمَنْ هَاجَرَ إِلَيَّ فِي حَيَاتِي، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَابْعَثُوا إِلَيَّ السَّلَامَ، فَإِنَّهُ يَبْلُغُنِي**»[١].

٢- تلاوة نص الزيارة، المشتمل على (السلام، والدعاء، والتوسل)

النص الوارد عن أهل البيت عليهم السلام هو ما يُتلى في رحلة الزيارة تلك، أو يُتلى في حال البعد من أقصى البلاد، كبديل عن قراءته عند القبر الشريف، وقد يُطلق على هذه النصوص (زيارة) تسمية الجزء باسم الكل، لأنها جزء مقوّم للزيارة، وهي التي يتشكل فيها هوية الخطاب الذي يرسم العلاقة بين الزائر والمزور، وهي المحتوية على مكونات (السلام، والدعاء، والتوسل)، ولذا تسمى في خطابات المعصومين في بعض الأحيان بالدعاء.

وقد يُكتفى بأحد هذه المكونات الثلاثة، أو ببعضها، حتى من غير نص وراد عن معصوم، إلا أن النص الوارد هو الأساس، وهو الخطاب الرباني الذي يحمل في طياته عمق المعرفة وأدب اللقاء، والاندماج الروحي السليم مع المزور.

---

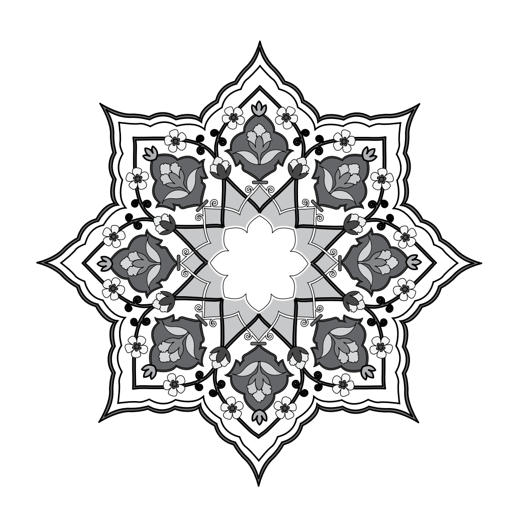
(١) كامل الزيارات: ص١٤.

٣- الصلاة، هدية للمزور

من تمام الزيارة أن يلحق الزائر تلاوته لنص الزيارة بصلاة يهدي ثوابها لصاحب القبر الشريف، كما دلّت عليه الروايات.

وقد يُكتفى بالحضور وتلاوة نص الزيارة أو بالقيام بأحد أركانها الثلاثة (السلام والدعاء والتوسل) دون الصلاة، وقد يُكتفى بتلاوة نص الزيارة دون الحضور، ولكن لا يكتفى في مقام الزيارة بالصلاة عنها[١]، لأن الصلاة هي جزء متمم للزيارة، ويُلحق بها.

فعن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أَنَ رَكْعَتَيِ الزِّيَارَةِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا عِنْدَ كُلِّ قَبْرٍ**»[٢].



(١) يمكن أن يصلي نيابة عن الإمام المعصوم، ولكنها لا تسمى زيارة.

(٢) كامل الزيارات: ص٢٤٠

الزيارة آلة التربية

كل فعل من أفعال المعصومين عليهم السلام وكل قول وتوجيه، لا ينفك عن الأثر الرسالي في بناء الأمة وإصلاح شأنها في مستواه الجمعي والفردي على حدّ سواء، فهم عليهم السلام أنوار الهدى للبشرية، ومحالّ رحمة الله، وموضع إرادته لصياغة البشرية وهدايتها، لذلك فإن توجيهاتهم تنسجم تمام الانسجام مع آيات الهدى ووصفات الشفاء الرباني، وتأسيساً على ذلك فإننا ينبغي أن نتحرّى المنهاج التربوي في كل فعل وقول وتوجيه، بل وفي كل سكون لهم عليهم السلام، وعلينا اكتشاف المفاتيح التي تفتح لنا أبواب الولوج إلى ساحة الرحمة الإلهية، من أجل صياغة الإنسان وفقاً لهدى السماء.

ومن تلك المفاتيح الفاعلة هي زيارات المعصومين عليهم السلام التي حفّز أهل البيت عليهم السلام شيعتهم لشدّ الرحال نحو قبورهم وعتباتهم المقدّسة، التي ترقد فيها أجسادهم الطاهرة، وتحلّق فوقها أرواحهم المطهّرة، وترفرف الملائكة بينها وبين السماء في اتصال لا ينتهي، فإن ذلك التحفيز المتواتر والمتعاظم لهو تحفيز نحو موضع الشفاء، ونحو الغذاء الروحي والعقلي، فلا يزور الزائر قبورهم عليهم السلام عبثاً أو تسلية للنفس، والزيارة ليست مجرّد طلب الشفاعة الأخروية وحسب، وإن كانت الشفاعة هي إحدى أهم مفردات الزيارة وغاياتها الكبيرة؛ لأنها متعلّقة بمستقبل الإنسان في الآخرة، إلا أن هناك سراً عجيباً لا ينبغي إغفاله في توجيه أهل البيت

عليهم السلام لزيارة قبورهم فيما يرتبط برساليتها في الدنيا، وهو سر صياغة الإنسان وتربيته بآلية تربوية جديدة، لم تكن مألوفة لذهن الإنسان من قبل، ولم يعتد مزاولتها في تثقيف نفسه وتزكيتها وصياغتها، حيث اعتاد على طلب التربية والتعليم عبر المثول أمام معلّم ومؤدّب، يستقي منه التوجيه والإرشاد، ولكن هنا، وعندما يقف أمام قبر من قبور أهل بيت النبوة عليهم السلام، فإنه يتلو نصوصاً مدروسة دراسة دقيقة لتناسب كافة القوى البشرية، وتحاكي نوازع ذلك الإنسان المسؤول، فهو يتوجّه فيها لمخاطبة الله تعالى حيناً، ويعطف الحديث فيها مع صاحب القبر حيناً آخر، وهو بذلك يوزّع خطابه المشحون بالمعارف وجرعات الشفاء، بين خالقه وبين وليّه الذي هو حبله الممدود بين السماء والأرض، ليفي بغرض بالغ الأهمية، يأتي مفاعيله عبر تسرّبه إلى أعماق النفس والروح والعقل.

فإن الزائر يقف أمام الضريح الشريف مسلّماً على ساكنه بعبارات الولاء واصفاً إمامه بأعذب العبارات وأقومها، في تحمله للرسالة واستقامته على المنهاج السليم، وتفانيه في تبليغ الحق، ويروي أروع المواقف في الصبر والعطاء والتضحية، التي تحلّى بها إمامه المزور. فالزائر بتلك العبارات التسليميّة إنما تتسامى نفسه لتحلّق نحو تلك الصفات، فمن خلال الإحساس بالتقصير الواقعي يكرّر عبارات العظمة المعصومية، ليسدّ الهوّة بينه وبين إمامه، فيكون ذلك معبراً نحو معدن العظمة، ومحاولة للتقرّب ناحية مصادر النّور، وكاشفاً شيئاً من الحقائق الباهرة.

إن الزائر ينعطف بخطابه لله تعالى عبر نصوص الزيارة، طالباً وصفات الكمال وجرعات الشفاء والإصلاح، ومن يقف أمام ربه تعالى طالباً شيئاً؛ فإن نفسه وروحه تتعلّق بذلك الشيء؛ فتوفّر شروطه وتستعد لاستقباله، ومن هذا الخطاب وذاك، فقد

أمسك الزائر بمفتاح نورانيّ من مفاتيح التغيير والإصلاح النفسي والارتقاء الروحي، بل والتسامي المعرفي.

زيارة أمير المؤمنين عليه السلام منفذ إلى العظمة

شخصية الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام لم تكن خافية على أحد في عظمتها، فهو عليه السلام صاحب شخصيّة ربانيّة فريدة، طالما أعجبت حتى المغايرين له في العقيدة، الذين تعمّدوا إظهار إعجابهم عبر مؤلفاتهم وتصريحاتهم، وقد أولوا الاهتمام الكبير للحفر الفكري في شخصية الإمام عليه السلام، وفي دراسة مواقفه وعرضها للآخرين كأنموذج من أروع نماذج التاريخ البشري نصوعاً، كما كتب الكاتب المسيحي جورج جرداق موسوعته الموسومة بـ(الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة) في خمسة مجلدات، حيث قال فيها: (وبطولات الإمام ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب، فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته للمحروم والمظلوم من الحارم والظالم وتعبده للحق أينما تجلّى له الحق، وهذه البطولات ومهما تقادم بها العهد، لا تزال مقلعاً غنياً نعود إليه، وفي كل يوم كلما اشتدّ بنا الوجد إلى بناء حياة صالحة فاضلة)[1].

إن المتطلع نحو الكمال بأجلى معانيه وأعمق مراداته لابد له أن لا يتخطى الإمام علي عليه السلام، لما مثّله من مكانة في الإسلام بل وفي تاريخ الإنسانية بأكملها، ولما قام به من جهود لا مثيل لها في خدمة الرسالة، ولما تحلّى به من مواصفات الكمال البشري، حيث لم يدع أياً من علامات الكمال إلا وسجل فيها الدرجة النهائية التي لا يمكن أن يرقى لها بشر سوى رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) جورج جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: ج١، ص٢٠.

إن أمـير المؤمنـين عليه السـلام يشـهد لنفسـه بالعظمة عـبر الحقائق التـي لا ريب فيهـا، فهـو عليـه السـلام القائـل: «**أنا من رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه كالعضد مـن المنكـب، وكالـذراع مـن العضـد، وكالكف من الـذراع، ربـاني صغـيراً وآخاني كبـيراً، ولقـد علمتـم أنّي كان لي منـه مجلس سر لا يطلـع عليـه غـيري، وأنّـه أوصى إليّ دون أصحابـه وأهـل بيتـه، ولأقولـن مـا لم أقلـه لأحد قبل هـذا اليوم: سـألته مرة أن يدعـو لي بالمغفـرة، فقـال: أفعـل. ثم قـام فصـلّى، فلما رفع يـده للدعاء اسـتمعت عليـه، فـإذا هو قائـل: اللهم بحـق علي عنـدك، اغفر لعـلي. فقلت: يا رسـول الله، ما هـذا؟ فقـال: أوَ أحـد أكرم منـك عليه؟! فأستشـفع به إليـه**»[1].

وقال عليه السلام: «**عَلَّمَنِي** - رسول الله صلى الله عليه وآله - **أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، فُتِحَ لِي مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَاب**»[2].

وقـد روى الشـيخ الصـدوق (رحمـه الله) في أماليـه، محـاورة سـعيد بـن جبـير مع عبـد الله بـن عبـاس عن فضائل شـخصية الإمام عـلي عليه السـلام، ما بـين فيها ابن عبـاس مـن خـلال معرفته ومعاشرته مـا يحيّر الألبـاب في تلك الفضائـل المتدفّقة من أمـير المؤمنين عليه السـلام.

عن سعيد بن جبير قال: (أتيت عبد الله بن عباس فقلت له: يا ابن عم رسول الله، إنّي جئتك أسألك عن علي بن أبي طالب واختلاف الناس فيه؟ فقال ابن عباس: يا ابن جبير، جئتني تسألني عن خير خلق الله من الأمة بعد محمد نبي الله، جئتني تسألني عن رجل كانت له ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة، وهي ليلة القربة. يا ابن جبير جئتني

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢٠، ص٣١٦.

(٢) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج١، ص٣٤.

تسألني عن وصي رسول الله صلى الله عليه وآله ووزيره وخليفته وصاحب حوضه ولوائه وشفاعته. والذي نفس ابن عباس بيده، لو كانت بحار الدنيا مداداً، والأشجار أقلاماً، وأهلها كتّاباً، فكتبوا مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وفضائله من يوم خلق الله عزّ وجل الدنيا إلى أن يفنيها، ما بلغوا معشار ما آتاه الله تبارك وتعالى)[1].

فشخصية أمير المؤمنين هي الشخصية المثلى التي تُمثّل معدن الحق والعدل والصلاح والإحسان والهدى في صورة بشرية، بل هو مقياس الحق، يلحقه أينما راح وتوجه، فـ«**عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِ وَالْحَقُّ مَعَهُ لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْض**»[2]، كما هي شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله فيه.

وهذا البيان الرسولي لهو بيان العصمة والاستقامة الأبدية في شخصية الإمام علي عليه السلام، فهو والحق كالشخص وظله، وهو والقرآن كترجمان حي في صورة بشرية، وهو والنبي كنفسه التي لا تنفك عنه.

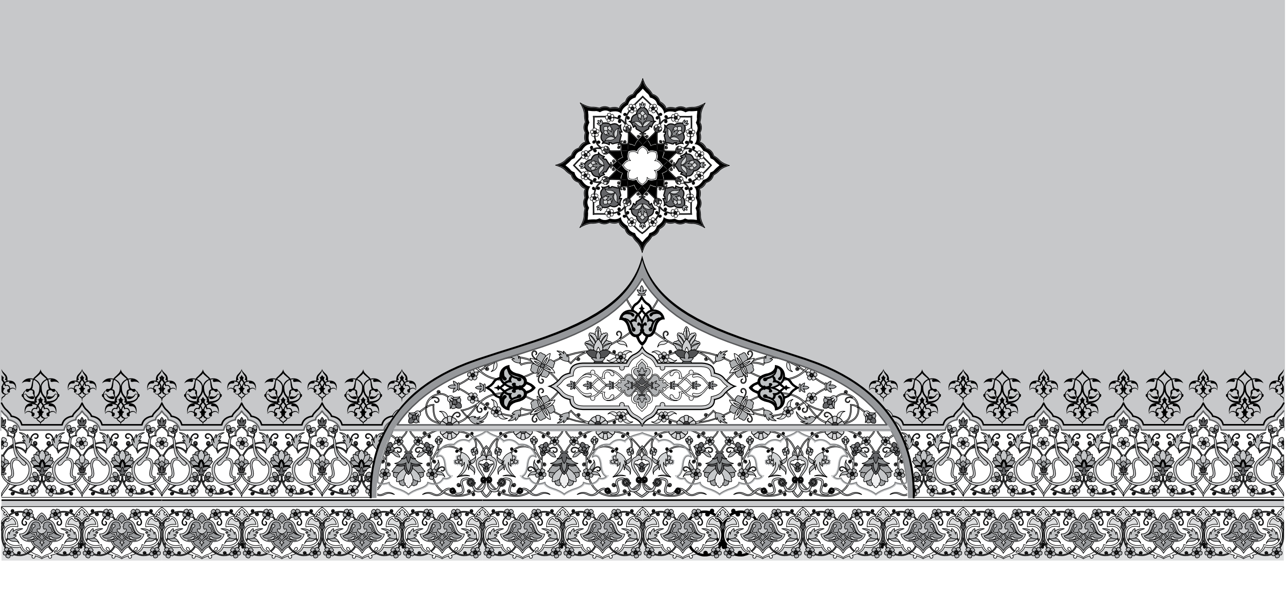
وعندما نضع نصب أعيننا هدف الاقتداء بسيد البشرية الذي يقول: «**أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ**»[3]، فإن زيارته وشدّ الرحال نحو قبره الشريف، لهو مفتاح من مفاتيح هذا الباب الواسع سعة الآفاق، ينفتح منه آلاف الأبواب نحو الحياة الإنسانية في كافة جوانبها الكمالية.

---

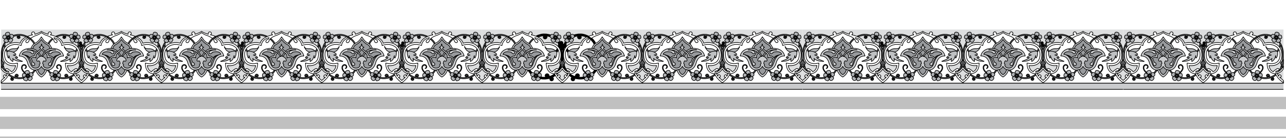
(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٥٥٨.

(٢) المصدر نفسه: ص٨٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٣٣، ص٤٧٤.



البقعة البيضاء التي تلمع نوراً



ثواب زيارته عليه السلام

لقد ورد في الأحاديث الشريفة في ذكر زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في بقعته النوراء موضع قبره الشريف في النجف الأشرف، الفضل الكثير، وذلك تحفيزاً نحو الإمساك بهذا المفتاح التغييري الكبير، كبداية لانطلاقة التغيير في الشخصية، من باب أمير المؤمنين ع ومنفذه، وعن طريق الإمساك بحبله المتين المتصل بين السماء والأرض، وها نحن نذكر بعض هذه الروايات، ليعيش الزائر تائقاً لزيارته، مترقّباً الفضل والخير الكثير من خالقه.

١- روضة من رياض الجنة

ورد في كتاب فرحة الغري: بالإسناد، عن سلامة، قال: حدثنا محمد بن جعفر، عن محمد بن أحمد، عن أبي عبد الله الرازي، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن صفوان، عن أبي أسامة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «**الْكُوفَةُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فِيهَا قَبْرُ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ عليهما السلام، وَقُبُورُ ثَلَاثِمِائَةِ نَبِيٍّ وَسَبْعِينَ نَبِيّاً، وَسِتِّ مِائَةِ وَصِيٍّ، وَقَبْرُ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام**»[١].

تكلّلت روضة الكوفة بصفتها روضة من رياض الجنة بقبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بعد أن كانت محط قبور الأنبياء والأوصياء، ولا شك أن أفضلهم وسيدهم هو الإمام علي عليه السلام، ويبدو أن الإمام الصادق عليه السلام إنّما ذكر وجود قبور

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين عليه السلام في النجف: ص٧٠.

الأنبياء والأوصياء لبيان طيب الأرض التي حل بها جثمان الإمام علي عليه السلام، وذِكره هذا يُفهم منه أن المقصود بالأصالة من ذكر هذه القبور هو قبره الشريف، وذِكره البقية قبل ذلك هو مقدمة وبيان المزيد من شرف تلك البقعة المباركة.

٢- يزوره الله وملائكته وأنبياؤه

ورد في كتاب كامل الزيارات: عن محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى العطار، عن حمدان بن سليمان النيشابوري، عن عبد الله بن محمد اليماني، عن منيع بن الحجاج، عن يونس عن أبي وهب البصري، قال: دخلت المدينة، فأتيت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت: جُعلت فداك، أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**بِئْسَ مَا صَنَعْتَ، لَوْ لَا أَنَّكَ مِنْ شِيعَتِنَا مَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ، أَلَا تَزُورُ مَنْ يَزُورُهُ الله تَعَالَى مَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَيَزُورُهُ الْأَنْبِيَاءُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ [وَ يَزُورُهُ الْمُؤْمِنُونَ]**»؟! قلت: جُعلت فداك، ما علمت ذلك. قال: «**فَاعْلَمْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَفْضَلُ عِنْدَ الله مِنَ الْأَئِمَّةِ كُلِّهِمْ، وَلَهُ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ، وَعَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فُضِّلُوا**»(١).

بالرغم من أنّ أبا وهب البصري قد قصد الإمام المعصوم الشاهد في عصره وهو الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، إلاّ أنّ الإمام أراد أن يبيّن له ولكافة الأجيال بعده، أهمية زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكل مؤمن يعتقد بأهل البيت عليهم السلام أئمة مفترضي الطاعة من الله تعالى، فباعتباره مؤمناً بهم عليهم السلام استحق التوجيه، وإلا لو كان غير ذلك لما استحق من الإمام أن ينظر إليه.

والبيان الثاني للإمام عليه السلام أنّ فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام وعلو

(١) كامل الزيارات: ص٣٨.

منزلتها، هو باعتبار الارتباط بشخصيته من خلال الزيارة، وهو أفضل الأئمة من ولده عليهم السلام، حيث أن له فضل عمله كإمام، إضافة إلى ثواب أعمال سائر الأئمة باعتبار أنهم إشعاعات من نوره سلام الله عليه.

وفي تعبير الإمام (وعلى قدر أعمالهم فضّلوا) فيها إشارة إلى وجود التفاضل بينهم سلام الله عليهم، ولكن من جهة الأعمال، وهذا لا يعني نفي وحدة الفضل التي ذكرتها بعض الروايات، لأنّ وحدة الفضل ناظرة لجهة الحجّية، أي باعتبارهم حججاً على العباد فلهم نورية واحدة، وجوب طاعتهم والإيمان بهم سواء لا فرق بين أولهم وآخرهم، كما قد بين القرآن الكريم هذا الأصل في قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[1]، فلا سنخية أو تفاضل بين الله تعالى وخلقه، حتى لو كان ذلك أعظم خلقه وهو نبيه محمد صلى الله عليه وآله ولا مقارنة به في الفضل، إلاّ أنّه في جانب الطاعة وهو الارتباط بالله تعالى ورسوله من جهة الحجية أصبحت الطاعة بين الله ورسوله سواء، وكذا ما تفرّع من النبي صلى الله عليه وآله من ذريته التي بعضها من بعض في هذا المقام الأسمى.

٣- له الجنة

ورد في كتاب وسائل الشيعة: عن محمد بن محمد المفيد في المقنعة، عن الصادق عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الهل عليه وآله أنّه قال: «**مَنْ زَارَ عَلِيّاً بَعْدَ وَفَاتِهِ فَلَهُ الْجَنَّة**»[2].

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٣٧٩.

إن النبي صلى الله عليه وآله يوجّه المسلمين إلى الارتباط الدائم بأمير المؤمنين عليه السلام، بحيث يشمل حتى زيارة قبره الشريف بعد وفاته، وأن هذه الزيارة لها قيمة عالية وهي الجنة التي يعمل العاملون من أجل الفوز بها في الآخرة. وهنا لفتة جميلة نستفيدها من عبارة النبي صلى الله عليه وآله وهي أنّه، قال: «**من زار علياً بعد وفاته**»، أي أنّ الزيارة بعد الوفاة والتي هي التوجّه نحو قبر المتوفّى، إنّما هي زيارة حقيقية لشخصه، والقبر هو علامة يتصل فيها الزائر بصاحب القبر.

٤- تفتح لزائره أبواب السماء

ورد في كتاب كامل الزيارات: عن محمد بن يعقوب، عن أبي علي الأشعري، عمن ذكره، عن محمد بن سنان، وحدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، قال: حدثني ابن سنان، قال: حدثني المفضل بن عمر، قال: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَقُلْتُ: إِنِّي أَشْتَاقُ إِلَى الْغَرِيِّ. قال: «**فَمَا شَوْقُكَ إِلَيْهِ**»؟ قلت له: إنّي أحب أمير المؤمنين عليه السلام، وأحبّ أن أزوره. قال: «**فَهَلْ تَعْرِفُ فَضْلَ زِيَارَتِهِ**»؟ قلت: لا يابن رسول الله، فعرّفني ذلك. قال: «**إِذَا أَرَدْتَ زِيَارَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَاعْلَمْ أَنَّكَ زَائِرٌ عِظَامَ آدَمَ، وَبَدَنَ نُوحٍ، وَجِسْمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام**». قلت: إنّ آدم هبط بسرنديب في مطلع الشمس، وزعموا أن عظامه في بيت الله الحرام، فكيف صارت عظامه بالكوفة؟

قال عليه السلام: «**إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى نُوحٍ عليه السلام وَهُوَ فِي السَّفِينَةِ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعاً**[1]**، فَطَافَ كَمَا أَوْحَى الله إِلَيْهِ، ثُمَّ نَزَلَ فِي الْمَاءِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، فَاسْتَخْرَجَ تَابُوتاً فِيهِ عِظَامُ آدَمَ، فَحَمَلَ التَّابُوتَ فِي جَوْفِ السَّفِينَةِ حَتَّى طَافَ بِالْبَيْتِ**

(١) أي سبعة أشواط.

مَا شَاءَ الله تَعَالَى أَنْ يَطُوفَ، ثُمَّ وَرَدَ إِلَى بَابِ الْكُوفَةِ فِي وَسَطِ مَسْجِدِهَا، فَفِيهَا قَالَ الله لِلْأَرْضِ: ﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾، فَبَلَعَتْ مَاءَهَا مِنْ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ كَمَا بَدَأَ الْمَاءُ مِنْ مَسْجِدِهَا، وَتَفَرَّقَ الجَمْعُ الَّذِي كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ، فَأَخَذَ نُوحٌ التَّابُوتَ فَدَفَنَهُ بِالْغَرِيِّ وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ الله عَلَيْهِ مُوسى تَكْلِيماً، وَقَدَّسَ عَلَيْهِ عِيسَى تَقْدِيساً، وَاتَّخَذَ عَلَيْهِ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا، وَاتَّخَذَ عَلَيْهِ مُحَمَّداً حَبِيباً، وَجَعَلَهُ لِلنَّبِيِّينَ مَسْكَناً، وَالله مَا سَكَنَ فِيهِ أَحَدٌ بَعْدَ آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ، آدَمَ وَنُوحٍ أَكْرَمُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَإِذَا أَرَدْتَ جَانِبَ النَّجَفِ، فَزُرْ عِظَامَ آدَمَ وبَدَنَ نُوحٍ وَجِسْمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَإِنَّكَ زَائِرٌ الْآبَاءَ الْأَوَّلِينَ وَمُحَمَّداً صلى الله عليه وآله خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَعَلِيّاً سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ، فَإِنَّ زَائِرَهُ تُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ عِنْدَ دَعْوَتِهِ فَلَا تَكُنْ عَنِ الْخَيْرِ نَوَّاماً»(١).

بالرغم من أن شوق المفضّل بن عمر لزيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام كبير، إلاّ أنّ الإمام الصادق عليه السلام يفتح له أبواب المعرفة لبيان فضل ما يقوم به من عمل ونتائج ذلك في الآخرة، وأهمها أن زائر أمير المؤمنين عليه السلام تُفتح له أبواب السماء عند دعوته، وهذه خاصية مهمة، يأمل الداعون في لحظات دعائهم أن يتلقّوا الإجابة، وفي ذلك خير كثير، ينبّه الإمامُ المفضلَ إلى هذا الجانب كي لا يغفل عنه بالنوم أو غيره.

٥- النبي صلى الله عليه وآله يخلصه من ذنوبه

جاء في كتاب كامل الزيارات: عن علي بن الحسين، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن عثمان بن عيسى، عن المعلى بن أبي شهاب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **«قَالَ الْحَسَنُ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله: يَا أَبَتِ، مَا جَزَاءُ مَنْ زَارَكَ؟ قَالَ صلى الله**

(١) كامل الزيارات: ص٣٩.

عليه وآله: **بُنَيَّ، مَنْ زَارَنِي حَيّاً أَوْ مَيِّتاً، أَوْ زَارَ أَبَاكَ، كَانَ حَقّاً عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَزُورَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُخَلِّصَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ**»[١].

لا يفوت النّبي صلى الله عليه وآله دائماً وأبداً أن يذكّر بفضل الإمام علي عليه السلام، ويقرنه بشخصه الشريف، فمع أن سؤال الإمام الحسن عليه السلام عن زيارة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، إلاّ أنّه أردف معها بيان أن زيارة أمير المؤمنين هي موجبة أيضاً للفضل العظيم الذي سيذكره، وهو استحقاق أن يزوره النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة، وليس تلك الزيارة منه صلى الله عليه وآله للاستئناس وحسب، بل هي زيارة في أصعب يوم وهو القيامة المليء بالمصاعب، يوم يتطلّع فيه المرء أن يجوز الصراط دون أن يأخذه الله تعالى بتبعاته وذنوبه ليتجاوز عنه، وهذا ما تحقّقه زيارة النبي صلى الله عليه وآله لزائر أمير المؤمنين عليه السلام، فهو يخلّصه من ذنوبه جميعها، ويجوز مخفاً فائزاً من دون كدر.

٦- ما أتاه مكروب إلا نفّس كربته

ورد في كتاب فرحة الغري: عن محمد، عن عمه، قال: حدثني محمد بن زيد الخزاعي، عن عبيد بن الحسن البزاز، قال: أخبرني حسن بن مغيرة، عن داود بن فرقد، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «**إِنَّ إِلَى جَانِبِ كُوفَانَ لَقَبْراً، مَا أَتَاهُ مَكْرُوبٌ فَصَلَّى عِنْدَهُ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، إِلَّا قَضَى الله حَاجَتَهُ، وَنَفَّسَ كُرْبَتَهُ**». قال: قلت: قبر الحسين عليه السلام؟ قال: فقال برأسه: لا. - فقلت: قبر أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال برأسه: نعم[٢].

(١) كامل الزيارات: ص٣٩.

(٢) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين عليه السلام في النجف: ص٦٩.

لقد ارتبطت زيارة الإمام الحسين عليه السلام بقضاء الحوائج وتنفيس الكربات لكل مهموم ومحزون، وقد كان ذلك راسخاً في وعي المجتمع الشيعي، إضافة إلى أنّ كربلاء موضع قبر الحسين بن علي عليهما السلام يصدق عليها أنها بجانب الكوفة، ولذلك انسبق ذهن داود بن فرقد إلى أن المقصود هو قبر الإمام الحسين عليه السلام عندما ذكر الإمام تلك المواصفات.

إلاّ أنّ الإمام نفى أن يكون قبر الإمام الحسين عليه السلام هو المقصود مشيراً برأسه (لا)، وأكّد برأسه أيضاً أن المقصود هو قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا النفي ليس نفي المعاني المذكورة عن ثبوتها لزائر الإمام الحسين عليه السلام، فقد تواترت الروايات بهذه المعاني، ولكن الإمام أراد أن يحدّد أن ذكره لفضل هذا القبر في هذا الكلام تحديداً هو قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نقرأ من عبارة أنه قال (لا) و(نعم) برأسه الشريف، أي أنّه اكتفى بالإشارة الدالة على النفي والإيجاب كي لا يقرأ أحد أن هناك نفياً مصرحاً به عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فيفهم على غير مراده، والله أعلم.

٧- ثواب الشهداء والغفران

جاء في كتاب الأمالي للشيخ الطوسي: عن محمد بن محمد، قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد رحمه الله، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**مَنْ زَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَارِفاً بِحَقِّهِ، غَيْرَ مُتَجَبِّرٍ، وَلَا مُتَكَبِّرٍ، كَتَبَ الله لَهُ أَجْرَ مِائَةِ أَلْفِ شَهِيدٍ، وَغَفَرَ الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَبُعِثَ**

مِنَ الْآمِنِينَ، وَهُوِّنَ عَلَيْهِ الْحِسَابُ، وَاسْتَقْبَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا انْصَرَفَ شَيَّعَتْهُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَإِنْ مَرِضَ عَادُوهُ، وَإِنْ مَاتَ تَبِعُوهُ بِالاسْتِغْفَارِ إِلَى قَبْرِهِ»(١).

يسوق الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ثواباً عظيماً لمن زار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بينما نجد في روايات أخرى تذكر ثواباً أقل، وهذا راجع في مداه إلى الزائر نفسه، فإن كان عارفاً بحق الإمام في الاعتقاد بإمامته وحقه كإمام منصّب من قبل الله تعالى تجب طاعته على كل الخلق، وعرف فضله وفضائله، مع ما تحلّى به الزائر من صفات ومنها الإخلاص والتواضع والتذلل، ويبتعد عن التجبّر والتكبّر، فإن كان الزائر كذلك استحق من الله تعالى أعظم الثواب وأرقاه، وكلّما زادت معرفته وخلوصه زاد ثوابه، كما أشارت العديد من الروايات بأن العبادة مع المعرفة أفضل عند الله تعالى من العبادة بدونها.

ولبيان الثواب الواسع جهة أخرى، وهي أن الإمام عليه السلام عندما يذكر ثواب الزيارة بحجة أو عمرة على سبيل المثال، فلا يذكره على سبيل الحصر وامتناع الأكثر، بل هو يشير إلى جانب واحد في هذا المقام أو ذاك، وقد يشير إلى مقام آخر في موضع آخر، وهذا استفدناه من بعض الروايات التي يستغرب فيها الراوي الثواب، فيقوم الإمام بذكر الثواب الأكثر ويؤكده للراوي.

٨- لا يزوره إلا الصّدّيقون

جاء في كتاب كامل الزيارات: عن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن شجرة، عن سلام الجعفي، عن عبد الله بن محمد الصنعاني، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله إِذَا**

(١) الأمالي، للطوسي: ص٢١٥.

دَخَلَ الحُسَيْنُ عليه السلام جَذَبَهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمْسِكْهُ، ثُمَّ يَقَعُ عَلَيْهِ فَيُقَبِّلُهُ وَيَبْكِي، يَقُولُ: يَا أَبَتِ، لِمَ تَبْكِي؟ فَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ أُقَبِّلُ مَوْضِعَ السُّيُوفِ مِنْكَ. قَالَ: يَا أَبَتِ، وَأُقْتَلُ؟ قَالَ: إِي وَاللهِ وَأَبُوكَ وَأَخُوكَ وَأَنْتَ. قَالَ: يَا أَبَتِ، فَمَصَارِعُنَا شَتَّى؟ قَالَ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. قَالَ: فَمَنْ يَزُورُنَا مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا يَزُورُنِي وَيَزُورُ أَبَاكَ وَأَخَاكَ وَأَنْتَ إِلَّا الصِّدِّيقُونَ مِنْ أُمَّتِي»[1].

الصّدّيقون المتمحضون بالصدق في الإيمان بالله والولاية الذين قال عنهم الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[2]، هم الذين يعتنون بشدّ الرحال لزيارة النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، لأنهم عرفوا أن زيارتهم هي علامة ولاء وتجديد عهد واستدامة إيمان.

ولعله يتبادر للذهن أن زوراهم كثير حتى من خارج دائرة الولاية، فالواقع مغاير عن مضمون الحديث، إلا أن المقصود يمكن أن يكون (لا يزورني) حق الزيارة والتي يشترط فيها أن يكون عارفاً بحقه معترفاً بموضعيته من الولاية الإلهية، ففي حق غيرهم لا تحسب زيارة أصلاً.

٩- من أتاه ماشياً

ورد في كتاب وسائل الشيعة: عن محمد بن الحسن، بإسناده عن محمد بن أحمد بن داود، عن محمد بن همام، قال: وجدت في كتاب كتبه ببغداد جعفر بن محمد، قال:

---

(١) كامل الزيارات: ص٧٠.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٩.

حدثنا محمد بن الحسن الرازي، عن الحسين بن إسماعيل الصيمري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«مَنْ زَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَاشِياً، كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَجَّةً، وَعُمْرَةً، فَإِنْ رَجَعَ مَاشِياً كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَجَّتَيْنِ وَعُمْرَتَيْنِ»**[1].

إن مرويات أهل البيت عليهم السلام وسلوكهم يبيّن أن المشي في العبادة له زيادة فضل، فأن يختار الزائر طريقه للزيارة مشياً على قدميه، فهذا دليل زيادة اعتبار منه للمزور، وهذه المشقّة منظورة من قبل الله تعالى، فمن سعى نحو ضريحه الطاهر ماشياً بأي مسافة كانت بعُدت أو قصُرت فله بمقدار خطواته التي خطاها حجة وعمرة، ولا يقف الثواب عند هذا الحد، بل أن طريق العودة بعد الانتهاء من الزيارة له فضل وبركات، وهي أكثر مما حسب له في ذهابه، فله بكل خطوة حجيتن وعمرتين، فبركات الله ورحمته تحفّ بالزائر وترعاه من بدء خروجه من منزله وحتى بعد عودته إليه.

١٠- فضل زيارته على زيارة الحسين

جاء في كتاب وسائل الشيعة أيضاً: عن عبد الكريم بن أحمد بن طاووس، في كتاب فرحة الغري، بالإسناد الآتي: عن محمد بن أحمد بن داود، عن محمد بن بكران النقاش، عن الحسين بن محمد المالكي، عن أحمد بن هلال، عن أبي شعيب الخراساني، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أيّما أفضل زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام أو زيارة الحسين عليه السلام؟ قال: **«إِنَّ الْحُسَيْنَ قُتِلَ مَكْرُوباً، فَحَقِيقٌ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا يَأْتِيَهُ مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ الله كَرْبَهُ، وَفَضْلُ زِيَارَةِ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ، كَفَضْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام»**.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٣٨٠.

ثم قال لي: «**أَيْنَ تَسْكُنُ**»؟ قلت: الكوفة.

فقال: «**إِنَّ مَسْجِدَ الْكُوفَةِ بَيْتُ نُوحٍ، لَوْ دَخَلَهُ رَجُلٌ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَكَتَبَ الله لَهُ مِائَةَ مَغْفِرَةٍ، أَمَا إِنَّ فِيهِ دَعْوَةَ نُوحٍ عليه السلام حَيْثُ قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً**». قلت: من عنى بوالديّ؟ قال: «**آدَمَ وَحَوَّاءَ**»[1].

بكل الموروث الروائي الضخم المتوافر عندنا في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام، إلاّ أنّ فضل زيارة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أفضل، لما له من الفضل عليه، كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «**أبي خير منّي**»[2]، وقد ينسبق للذهن ما هي تلك الأفضلية التي تتفوّق على الزيارة التي أرشد أهل البيت عليهم السلام شيعتهم بأن يدمنوها، حتى وضعوا لها مواسم تستوعب سنتهم وكل أيامهم، ليكونوا على اتصال دائم، وهي الزيارة الحسينية، ما لم نره في زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؟

الجواب: إنّ هذا الأمر يحتاج إلى البحث في عدّة جوانب، ولكن نشير مجرد الإشارة بما يناسب المقام، وهو أن التفاضل قد يكون في صورته الأولية، ففضل الزيارة بفضل المزور، وهنا (فضل علي على الحسين عليهما السلام ثابت، فتكون زيارة الأفضل أفضل، كما مر في رواية سابقة. وقد يكون التفاضل بالنظر لواقع مَواطن الزيارة، فيكون التوجيه لمن يزوره القلّة أو لمن لا يعرفه الأكثر، ليتوجّه الناس إليه، كما في زيارة الإمام الرضا عليه السلام وزيارة الإمام الحسين عليه السلام في بعض الأزمنة، فكانت زيارة الرضا عليه السلام أفضل من هذه الجهة.

وقد يكون التفاضل بالنسبة لمستقبل الأمة ونهضتها كما هي في زيارة الإمام الحسين

(١) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٣٨٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣.

عليه السلام المرتبطة بواقعة كربلاء ومعطياتها الأبدية واتصالها بالظهور المقدّس للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فتكون الزيارة بالنسبة لكافة الناس أفضل، مع إضافة فضل استمرارية التعلّق بها لتكون القيم الحسينية حاضرة في وعي الأمة.

كما أن الأفضلية قد تكون في حين آخر ناظرة للخصوصية في الزيارة ذاتها وبجموع ما تعطيه من أبعاد، مثل: (الزيارة، التوسل، المواساة والندبة) وما شابه ذلك.

وهذه الأبعاد بحاجة لأبحاث تأصيلية واستطراد في التوضيح ليس هذا موضعه، نسأل الله أن نوفق إليه فيما يأتي من الزمان.

١١- البقعة البيضاء تلمع نوراً

ورد في كتاب فرحة الغري: ذكر حسن بن الحسين بن طحال المقدادي، أن زين العابدين عليه السلام ورد إلى الكوفة، ودخل مسجدها وبه أبو حمزة الثمالي، وكان من زهاد أهل الكوفة ومشايخها، فصلى ركعتين، قال أبو حمزة: فما سمعت أطيب من لهجته، فدنوت منه لأسمع ما يقول، فسمعته يقول: «**إِلَهِي إِنْ كَانَ قَدْ عَصَيْتُكَ، فَإِنِّي قَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ، الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِكَ مَنّاً مِنْكَ عَلَيَّ، لَا مَنّاً مِنِّي عَلَيْكَ، وَالدُّعَاءُ مَعْرُوفٌ**».

ثم نهض، قال أبو حمزة: فتبعته إلى مناخ الكوفة، فوجدت عبداً أسود معه نجيب وناقة، فقلت: يا أسود، من الرجل؟ فقال: أو تخفى عليك شمائله؟ هو علي بن الحسين. قال أبو حمزة: فأكببت على قدميه أقبلها، فرفع رأسي بيده، وقال: «**لَا يَا أَبَا حَمْزَةَ، إِنَّمَا يَكُونُ السُّجُودُ لله عَزَّ وَجَلَّ**».

قلت: يا ابن رسول الله، ما أقدمك إلينا؟ قَالَ: «**مَا رَأَيْتَ، وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ لَأَتَوْهُ وَلَوْ حَبْواً، هَلْ لَكَ أَنْ تَزُورَ مَعِي قَبْرَ جَدِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام**»؟

قلت: أجل، فسرت في ظل ناقته يحدثني، حتى أتينا الغريين، وهي بقعة بيضاء تلمع نوراً، فنزل عن ناقته ومرغ خديه عليها، وقال: «**يَا أَبَا حَمْزَةَ، هَذَا قَبْرُ جَدِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام**».

ثم زاره بزيارة أولها: السلام على اسم الله الرضي، ونور وجهه المضيء، ثم ودعه ومضى إلى المدينة، ورجعت أنا إلى الكوفة[١].

إنّ كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام «**لو عرف الناس ما فيه من الفضل، لأتوه ولو حبواً**»، تعطينا دلالة على أن فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام فوق ما نعلم بل فوق ما نتصوّر، فمن أنهكه المرض وأقعده عن أداء حاجاته لن يكلّف نفسه بالحبو إلا لأمر شديد الأهمية وفي حال عدم وجود من يعينه عليه، هذا مع العلم أن ما سوف يقوم به قد يكون حبو مسافة بسيطة جداً، فمعرفة فضل زيارة الإمام علي عليه السلام يمكنها أن تقنع المقعد المنهك أن إتيانه من موطنه إلى موضع قبره، ضرورة لابد أن يصل إليها، وهذا تصوير بليغ يلامس الفهم العام لكافة الناس الذين يشعرون بحالة المريض المقعد.

١٢- ثواب زيارته يوم الغدير

قال الكفعمي في مصباح المتهجد: روى محمد بن أبي نصر، قال: كنّا عند الرضا عليه السلام، والمجلس غاصّ بأهله، فتذاكروا يوم الغدير، فأنكره بعض الناس.

(١) فرحة الغري: ص٤٧.

فقال الرِّضَا عليه السلام: «**حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام، قَالَ: إِنَّ يَوْمَ الْغَدِيرِ فِي السَّمَاءِ أَشْهَرُ مِنْهُ فِي الْأَرْضِ**»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، إِلَى أَنْ قَالَ: «**يَا ابْنَ أَبِي نَصْرٍ، أَيْنَ مَا كُنْتَ فَاحْضُرْ يَوْمَ الْغَدِيرِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَإِنَّ الله تَعَالَى يَغْفِرُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَمُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ذُنُوبَ سِتِّينَ سَنَةً، وَيُعْتِقُ مِنَ النَّارِ ضِعْفَ مَا أَعْتَقَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلَيْلَةِ الْفِطْرِ، وَلَدِرْهَمٌ فِيهِ بِأَلْفِ دِرْهَم لِإِخْوَانِكَ الْعَارِفِينَ، فَأَفْضِلْ عَلَى إِخْوَانِكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَسُرَّ فِيهِ كُلَّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ**»(١).

وقد ذُكر للإمام علي عليه السلام زيارات في بعض الأيام المحدّدة، كيوم الجمعة عن بُعد، وهي شاملة لجميع المعصومين، وهي ما ذكرها مصباح المتهجد عن الإمام الصادق عليه السلام، كما أن ابن طاووس ذكر في جمال الأسبوع أن يوم الأحد يوم أمير المؤمنين عليه السلام وذكر زيارة خاصة، برواية عن من شاهد صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو يزوره بها، في اليقظة لا في المنام، وللعلامة المجلسي رأي وهو أن: (الإتيان بالأعمال الحسنة في الأزمان الشريفة، موجب لمزيد المثوبة، فزيارته - أي أمير المؤمنين عليه السلام - في سائر الأيام الشريفة أفضل، لا سيما الأيام التي لها اختصاص به، وظهرت له فيها كرامة وفضيلة ومنقبة: كيوم ولادته، وهو على المشهور ثالث عشر رجب... وليلة مبيته على فراش النبي صلى الله عليه وآله وهي أول ليلة من ربيع الأول... ويوم فتح بدر على يديه، وهو السابع عشر من شهر رمضان... ويوم مواساته في غزوة أحد، وهو سابع عشر شوّال... ويوم فتح خيبر على يديه، وهو السابع والعشرين من رجب)(٢)... إلى آخر تلك الأيام الشريفة.

---

(١) مصباح المتهجد وسلاح المتعبّد، الكفعمي: ج٢، ص٧٣٨.

(٢) بحار الأنوار: ج١٠٠، ص٣٨٣.

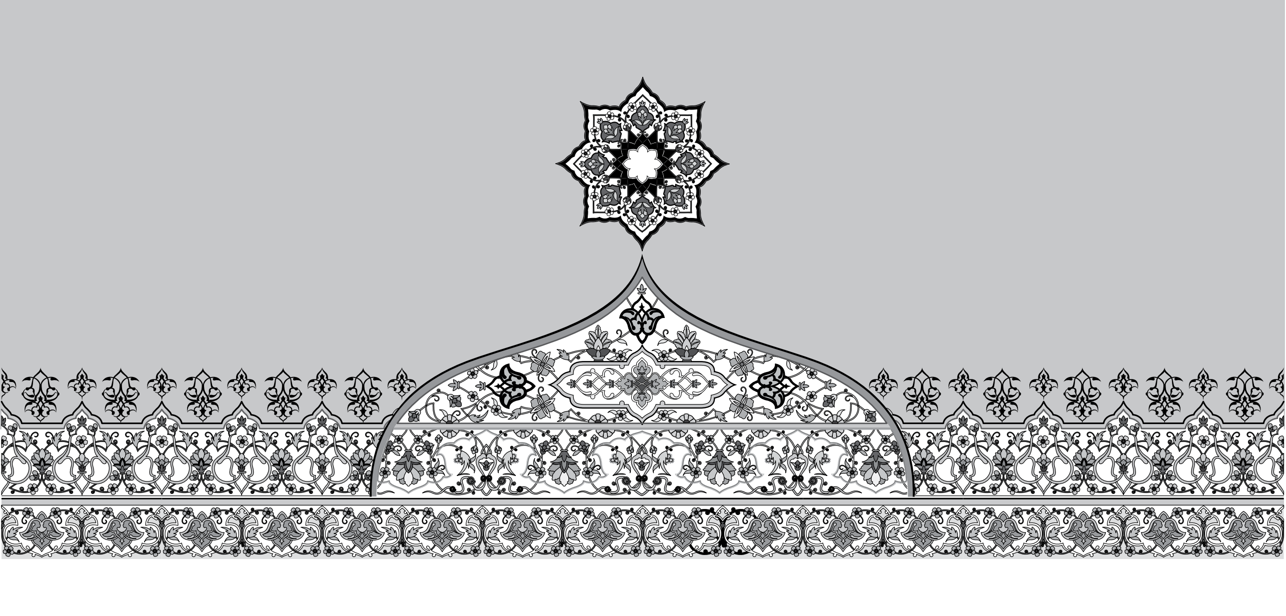
ومن أعظم تلك الأيام هو يوم الغدير عيد الله الأعظم، حيث تتجلّى رحمة الله تعالى في ذلك اليوم لزائريه، حتى أن الله تعالى يعتق فيه ضعف ما يعتق في جميع أيام شهر رمضان، وضعف ما أعتق في ليلة القدر الشريفة، وضعف ما أعتق في ليلة الفطر المباركة، فحري بالمؤمن أن يستبق إلى هذا الخير العميم.

ولعل التعبير بأنه يغفر ذنوب ستين سنة لكل (مؤمن ومؤمنة) وكل (مسلم ومسلمة)، أن الرحمة شاملة لكافة المعتقدين بالولاية من ضعاف الإيمان إلى أقويائه، أو أنها شاملة للمؤمن الموالي وغير الموالي، كما في غفران الذنوب في يوم عرفة في الحج، وهذا ليس ببعيد عن رحمة الله تعالى، فمن جاء قبر أمير المؤمنين عليه السلام متواضعاً غير مستكبر، فالرحمة تشمله، لعله يهتدي بنوره عليه السلام.

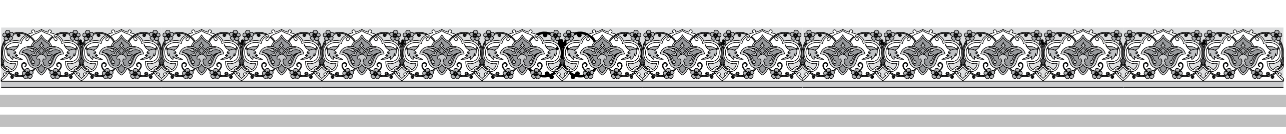
١٣- تارك زيارته

ورد في كتاب المقنعة: عن الإمام الصَّادِقِ عَلَيهِ السّلام أنّه قال: «**مَنْ تَرَكَ زِيَارَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، لَا يَنْظُرُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ**».

إنّ نظر الله تعالى هو عنايته بالمؤمن، سواء في الدنيا عبر التوفيق والتسديد، أو في الآخرة عبر المغفرة وعدم الأخذ بما جنته يداه، فمن يترك زيارة أمير المؤمنين عليه السلام فقد حرم نفسه من النظر الإلهي له.



نفحات الاشتياق إلى حضرة علي عليه السلام



نفحات الاشتياق إلى حضرة علي عليه السلام

كل هذا الثواب، ثواب الشهداء الرفيع يوم القيامة، وثواب الحجّاج والمعتمرين، الذين يخرجون كما ولدتهم أمهاتهم بلا ذنب ولا أثر لزلّة مسجلّة في سجلاتهم، بل وأضعاف ثواب شهر رمضان وليلة القدر، وكذا ما فيها من قضاء الحوائج والشفاء من العاهات، وكل تلك البركات، كلها كي يستجمع الإنسان نفسه، ويتخذ قراره، وينطلق انطلاقة مشوقة ناحية موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يسبقه قلبه إلى حضرة القدس الشريفة، لتعانق روحه قبره المقدّس قبل وصول بدنه إليه، وهناك يبدأ الزائر باستلهام القبس النوراني، ويرفعه مشعلاً ليضيء الحياة التي سربلها الظلام عتمة، وكدّرتها نحوسة الآثام والخطايا، ليبدأ درباً جديداً مضيئاً بضياء الهدى ونور العلم والاستقامة.

بوعي هذا المخطّط الربّاني لزيارة المعصومين عليهم السلام نعرف أن زيارة الإمام علي عليه السلام هي مفتاح فاعل ونافذ من مفاتيح التغيير، الذي تفتح منه أبواب الهدى والصلاح، لكل من لجأ وتمسّك بضريحه الطاهر الماثل على قبره الشريف في ظهر الكوفة في النجف الأشرف.

وتمثلاً لهذه الغاية الكبرى، يقوم الزائر بترتيب أوضاعه وتهيئة ما يلزم تهيئته، كالاستعداد النفسي، والنية الخالصة، والتطهّر والتنظّف والتطيّب، وهي المروية في آداب الزيارة، كل ذلك يمثل استعداداً قلبياً، واستعداداً عملياً، لدخول التجربة التربوية الفذّة.

فهذا هو الإمام الصادق عليه السلام يعلّمنا كيف نُقدم على هذه العبادة العظيمة، فنتهيأ لها، ونقدّم الدعوات المعبّرة عن نيّاتنا ومقاصدنا.

رُوِيَ عَنْ صَفْوَانَ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ تَزُورُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فَقَالَ: «**يَا صَفْوَانُ إِذَا أَرَدْتَ ذَلِكَ، فَاغْتَسِلْ وَالْبَسْ ثَوْبَيْنِ طَاهِرَيْنِ، وَنَلْ شَيْئاً مِنَ الطِّيبِ، فَإِنْ لَمْ تَنَلْ أَجْزَأَكَ، فَإِذَا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَ إِنِّي خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي أَبْغِي فَضْلَكَ، وَأَزُورُ وَصِيَ نَبِيِّكَ، صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمَا، اللَّهُمَّ فَيَسِّرْ لِي ذَلِكَ، وَسَبِّبِ الْمَزَارَ لَهُ، وَاخْلُفْنِي فِي عَاقِبَتِي، وَحُزَانَتِي بِأَحْسَنِ الْخِلَافَةِ، يَا ارْحَمَ الرَّاحِمِينَ**»(١).

إنّ من يبتغي فضل الله تعالى الواسع، فعليه أن يشدّ الرحال إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام زائراً، ويسأل الله أن ييسّر له أموره ويهيئ له الأسباب. ولا يقتصر حصول ذلك الخير العميم على شد الرحال، بل على المؤمن أن يديم زيارته عن بُعدٍ من أي مكان، حيث يتوجّه بقلبه ناحية القبر ويتلو الكلمات النورانية للزيارة المعصومية المباركة، ليحصل على ما يوفق له من خيراتها.

لقد كان من الذين عرفوا سمو وعظمة زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، واستأنسوا بها، هو صفوان بن مهران، الذي لازم قبر أمير المؤمنين عشرين عاماً، يتعبد عنده ويزوره، وصفوان هذا شهدت له كتب الرجال بالتوثيق، وقد نقل عن أهل البيت عليهم السلام بشكل مباشر، فكان أكثر رواياته عن الإمام الصادق عليه السلام، وقد كان في بعض أساليبه في الرواية، أنه يسأل الإمام بتفاصيل الأعمال، يستثمر وجود الإمام لزيادة المعرفة والاستزادة من الفضل، فإذا قال أنه لبث عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام هذه المدة الطويلة، فهذا يعني أنه سمع الكثير ووعى الكثير من الفضل في ذلك.

(١) المزار، للشهيد الأول: ص٣٠.

فقد ورد في كامل الزيارات: عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْضِعِ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، قَالَ: فَوَصَفَ لِي مَوْضِعَهُ حَيْثُ دَكَادِكِ الْمِيلِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَصَلَّيْتُ عِنْدَهُ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام مِنْ قَابِلٍ، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَهَابِي وَصَلَاتِي عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**أَصَبْتَ**». فَمَكَثْتُ عِشْرِينَ سَنَةً أُصَلِّي عِنْدَهُ[1].

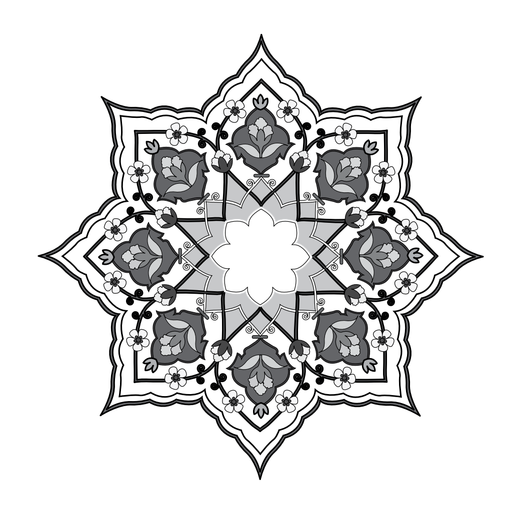
ويروي لنا أبو عامر واعظ الحجاز ما دار بينه وبين الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حول عظمة من يعمر مشهد أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام، وفضل تعاهدها بالزيارة بين حين وآخر، ويقول: (أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام، فَقُلْتُ لَهُ: مَا لِمَنْ زَارَ قَبْرَهُ؟ يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وعَمَرَ تُرْبَتَهُ؟ فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَامِرٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ لَهُ: والله لَتُقْتَلَنَّ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ وتُدْفَنُ بِهَا. قُلْتُ يَا رَسُولَ الله: مَا لِمَنْ زَارَ قُبُورَنَا وعَمَرَهَا وتَعَاهَدَهَا؟ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنَّ الله جَعَلَ قَبْرَكَ وقُبُورَ وُلْدِكَ بِقَاعاً مِنْ بِقَاعِ الْجَنَّةِ، وعَرْصَةً مِنْ عَرَصَاتِهَا، وإِنَّ الله جَعَلَ قُلُوبَ نُجَبَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وصَفْوَةٍ مِنْ عِبَادِهِ تَحِنُّ إِلَيْكُمْ، وتَحْتَمِلُ الْمَذَلَّةَ والْأَذَى فِيكُمْ، فَيَعْمُرُونَ قُبُورَكُمْ ويُكْثِرُونَ زِيَارَتَهَا تَقَرُّباً مِنْهُمْ إِلَى الله، ومَوَدَّةً مِنْهُمْ لِرَسُولِهِ، أُولَئِكَ يَا عَلِيُّ، الْمَخْصُوصُونَ بِشَفَاعَتِي، والْوَارِدُونَ حَوْضِي، وهُمْ زُوَّارِي غَداً فِي الْجَنَّةِ.**

يَا عَلِيُّ، مَنْ عَمَرَ قُبُورَكُمْ وتَعَاهَدَهَا، فَكَأَنَّمَا أَعَانَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَى بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ومَنْ زَارَ قُبُورَكُمْ عَدْلُ ذَلِكَ، لَهُ ثَوَابُ سَبْعِينَ حَجَّةً بَعْدَ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ، وخَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ زِيَارَتِكُمْ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فَأَبْشِرْ وبَشِّرْ أَوْلِيَاءَكَ ومُحِبِّيكَ مِنَ النَّعِيمِ وقُرَّةِ الْعَيْنِ، بِمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ولَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ

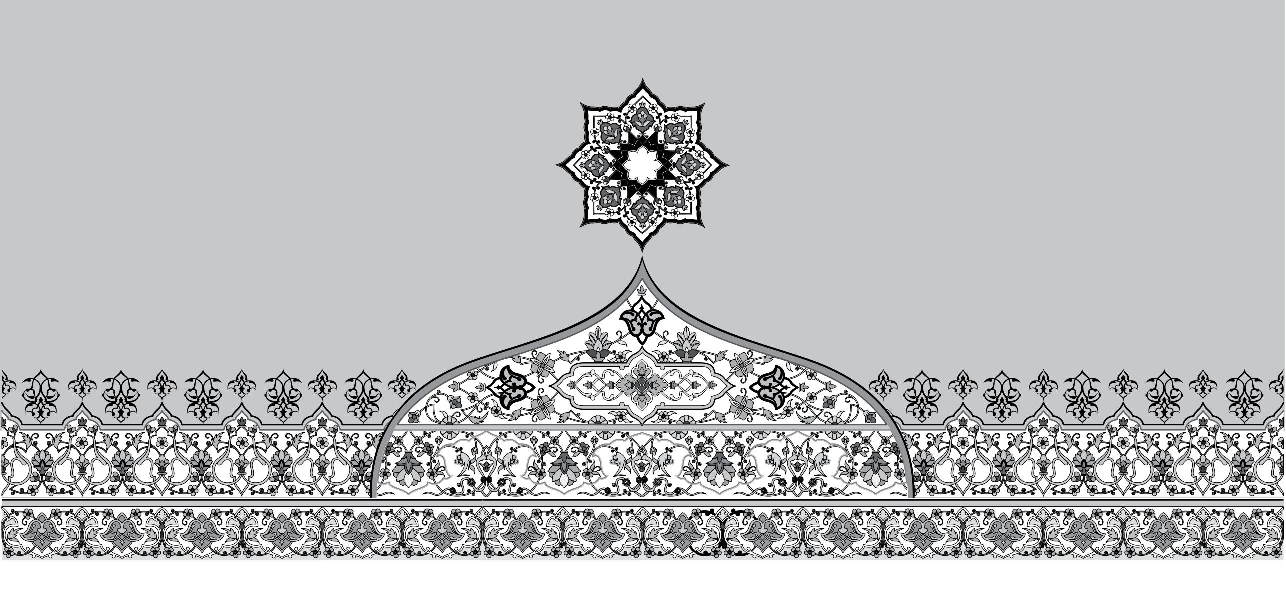
(١) كامل الزيارات: ص٣٧.

بَشَرٍ، ولَكِنْ حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ يُعَيِّرُونَ زُوَّارَ قُبُورِكُمْ بِزِيَارَتِكُمْ، كَمَا تُعَيَّرُ الزَّانِيَةُ بِزِناهَا، أُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي، لَا أَنَالَهُمُ اللهُ شَفَاعَتِي، ولَا يَرِدُونَ حَوْضِي»)[1].

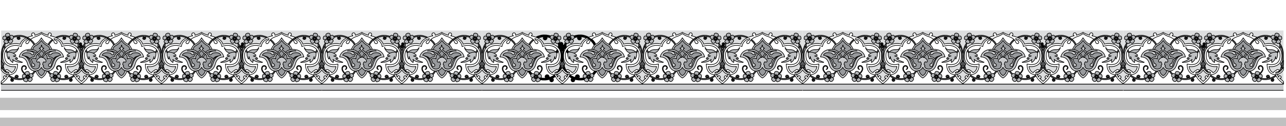
ولكي نثبت الحقائق التي ذكرناها من ناحية علمية وواقعية، فإننا سنقوم بشرح زيارة أمين الله لأمير المؤمنين عليه السلام، لنرى تلك الحقائق جلية أمامنا، وسنمضي بالبحث عن خارطتها النورانية وأهدافها التربوية.



(١) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٣٨٣.



زيارة أمين اللّه خطوات في الطريق إلى اللّه



سير وسلوك في رحاب علي بن أبي طالب عليه السلام

للإمام علي عليه السلام زيارات عديدة، وكلها مشحونة بالمعاني السامية العظيمة التي تأخذ الزائر إلى ساحة أمير المؤمنين عليه السلام، ولمزيد من التأكيد على هذا السر التربوي الكبير، فإننا نستعرض إحدى هذه الزيارات للانتقال من خلالها بأرواحنا لنلامس شيئاً من عظمة شخصية الإمام عليه السلام كي نتقلّد سماته الربانية، ونستلهم درره الثمينة، ونتحلّى بلمعان روحه البرّاقة الفريدة.

وإن كان الزائر لا يمكنه بلوغ المعرفة الحقّة لشخصية أمير المؤمنين عليه السلام، كما قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «**يَا عَلِيُّ مَا عَرَفَ الله حَقَّ مَعْرِفَتِهِ غَيْرِي وَغَيْرُكَ، وَمَا عَرَفَكَ حَقَ مَعْرِفَتِكَ غَيْرُ الله وَغَيْرِي**»[(١)].

إلاّ أنه يترقّى في مدارج معرفته النسبية، التي تفيض عليه بالمعاني النورانية، وهذه خاصية في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، الذي هو منبع النور الرباني، ومصدر العطاء المعرفي، وهو السحاب الماطر بالغيث الروحي على زائريه، وقد قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله في هذه الخاصية لعلي عليه السلام: «**مَثَلُهُ كَمَثَلِ بَيْتِ الله الْحَرَامِ، يُزَارُ وَلَا يَزُورُ، وَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْقَمَرِ، إِذَا طَلَعَ أَضَاءَ الظُّلْمَةَ، وَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الشَّمْسِ، إِذَا طَلَعَتْ أَنَارَتْ**»[(٢)].

فالتشبيه بالبيت الحرام بليغ من النبي صلى الله عليه وآله، فالبيت الحرام هو الصرح

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٩، ص٨٤.

(٢) المصدر نفسه.

الثابت مكانه في تلك البقعة المقدّسة، الذي يحج إليه كافة الناس من مختلف الأقطار والأمصار من كل فج عميق، يأتونه رجالاً وركباناً، وأمير المؤمنين عليه السلام هو كعبة الموالين، فكل من عرفه انجذب إلى حضرة قدسه ليطوف به مستلهماً كل حُسن، ومتذوقاً كل عذب، فهو مصدر الحسن والصفاء، وهو عليه السلام كالقمر المنير يشق ظلام ليل الظلم والجهل بنوره، وهو كالشمس ينير كل العقول والنفوس بضياء هديه.

فما نقوم به من رحلة هو سير وسلوك حقيقي إلى الله تعالى في رحاب أمير المؤمنين عليه السلام، اقتفاء لنهجه، وتصيّداً لمعرفته، وبذلك نكون قد حقّقنا استظهار أنموذج في السير إلى الله، مغايراً لما يطرحه المتصوفة والعرفاء الذين تبرّعوا في اختلاق أبواب إلى السماء. منطلقين من يقيننا أن أبواب السماء لا تفتح إلا بمفاتيح أهل البيت عليه السلام، فمن يمسك بها، ويستمسك بعروة بابها، ستفتح له أبواب السماء شرّعاً، وسيعرج عروجاً نورانياً مرضياً لله تعالى، أما من سيتخلّى عن الإمساك بها، ومن سيتبرع باختلاق مفاتيح من عندياته، فسوف يضل ضلالاً بعيداً، ولن يلج إلا في المزيد من التيه.

لذا فإن هدي أمير المؤمنين عليه السلام هو الطريق إلى الله تعالى، والسير والسلوك يتعيّن في طريق الإمام علي عليه السلام، وكل سير وسلوك لا يقتفي أثره ولا ينتهج هديه، فهو ضلال، ومن هذا التأسيس المعرفي الولائي ينكشف لنا مدى خطورة أن يجهد المؤمن نفسه في التعبّد في غير محراب علي عليه السلام، ومدى خطورة أن يسلك طريقاً لم يرسمه علي عليه السلام، فعرفان أمير المؤمنين هو العرفان الإلهي الحقيقي، وما دونه هو محض غواية لا يزيد المسرع فيها إلا بعداً عن الطريق.

مصدر النور (سند الزيارة)

كي نحقّق هدف الإمساك بالطريق الصحيح في الطريق إلى الله تعالى عبر أهل بيته الأطهار، فلا بد أن نكون على ثقة من صدور كلامهم عنهم عليهم السلام، ونحن أمام نص زيارة أمين الله التي سوف نبحر في عبابها ونشق طريق الحياة بهديها، جدير بنا أن نتعرّض ولو يسيراً لمصدر روايتها وسندها.

في الحديث عن حقيقة صدور زيارة أمين الله، لن نبذل كثير جهد لإثبات صحتها واعتباريتها وموثوقيتها، وذلك لأنها من مشهورات التشيّع، وقد شاعت على ألسن الرواة، واهتم بتدوينها أصحاب الكتب المعتبرة من أهل التحقيق والتدقيق، حتى لا تكاد ترى كتاباً مختصاً بالزيارات إلا وتجدها مثبتة فيه، وقد قال عنها الشيخ عباس القمي في كتابه القدير، مفاتيح الجنان: (زيارة أمين الله، في غاية الاعتبار، ومروية في جميع كتب الزيارات والمصابيح، وقال العلاّمة المجلسي رحمه الله: (إنها أحسن الزيارات متناً وسنداً، وينبغي المواظبة عليها في جميع الروضات المقدّسة، وهي كما روي بأسناد معتبرة، عن جابر عن الباقر عليه السلام، أنه زار الإمام زين العابدين عليه السلام أمير المؤمنين عليه السلام، فوقف عند القبر وبكى..)[1]. ثم ذكر الزيارة المعنية.

مع هذه الشهادات من الأعلام، فإننا لا ينبغي أن نتوقف كثيراً عند إثبات ما اشتهر وذاع بين أهل الخبرة والتحقيق، خصوصاً مع ورودها في كافة كتب الرواية المختصة بالزيارات الشريفة لأهل البيت عليهم السلام، فذلك يعطينا اطمئناناً بهذا النص الشريف، فإن المبدأ في الأخذ بالرواية ليس هو الطريق الرجالي الذي يعتمد الصدور عن الثقات فحسب، بل المبدأ هو كون الرواية موضع ثقة، أي العبرة بالمروي، وأن

(١) مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي: ص٣٨٥.

التحقيق في سند الرواية الرجالي ماهو إلا أحد القرائن التي تورث الوثوقية.

ولكننا ولمزيد من التأكيد نشير إلى سند واحد منها، وهو ما ذكر في كتاب كامل الزيارات لابن قولويه، وهو كالتالي:

قال جعفر بن محمد ابن قولويه: حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَلِيُّ بْنُ صَدَقَةَ الرَّقِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «**زَارَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَبْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ**...». الحديث.

إنّ كتاب كامل الزيارات هو الكتاب المشهور صاحبه بالوثاقة والفضل، وقد تناولته أيدي العلماء بالقبول، وعدّ من أوثق كتب الحديث، لما بذله المؤلف من جهد في العناية بأخذ الروايات عن الثقات، وقد صرّح بذلك في مقدّمة كتابه قائلاً: «ولم أخرج فيه حديثاً روي عن غيرهم إذا كان فيما روينا عنهم من حديثهم صلى الله عليه وآله كفاية عن حديث غيرهم، وقد علمنا أنا لا نحيط بجميع ما روي عنهم في هذا المعنى ولا في غيره، لكن ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم الله برحمته، ولا أخرجت فيه حديثاً روي عن الشذاذ من الرجال، يؤثر ذلك عنهم عن المذكورين غير المعروفين بالرواية المشهورين بالحديث والعلم، وسميته كتاب كامل الزيارات)[1].

ومع إقراره بجلالة قدره في مقدّمة كتابه على عنايته بالأخذ من الثقات فقد رأى بعض الأعلام أنها من قبيل التوثيقات العامة، فما يقوله ابن قولويه يدل على أنه أخذ أحاديثه عن الثقات مما يستدعي توثيق كل من ورد في سند أحاديثه المروية في الكتاب، وقد رأى بعض آخر منهم العلامة النوري (رحمه الله) بأن عبارات المؤلف تدل على

(١) كامل الزيارات: ص٣٧.

وثاقة من يروي عنهم مباشرة دون بقية من ورد في الأسانيد.

وعلى كلا الحالين، فإن رواية كامل الزيارات لزيارة أمين الله، لم يقع في سندها إلا اثنين غير صاحب الكتاب المعروف بالوثاقة والفضل، فإننا نذكر وثاقة جميع رواة الزيارة كما هي في كتاب كامل الزيارات.

١- جعفر بن محمد ابن قولويه

قال عنه النجاشي: (جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه، (أبو القاسم)، كان أبوه يلقب (مسلمة)، من خيار أصحاب سعد، وكان أبو القاسم من ثقات أصحابنا، وأجلاهم في الحديث والفقه)[١].

٢- أبو علي أحمد بن علي بن مهدي

وهو من مشايخ بن قولويه، يروي عنه بلا واسطة، وقد عرفت أن ابن قولويه شهد بالوثاقة لمن روى عنهم، والقدر المتيقن منهم هم مشايخه الذين يروي عنهم مباشرة، فيكون أبو علي أحمد بن علي بن مهدي موثق من قِبَله.

٣- علي بن صدقة الرقي

وهو علي بن مهدي بن صدقة الرقي، أبو أحمد بن علي بن مهدي: (قال عنه النجاشي: له كتاب عن الرضا عليه السلام. وعدّه الشيخ في رجاله في أصحاب الرضا عليه السلام)[٢].

---

(١) رجال النجاشي: ج١، ص٣٠٥.

(٢) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ج١٣، قسم علي بن مهدي ٨٥٤٩.

وهو بدوره قد رواها عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، عن أبيه الإمام الصادق عليه السلام، وبذلك يكون السند تاماً سليماً لا شبهة فيه.

وقد رويت الزيارة في عدة من الكتب المعتبرة، منها كتاب فرحة الغري بسند صحيح أيضاً، ورواها ابن المشهدي في مزاره الكبير، وكذا إبراهيم الثقفي في كتاب الغارات، ورواها ابن أبي قرّة في مزاره، ورواها الشيخ الطوسي في مصباح المتهجّد - وسلاح المتعبّد، ورواها الكفعمي في البلد الأمين، وفي مصباحه، وابن طاووس في إقبال الأعمال، والعلامة المجلسي في البحار، وغيرها من الكتب، مما يثبت من غير شك ولا ريب أن زيارة أمين الله، قد جرت كلماتها على لسان معصوم، وهو الإمام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين، سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين.

قصة الزيارة (ظروفها المعاصرة)

إنّ معرفة الظروف التي كانت تحفّ بالزيارة في زمن المعصوم، لها دخالة في زيادة الوعي بمضامين نص الزيارة، بل بأهدافها، فلعلنا نكتشف من السياق التاريخي الذي صدرت فيه، شيئاً يتصل بالغايات التي كان يبتغيها الإمام عليه السلام، من خصوص هذا النص.

إنّ لكل نصٍّ رسالة، ونصوص أهل البيت عليهم السلام التي تنوّعت في أساليبها، كانت تلحظ عدة جوانب، ومع اتصافها بالديمومة في الفائدة، إلا أن معرفة الظروف تساعد على المزيد من الوعي برسالة النص نفسه.

ونص زيارة أمين الله هو نص بالغ الأهمية، حيث إن أبعاد التداول من المعصومين

كان متعدّداً، فمن خلال الاطلاع على أسانيد الروايات التي أوصلت لنا هذه الزيارة المقدّسة، تبيّن لنا أن خمسة من الأئمة المعصومين عليهم السلام، قد تداولوها، وهم قائلها ومنشؤها الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ورواها عنه ابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام، وأيضاً الإمام جعفر الصادق عليه السلام، كما أن ابنه الإمام موسى الكاظم عليه السلام، قد رواها عن أبيه، وقد قام ابنه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بدوره بروايتها عن أبيه، على النحو التالي:

١- الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، أنشأها ورواها عنه ابنه الإمام الباقر عليه السلام.

٢- الإمام الباقر عليه السلام رواها عنه ابنه الإمام الصادق عليه السلام.

٣- الإمام الباقر عليه السلام رواها عنه جابر بن يزيد الجعفي.

٤- الإمام جعفر الصادق عليه السلام، رواها عنه ابنه الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

٥- الإمام موسى الكاظم عليه السلام، رواها عنه ابنه الإمام الرضا عليه السلام.

٦- الإمام الرضا عليه السلام رواها عنه علي بن صدقة الرقي.

ومعنى هذا أنّ الزيارة كانت حاضرة في ساحة التداول لكل هؤلاء المعصومين عليهم السلام، فهم يروونها لأصحابهم، ويؤكّدون لهم بالتزامها والتمسّك بها، ويبيّنون مكانتها وعظيم ثوابها، ومن ذلك تعددت وتنوّعت مروياتها في العديد من الكتب مع اختلافات يسيرة جداً، وبأسانيد متعددة، وتعدد الأسانيد بدوره يكشف لنا حقيقة مهمة ينبغي التنبّه لها عند دراسة الرواية من ناحية اجتماعية، وهي أن سعة التداول بين الأصحاب

والرواة تعني أنه كلّما زاد في السند الروائي شخصاً فهذا يعني أنه رواها في الفترة الزمنية التي جمعت الشخصين، فيعدّ ذلك إضافة عدد في المروي حتى مع اتحاد الطبقة الرجالية التي صنّفها علماء الرجال ضمن ثلاث أو خمس أو إثنا عشر طبقة، فالعبرة بالتداول الثنائي، والذي قد يطلع عليه غيره سواء كان مشافة أو بالإجازة أو نقله من كتاب، وإضافة إلى اختلاف وتعدّد مواطن البلدان التي ينتقل فيها الراوي، فهذا يعطي بعداً في السعة الجغرافية في الانتشار والتداول، ففي مثل سند كامل الزيارات لابن قولويه وهو سند قصير نسبياً باتصاله للمعصوم، لكنه يكشف أن الزيارة رويت مرة من قبل الإمام الباقر عليه السلام لابنه الصادق عليه السلام، ثم رويت بعد فترة من الزمن من قبل الإمام الصادق عليه السلام لابنه الإمام الكاظم عليه السلام، ثم وبعد فترة زمنية رواها لابنه الإمام الرضا عليه السلام، والذي رواها فيما بعد إلى علي بن صدقة الرقي، وقد كتبها في كتابه أو رواها مباشرة لابنه أحمد، ثم قام أحمد بروايتها بعد فترة إلى جعفر بن محمد بن قولويه، وقد قام بإثباتها في كتابه القيّم كامل الزيارات.

فلو تأملنا فيما يعنيه تعدد الرواة في السند الواحد سنكتشف تداولاً زمنياً عبر انتقاله للطبقات المختلفة في الأزمنة المختلفة والأمكنة المتباعدة، وإن كان بعض رجال السند في بعض الأحيان يشتركون في الرواية عن رجل واحد، ولكن في الأعم الأغلب هو زيادة اتساع زمني ومكاني للرواية، فالرواية المشار إليها في كامل الزيارات ورغم قصر السند، إلا أنها تعني أن زيارة أمين الله رويت في هذا التسلسل ست مرات لا ما قد يتصوّره البعض أنها رواية واحدة رويت مرة واحدة فحسب، بحسب المباني الروائية، فإن دراسة الحديث من ناحية اجتماعية وسياسية واقعية تختلف عن المباني الرجالية والدرائية، وإن كانت تستفيد من معطياتها، وهذه الحقيقة ينبغي التفطّن إليها لوعي

حجم التداول والأهمية للموضوع المبحوث، لأنه معطى يعمّق الدراسة والبحث.

فإضافة إلى اهتمام عدد كبير من المعصومين عليهم السلام بزيارة أمين الله، فهي أيضاً ضمن اهتمام واسع عند الرواة.

هذا ناهيك عن حساب عدد الكتب التي رويت فيها وعدد الأسانيد التي تداولتها فيزداد العدد أضعافاً، فيكفي أن عبد الكريم بن أحمد بن طاووس قد رواها في كتاب فرحة الغري ثلاث مرات، وفي أحدها خمسة عشر واسطة حتى تصل إلى الإمام زين العابدين عليه السلام، بالتسلسل التالي:

روى ابن طاووس في فرحة الغري، وقال: أخبرني الوزير السعيد العلامة نصير الملة والدين محمد بن أبي بكر محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله عن والده عن السيد فضل الله العلوي الحسني عن ذي الفقار بن معبد الطوسي عن المفيد عن محمد بن أحمد بن داود القمي، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفضل الكوفي، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن روح القزويني من لفظه بالكوفة، قال: حدثنا أبو القاسم النقاش بقزوين، قال: حدثني الحسين بن سيف عن عميرة عن أبيه سيف عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «**مضى أبي علي بن الحسين عليه السلام إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام**»[1].. الحديث.

هذا الاهتمام مؤشر على درجة عالية قد بلغتها زيارة أمين الله، قد أعطتها وساماً عظيماً ضمن أوسمة المعارف الإلهية للأئمة عليهم السلام، ومن هذا فإن التوجّه لمعرفتها ومعرفة رسالتها، سيكون بالغ الأهمية أيضاً.

(١) فرحة الغري في تعيير قبر أمين المؤمنين عليه السلام: ص٤١.

الظرف الاجتماعي للزيارة

أما من ناحية الظرف الاجتماعي[1] الذي كان يحيط بهذه الزيارة وقت إنشائها الأول، قد تمثّل في مجموع الظروف التي عاشها الإمام زين العابدين عليه السلام، المتمثّلة في الظروف السياسية الحسّاسة، الذي اقتضت منه أن يشمّر عن سواعد الجد في مواجهة ما أصاب المجتمع الإسلامي من تدمير لكل معاني الخير والفضل، وما مُني به من تحريف لكافة القيم، ومن هدم لكيان الشخصية الإسلامية التي بناها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله من قبل، بكل أبعادها، ذلك الانهيار الذي كانت نتائجه وقوع المصيبة العظمى التي تمثلت بقتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام ومن معه من أصحابه، وسبي نسائه، بطريقة وحشية ومذلة.

الفعل السياسي المسكون بحب السلطة حد الثمالة بل حد الهلاك والإهلاك، المتمثّل في أعمال يزيد بن معاوية الذي كان على رأس السلطة من أبرزها قتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، واستباحة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وضرب الكعبة المشرّفة بالمنجنيق، وملاحقة كل من لم ينزل عند رغباته الجامحة، ولم تتوقف تلك الحالة عند رأس السلطة، بل هي ظاهرة عامة عند كل ساعٍ للسلطة، كعبد الله بن الزبير الذي كان يقطع رؤوس أعدائه، والحجاج الذي ارتوت سيوفه من دماء العلويين، فقد جاءت آثار الفعل السياسي على البناء الاجتماعي وهدمت كل ما بقي فيه من معالم الإسلام، فلم تعد خصال الدين الاجتماعية لها وجود، حيث أن الظلم السياسي شجّع على الظلم المجتمعي بين كافة الطبقات، وعندما يكون الأهم عند السلطات أن تجبي الخراج من البلدان المفتوحة، فهي تغض الطرف عن من لا يلتزم بالإدارة العادلة

(١) الاجتماعي أي يشمل ما يلامس المجتمع من حالة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية.

مادام أنه مصدر من مصادر دخل السلطان، وفي المجتمع الإسلامي تفشحت حالة الانفلات والتفسّخ الأخلاقي، فانتشرت الرذيلة وساد شرب الخمر، ودوّت أصوات المغنيات في أرجاء مدن الدولة الإسلامية، ولم تأمن النساء على أعراضها، والرجال على أموالهم وحياتهم.

وإن جئت إلى أزمة الفكر والوعي، فإن السلطات عملت على أن ينهج الناس نهجاً مغايراً لما جاء به الدين من قيم ومبادئ ونظريات في الحياة، (فقد انتشرت الأفكار المنحرفة ونشأت تيارات فكرية متضاربة من: زنادقة، وقدرية، ومفوّضة، حتى أن البعض اتبعوا نظرية المجوس وأدخلوا في الدين الأفكار المانوية والثنوية، وأهريمن ويزدان[١]. وهكذا أصبح لكل الأفكار البشرية واقعاً في الأمة الإسلامية، من ديانات هندي مثل البراهمة، وفلسفات يونانية، مثل الأفلاطونية، وكيّفوا الإسلام على تلك الأفكار، وإذا بالإسلام تحوّل إلى عشرين إسلاماً، والأفكار الإسلامية تناقضت بشكل حاد، والأمة الإسلامية لا تعرف ماذا عليها أن تعمل، وماهي واجباتها)[٢].

وينقل لنا الكشي في كتابه اختيار معرفة الرجال عن تخلّف الناس عن الدين وارتدادهم العملي عنه، في أول زمن الإمام زين العابدين عليه السلام، (عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلاّ ثلاثة أبو خالد الكابلي، ويحيى ابن أم الطويل، وجبير بن مطعم، ثم إنّ الناس لحقوا وكثروا**». وروى يونس، عن حمزة بن محمد الطيار، مثله وزاد فيه وجابر بن عبد الله الأنصاري)[٣].

---

(١) أهريمن: إله الشر في ديانة زرادشت، ويزدان إله الخير.

(٢) التاريخ الإسلامي دروس وعبر، السيد محمد تقي المدرسي: ص١١٠.

(٣) رجال الكشي: ص١٢٣.

لقد واجه الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك الظرف العصيب، المتعدد في جوانب الأزمة، ويمكن أن نطلق عليها أنها أزمة حضارية بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، واجهها الإمام عليه السلام بالعمل على بناء الإنسان المسلم من جديد، وفقاً لمنهج القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وآله، كما أرادها الله جل جلاله، وقد وضع يده على الجرح الحقيقي من أجل الإصلاح الجذري في بناء الأمة، وعمل على إيقاظ الضمير في المجتمع الإسلامي ليشعر بمسؤوليته تجاه المصائب التي وقعت في الأمة وعليها، فعمل عليه السلام على إنتاج مستمر للمعرفة بصور وقوالب مختلفة، فلم يتبنَّ المعرفة الجامدة التي تقتصر على مخاطبة العقول فحسب، لأنها لن تجد لها أذناً صاغية في جو انعدام الضمير والحس الإنساني، فكانت المعارف التي أنتجها الإمام زين العابدين عليه السلام، هي معارف في قوالب تخاطب الحس الإنساني ووجدانه، عبر أشكال الدعاء ومخاطبة الله عزّ وجل، فهو يقوم بعدّة رسائل، إضافة إلى أنه توجه إلى الله تعالى، فهو شحن معرفي، وبصائر مستجيبة للتحديات في ذلك الوقت، لتقوم بعمل البناء المجتمعي من جديد.

فالصحيفة السجادية والأدعية الأخرى التي كان يردّدها الإمام عليه السلام هي معارف إسلامية أصيلة، يقوم الداعي من خلالها بالعروج الروحي إلى الله، وكذا كان بكاؤه على والده الإمام الحسين عليه السلام وإشاعة شعائر الحزن والمظلومية، كلها أعمال كانت تعالج مجتمعاً خائراً روحياً ومعرفياً، وما زالت تلك النصوص مؤثرة في بناء الشخصية والمجتمع، وما زالت هي معراج النور الذي يتمسك به الآملون في استقبال النور الرباني.

فزيارة أمين الله، أخذت هذا الطابع في تكوينها وبنائها، فهي مزيج بين الزيارة

والدعاء والمناجاة، كما سنبيّن فيما بعد، هذا المزيج هو جرعات قوية في التأثير الروحي، والعروج الروحي إلى الله تعالى، فمن خلال نموذج الإمام المعصوم في الزيارة الذي يعرضه النص من خلال التسليم عليه بذكر صفاته ومكانته، يتوجه الزائر بعد ذلك في القسم الذي يليه بالدعاء ليتحصل على قائمة بما من شأنه أن يبني شخصيته عندما يقتفي نهج إمامه، ثم يستمر في العروج في القسم الذي يليه عبر المناجاة، كي يحافظ على الاستقامة وبناء الشخصية السويّة. فإن الانقلاب الذي حصل بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله ما زال حاضراً عبر نتائجه الكارثية على الدين وعلى المجتمع في كافة العصور، وما زال الإنسان مفتقراً إلى برامج التكامل النفسي والمعرفي والإيماني، فلذا فإن الاستقامة أمر ضروري، وأي استقامة؟ إنها الاستقامة على نهج النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، كما أكدت الزيارة عليه في ختامها.

لم يكن معروفاً على وجه الدقة تاريخ زيارة الإمام زين العابدين عليه السلام لقبر جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الزيارة، ولكنه يبدو كان مزاولاً لها سنين عديدة، بل كانت مزاولته لها بعد مقتل أبيه الإمام الحسين عليه السلام مباشرة، ما يكشف أهمية هذا النص المقدّس في بناء الشخصية في ظل الظروف القاهرة، والتحولات الكبرى، والفتن والفساد والتراجع الروحي والمعرفي، وهذا ما لا يستغني عنه الإنسان المسلم في حياته في مختلف الظروف والتحولات، لأن الواقع المعاصر أثبت لنا أن قِوى الشر لا تتوقف عجلة التدمير عندها لحظة واحدة، فهي تسعى بكل ما أوتيت من إمكانات لتدمير كل ما يتصل بالدين في حياة الإنسان، وتوعّد الشيطان لم تنته صلاحيته، فهو قد توعّد أن يعترض طريق الإيمان أينما ووقتما حضرت معانيه وتجلياته في حياة الإنسان، فهو القائل: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ

لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[1].

ومن هنا فإن الاتصال بالله تعالى من خلال شخصية الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وصياغتها وفقاً لهديه، يعدّ من أفضل الأعمال لمواجهة تيارات الفتنة والخواء الروحي، وهذه هي رسالة زيارة أمين الله.

حدث الزيارة

وهنا نعرض النص الذي يوضح كيفية زيارة الإمام زين العابدين عليه السلام بهذه الزيارة، لنقرأ حدث الزيارة من أجل اكتشاف الواقع في جوانبه المتعددة، وما ينتج عن ذلك من معطيات تبيّن مكانة هذه الزيارة المباركة في بناء الأمة، وضرورتها لكل عصر ومصر.

جاء في كتاب فرحة الغري: قال ابن أبي قرة في مزاره ما صورته، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله، قال: أخبرنا إسحاق بن محمد بن مروان الكوفي الغزال، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا علي بن سيف بن عميرة عن أبيه عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: «**كَانَ أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَدِ اتَّخَذَ مَنْزِلَهُ مِنْ بَعْدِ مَقْتَلِ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام بَيْتاً مِنْ شَعْرٍ، وَأَقَامَ بِالْبَادِيَةِ، فَلَبِثَ بِهَا عِدَّةَ سِنِينَ، كَرَاهِيَةً لِمُخَالَطَةِ النَّاسِ وَمُلَاقَاتِهِمْ، وَكَانَ يَصِيرُ مِنَ الْبَادِيَةِ بِمَقَامِهِ بِهَا إِلَى الْعِرَاقِ زَائِراً لِأَبِيهِ، وَجَدِّهِ عليه السلام، وَلَا يُشْعَرُ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ**».

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦-١٧.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: «**فَخَرَجَ سَلَامُ الله عَلَيْهِ مُتَوَجِّهاً إِلَى الْعِرَاقِ لِزِيَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا مَعَهُ، وَلَيْسَ مَعَنَا ذُو رُوحٍ إِلَّا النَّاقَتَيْنِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّجَفِ مِنْ بِلَادِ الْكُوفَةِ، وَصَارَ إِلَى مَكَانٍ مِنْهُ، فَبَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ بِدُمُوعِهِ، ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ الله فِي أَرْضِهِ، وَحُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ...**»[١].

مع أنّ الإمام عليه السلام كان محكوماً بظروفه الخاصة التي كان يبعث بها رسائل للأمة آنذاك، تجلّت في سيرته العملية في بعض جوانبها، كالعزلة عن الناس ظاهراً، إلاّ أنه يزاول ما يروم إيصاله إلى الناس، بطريقة أو بأخرى، ففي هذه الزيارة التي ذكرت الرواية أنه كان يزورها مع ابنه الإمام الباقر عليه السلام دون ثالث، نجد في قراءة من جهة أخرى للنص أنه كان يخترق ستار العزلة الذي ضربه على نفسه في تلك الفترة العصيبة، فيسافر إلى النجف حيث قبر أمير المؤمنين عليه السلام، ويزور بهذه الزيارة، لتكون سنّة من بعده، ولهذا كان اهتمام الأئمة المعصومين من بعده بحكايتها وتعليمها الناس واسعاً، ومن الملاحظ أنهم في الغالب بحسب المصادر، كمصابيح الشيخ الطوسي، ومزار ابن المشهدي، وفرحة الغري، قد رَوَوها دون سرد الظرف السياسي، حيث يشير الإمام الرضا عليه السلام، أو الإمام الصادق عليه السلام إلى أن علي بن الحسين عليه السلام يمضي إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، فيقف باكياً ثم يردد هذا النص.

إذاً كان الإمام زين العابدين عليه السلام ولمدة سنوات عديدة منعزلاً عن الناس ولا يقوم بمخالطتهم مخالطة اجتماعية - مع حفظ العمل التوجيهي السري لبعض

(١) فرحة الغري: ص٤٤.

الخواص - وتلك العزلة من شأنها أن ترسل رسائل احتجاجية للأمة من جهة بسبب ما وصل إليه حالهم، ويحدثنا التاريخ كثيراً عن حضور الإمام فيما بعد في الأسواق حيث كان يذكّر الناس بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وقد انتشرت الأخبار حول بكائه الطويل على أبيه عليه السلام، كما انتشرت أدعيته في الآفاق في وقت كانت هذه الأمور من الأعمال المخفيّة سابقاً، فالإمام في حالة العزلة لم يكن ساكناً صامتاً عن الفعل، بل هو في قمة النشاط باعتباره إماماً يقود الأمة ويعمل على نهضتها وبنائها في خط الله تعالى، وهذا ما يعزّز مفهوم التقية، بأنها لا تعني العزلة، وإنما تعني العمل بأسلوب ذكي، فخروج الإمام من محل سكناه في المدينة المنورة متوجهاً ناحية العراق من أجل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام هو خير شاهد على ذلك، فلا تقتصر معطيات الحدث على أهمية الزيارة التي كان يسافر إليها الإمام في الخفاء من أجلها، بل يعطينا هذا الفعل دلالة على أنها إحدى النصوص التي خطط لها لكي تظهر فيما بعد لتساهم في بناء الأمة وترميم شخصيتها المشوّهة.

مراحل تطّور زيارة أمير المؤمنين

وتجدر الإشارة إلى أن زيارة الإمام زين العابدين للإمام علي عليه السلام بحسب ما وصل إلينا من روايات عن المعصومين، هي أول زيارة مروية لقبره الشريف من قِبَل إمام معصوم، ويمكن أن نضع هذا الحدث ضمن البداية الفعلية لفعل الزيارة العلوية كمنسك عبادي يُشد إليها الرحال من مختلف البلاد، حيث تطوّر التعامل مع قبر أمير المؤمنين عليه السلام ذو الحساسية في ظرف الفتنة، ويمكن إجمال المراحل التي مرت بها زيارة قبر أمير المؤمنين في التالي:

المرحلة الأولى

وهي مرحلة التأسيس التي شملت حياة النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستثمر الفرص لبيان فضل الإمام علي عليه السلام وفضل زيارته، وقد لاحظنا أنه صلى الله عليه وآله عندما يُسأل عن فضل زيارته صلى الله عليه وآله فإنه يبادر في بيان فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام كذلك.

المرحلة الثانية

مرحلة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وهي التي دفن فيها سرّاً وتمويهاً بوصية من الإمام علي لابنه الحسن عليهما السلام، لكي يغيب قبره الشريف عن الناس ولا يُعرف بالتحديد، وذلك لما امتازت به تلك المرحلة من الحساسية بسبب الفتنة التي قادها أعداء الإمام، فكان عفاء القبر إجراء هاماً لحفظه، فقد روي (أن الحجاج بن يوسف نبش في النجف آلاف القبور يفتش عن جثمان علي عليه السلام ولكنه لم يعثر عليه)[1]، وقد كان في هذه المرحلة الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام يخوضان الحراك الصعب في الأمة، وربما كانا خلال ذلك الزمن يزورانه سرّاً، وقد سجّل التاريخ أن بعد مراسيم الدفن السرية التي شارك فيها الخواص، قام صعصعة بن صوحان يؤبن الإمام في حالة بكاء يحث التراب على رأسه، وألقى كلمات بمسمع من أهل البيت عليهم السلام، اشتملت على أوصاف صادقة للإمام، وسلام، وتعهد بالمضي

(١) الإمام علي من المهد إلى اللحد: ص٢٨٤.

عـلى نهجه، وهـذه الكلمات أشـبه شيء بنصـوص الزيـارات المعهودة، ثـم بكى بكاء شـديداً وأبكـى كل مـا كان متواجـداً[١].

المرحلة الثالثة

هي فترة إمامة الإمام زين العابدين وابنه الباقر عليهما السلام، فبحسب طبيعة المرحلة التي أسدل الستار فيها على إنهيار الكيان الروحي والمعرفي في الأمة، قام الإمام زين العابدين عليه السلام بتفعيل بعض القيم والاعتقادات الإسلامية، والتي منها الزيارة، وبدأ بتفعيل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام وشدّ الرحال إليها، لتكون بداية لكافة الموالين من بعده.

إنّ هذه المرحلة امتازت بالسرية بداية، حيث كانت زيارة الإمام السجاد مع ابن الباقر حيث لم يكن معهما إلا ناقتين، وكان يتوارى عن الأنظار لكي لا يشعر به أحد من الناس، ويبدو أن الفعل قد تكرّر من الإمام، سواء أزار أمير المؤمنين عليه السلام بنص زيارة أمين الله أو بنص آخر كما توضّح المرويات أيضاً، فالإمام الباقر عليه السلام يروى عنه أنه مضى مع والده للنجف وزار الإمام علي عليه السلام بزيارة مختلفة، بحسب ما جاء في مستدرك الوسائل: (روي عن مولانا محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «**مضيت مع والدي علي بن الحسين عليه السلام إلى قبر جدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالنجف بناحية الكوفة فوقف عليه ثم بكى وقال: السلام على أبي الأئمة وخليل النبوة والمخصوص بالأخوة السلام على يعسوب الإيمان وميزان الأعمال**»[٢].. إلى آخر الزيارة.

(١) نقلها في بحار الأنوار: ج٤٢، ص٢٩٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٠، ص٢٢٢.

وهناك نص آخر يفيد أن أبا حمزة الثمالي قد التقى الإمام وهو في الكوفة حيث ورد مسجدها، وبعد أن تعرّف عليه، أخبره الإمام عن فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام وأن فضله مجهول ولو عرفه الناس لأتوه حبواً، فإن دخول الإمام مسجد الكوفة ليصلي ركعتين في الوقت الذي يتواجد فيه الناس، إضافة لأخذه لمرافقة العبد الأسود له، وكذلك لبيانه لأبي حمزة الثمالي أهمية زيارة قبر الإمام علي عليه السلام، لكل ذلك دلالة واضحة أن هذه الزيارة مختلفة عن سابقاتها، فهذه الزيارة ذات طابع علني وإعلامي، ولكن فيما يبدو أن أسرارها كانت ضمن دائرة الموالين.

وننقل هذا النص الذي يدلل على ذلك: روى في كتاب فرحة الغري ما نصه: ذكر حسن بن الحسين بن طحال المقدادي أن زين العابدين عليه السلام ورد إلى الكوفة ودخل مسجدها وبه أبو حمزة الثمالي وكان من زهاد أهل الكوفة ومشايخها فصلى ركعتين قال أبو حمزة: فما سمعت أطيب من لهجته، فدنوت منه لأسمع ما يقول فسمعته يقول: «**إلهي إن كان قد عصيتك فإني قد أطعتك في أحب الأشياء إليك الإقرار بوحدانيتك منا منك علي لا منا مني عليك**»، والدعاء معروف ثم نهض، قال أبو حمزة: فتبعته إلى مناخ الكوفة فوجدت عبدا أسود معه نجيب وناقة، فقلت: يا أسود من الرجل؟! فقال: أو تخفى عليك شمائله! هو علي بن الحسين، قال أبو حمزة: فأكببت على قدميه أقبلها فرفع رأسي بيده وقال: «**لَا يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّمَا يَكُونُ السُّجُودُ لله عَزَّ وجَلَّ**»، قلت: يا ابن رسول الله ما أقدمك إلينا؟ قال: «**مَا رَأَيْتَ ولَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ لَأَتَوْهُ ولَوْ حَبْواً هَلْ لَكَ أَنْ تَزُورَ مَعِي قَبْرَ جَدِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام**»، قلت أجل، فسرت في ظل ناقته يحدثني حتى أتينا الغريين وهي بقعة بيضاء تلمع نورا فنزل عن ناقته ومرغ خديه عليها وقال: «**يَا أَبَا حَمْزَةَ هَذَا قَبْرُ جَدِّي عَلِيِّ بْنِ**

أَبِي طَالِبٍ عليه السلام»، ثم زاره بزيارة أولها «**السلام على اسم الله الرضي ونور وجهه المضيء**»، ثم ودعه ومضى إلى المدينة ورجعت أنا إلى الكوفة[١].

وبعد مرحلة البداية العلنية لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام من قبل الإمام زين العابدين عليه السلام، بدأت مكانة زيارته تعرف عند النخبة من الموالين وأخذوا بالتردّد على قبره الشريف بسرية، واستمر هذا الوضع طيلة فترة إمامة الإمام الباقر عليه السلام، الذي روى بدوره الزيارة لابنه الإمام الصادق عليه السلام، ورواها أيضاً لجابر الجعفي، ولم يرد أكثر من هذا في المرويات.

المرحلة الرابعة

إن العهد الذهبي لكافة الزيارات كمفهوم تواصلي بين الموالين وأئمتهم، بدأ مع عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام، الذي أشاع ثقافة الزيارة، آدابها ونصوصها ومواسمها، ومن ذلك الاهتمام كان لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام نصيب في روايات الإمام الصادق عليه السلام، حتى أصبحت في عصره عادة وشعيرة يلتزمها الموالون من كل مكان، ومع أن الإمام الصادق عليه السلام روى الكثير في فضل زيارة الأمير عليه السلام، إلا أن القبر مازال مخفياً عن عامة الناس.

المرحلة الخامسة

من أواخر حياة الإمام الصادق عليه السلام إلى حياة الإمام الرضا عليه السلام، حيث بدأ القبر بالظهور وبدأ شيوع أمره وتوافد الزوار عليه من مختلف البلدان، وتعود

---

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف: ص: ٤٧.

حادثة اكتشاف القبر من قبل غير الموالين في حكومة الرشيد العباسي، ذكرها في كتاب فرحة الغري، بالإسناد المنتهي إلى عبد الله بن حازم، قال: خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد، فصرنا إلى ناحية الغريين والثوية، فرأينا ظباء فأرسلنا عليها الصقورة والكلاب، فحاولتها ساعة، ثم لجأت الظباء إلى أكمة، فسقطت عليها فسقطت الصقورة ناحية ورجعت الكلاب، فتعجّب الرشيد من ذلك، ثم إن الظباء هبطت من الأكمة فسقطت الصقورة والكلاب، فرجعت الظباء إلى الأكمة، فتراجعت عنها الكلاب والصقورة. ففعلت ذلك ثلاثاً، فقال هارون: اركضوا، فمن لقيتموه فأتوني به، فأتيناه بشيخ من بني أسد، فقال هارون: ما هذه الأكمة؟ قال: إن جعلت لي الأمان أخبرتك. قال: لك عهد الله وميثاقه ألا أهيجك ولا أوذيك. قال: حدثني أبي عن أبيه، أنهم كانوا يقولون: هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب عليه السلام، جعله الله حرماً لا يأوي إليه أحد إلاّ أمن...)[1].

ومنذ هذه الحادثة التي تثبت نفاق الحكام العباسيين، وما صاحبها من أحداث في بناء القبر من قبل الرشيد ووضع قبة عليه، وزيارة الناصر لدين الله مراراً للقبر، والمستنصر الذي عمل الضريح الشريف، والمستعصم الذي ذكر التاريخ أنه كان يفرّق الأموال عند القبر الشريف[2]، فقد شاع أمره وأخذ في التطوّر حيناً بعد حين كرامة من الله تعالى في أن يبرز القبر الشريف على يد أعدائه حفظاً له، كما أخفي عن إدعائه حفظاً له.

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين عليه السلام: ص١٢٠.

(٢) انظر في ذلك: فرحة الغري: ص١٢٠.

هل هي زيارة خاصة بالغدير؟

لقد تناول العلماء زيارة أمين الله كزيارة مطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام، بل قد صنّفها بعضهم كزيارة مطلقة للأئمة أجمعهم عليهم السلام، والزيارة المطلقة بحسب المتعارف عليه في كتب المزار، هي الزيارات التي يمكن أن يزار بها الإمام في أي وقت، فلا تختص بيوم من أيام السنة بعينه، ولم يرد في متن رواياتها في كل الكتب التي ذكرتها أي تخصيص لهذه الزيارة بيوم أو بوقت، إلا أن ابن المشهدي قد عنونها في مزاره الكبير بعنوان (الزيارة المختصة بيوم الغدير)، وذكر نص زيارة أمين الله عن جابر الجعفي، وهي خالية من أي دلالة على ذلك، كما أن الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد صنفها أيضاً ضمن الزيارات الخاصة بيوم الغدير.

وقد جرى على مجراهم السيد ابن طاووس في إقبال الأعمال، ولكنه علّق بعدها قائلاً: (أقول: وروى جدّي أبو جعفر الطوسي هذه الزيارة ليوم الغدير عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام إنّ مولانا علي بن الحسين صلوات الله عليه زاره بها فيه، وفي ألفاظها خلاف، ولم يذكر فيها وداعاً)[١].

إلا أن المجلسي أوردها في قسم زيارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المطلقة التي لا تختص بوقت من الأوقات، كما العديد من كتب الدعاء والزيارة كذلك، وقال العلامة المجلسي بعد أن ذكر كلام ابن طاووس عن جده الطوسي معللاً تصنيفه هذا: (وأقول إنما أوردتها هاهنا، لأنه ليس في لفظ الخبر ما يدل على الاختصاص بيوم)[٢].

---

(١) الإقبال بالأعمال الحسنة، ابن طاووس: ج٢، ص٢٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٧، ص٢٦٨.

وإننا لم نجد أن الشيخ الطوسي أورد روايته عن اختصاصها بيوم الغدير في مصباحه، إلا أن ابن طاووس ذكر أنه رواها، فلعله كان يقصد أصل التصنيف، إلا أن التصنيف لا يعد رواية، وقد يكون رآها في كتاب لم يصل إلينا، إلا أن هنا ملاحظتين:

١- مع التسليم بقول ابن طاووس أنه يوجد رواية تقول بأنها تقرأ في الغدير، إلا أن كلامه لا يدل على الاختصاص، فغاية ما ادعاه، هو أن الإمام زين العابدين عليه السلام قد زار أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الزيارة في يوم الغدير، ولا يعني ذلك أنها مختصة بذلك اليوم، فهي يمكن أن تقرأ في الغدير وفي غيره.

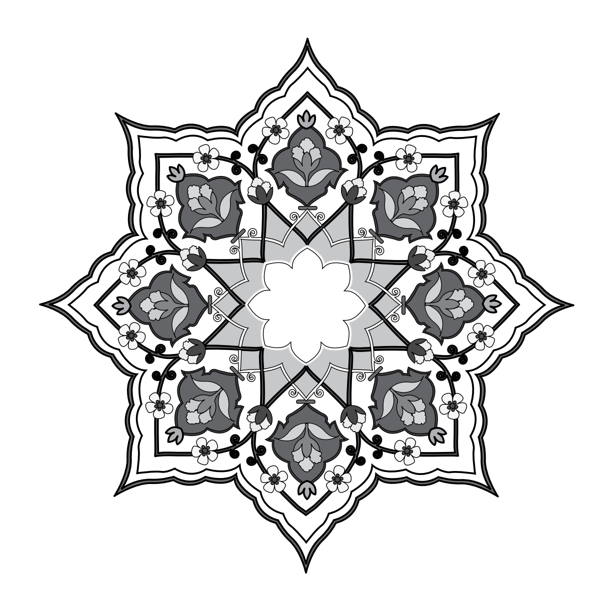
٢- جميع الروايات التي وصلت إلينا لزيارة أمين الله، لم نجد نصاً يخصصها بوقت، بل ظاهر الألفاظ الإطلاق، بل يمكن أن يزار بها عند أي مشهد من مشاهد الأئمة المشرفة.

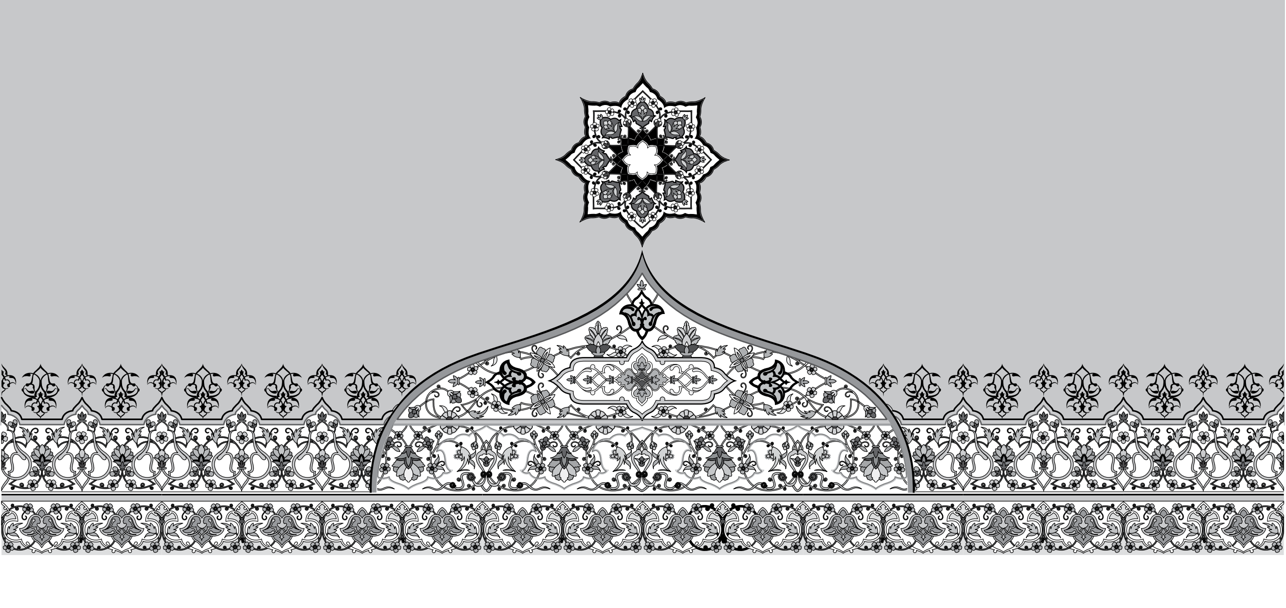
وفي كل الأحوال، فإن ليوم الغدير خصوصية تدور مدار عنوانه كيوم فيه ذكرى حادثة حديث الغدير، وكرامة لهذا اليوم ومن أجل التعريف به والارتباط به، يغفر الله لزائريه، فقد قَالَ الرِّضَا عليه السلام: «**حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عليه السلام، قَالَ: إِنَّ يَوْمَ الْغَدِيرِ فِي السَّمَاءِ أَشْهَرُ مِنْهُ فِي الْأَرْضِ**»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، إِلَى أَنْ قَالَ: «**يَا ابْنَ أَبِي نَصْرٍ، أَيْنَ مَا كُنْتَ فَاحْضُرْ يَوْمَ الْغَدِيرِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَإِنَّ الله تَعَالَى يَغْفِرُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَمُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ذُنُوبَ سِتِّينَ سَنَةً، وَيُعْتِقُ مِنَ النَّارِ ضِعْفَ مَا أَعْتَقَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلَيْلَةِ الْفِطْرِ، وَلَدِرْهَمٌ فِيهِ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ لِإِخْوَانِكَ الْعَارِفِينَ، فَأَفْضِلْ عَلَى إِخْوَانِكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَسُرَّ فِيهِ كُلَّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ**»[1].

---

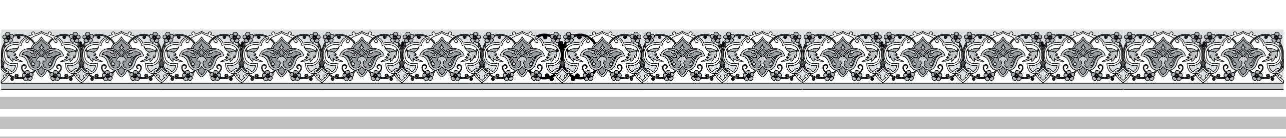
(١) مصباح المتهجد وسلاح المتعبّد: ج٢، ٧٣٨.

فيمكن أن تغتنم فرصة فضيلة يوم الغدير مع فضل زيارة أمين الله، فيزار الإمام علي عليه السلام بها فيه، فيكون ذلك نوراً على نور.





هندسة زيارة أمين اللّه



هندسة زيارة أمين الله

لكل زيارة من زيارات الأئمة وزيارات أمير المؤمنين عليهم السلام خصوصية وشخصية معنوية، ومعالم خاصة بها، لها هندسة تحقق من خلالها غاية أو عدة غايات في قالب نص رباني دقيق، له خارطته البارعة في التأثير.

لذا نرى أن بعض زيارات أمير المؤمنين عليه السلام جاءت لتعزيز الإيمان بشخصية أمير المؤمنين نفسه، ووضعه في المركب الإيماني لعقل الإنسان، وصولاً للاندماج الروحي، تحقيقاً لمقولة الدين في أن حبه والاعتقاد به هو أساس الدين الحق، ومحبته واجب أصيل من واجبات الدين الحنيف، نرى هذه المقاصد في الزيارة المروية عن صفوان بن مهران الجمّال عن الإمام الصادق عليه السلام، التي ترتبط بقضاء الحاجات من الله تعالى كرامة لأمير المؤمنين عليه السلام، والتي يبدأ نصها بـ(السلام عليك يا رسول الله... ثم السلام على مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، صاحب السوابق والمناقب...).

وفي زيارة يوم الغدير المروية عن إمامنا الصادق عليه السلام، وهي دعاء يقرأ بعد صلاة وصيام مندوب في ذلك اليوم العظيم، هذا الدعاء هو زيارة لأمير المؤمنين عليه السلام، يصوغ فيه النصُ البعدَ العقائدي في الإيمان بالولاية، صياغة برهانية نورانية، مستلة من نور القرآن الكريم، وحقائق التاريخ المنبجسة في الآفاق، لتشكل معتقداً متيناً متانة البرهان الرباني الذي لا يهتز.

كما أن لأمير المؤمنين عليه السلام زيارة ضمن زياراته العديدة، هي زيارة العارفين

حقاً، العارفين بولايته ومكانته التي رتّبه الله فيها، وهدف بناء نصها، هو شكر هذه النعمة الكبرى، من خلال سرد ألفاظ الحمد لله تعالى على أن أكرم العارفين بالهداية لولايته عليه السلام، وسرد إيمان الزائر العارف لذلك الفضل العميم والإقرار به أمام حضرته المقدّسة من خلال مفردات (الشهادات، والتسليم)، ثم الختام بالتقدير والشكر للمجهود والجهاد العظيم الذي بذله الإمام عليه السلام، ثم يذكر الزائر ما يلازم ذلك الاعتراف من التبرؤ من قتلة الأنبياء والأوصياء.

وضمن هذا السياق والفهم لتركيب الزيارة ونصوصها التي تشكل أهدافاً رسالية وواقعية في بناء العقلية المؤمنة والروحية الإيمانية، فإن قراءتنا لزيارة أمين الله التي نحن بصدد تناولها، نجد أنها تحتوي على خارطة تربوية بارعة في التأثير، فهي تأخذ الزائر إلى عالم رباني من خلال شخصية الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، لتتخلل نسائم الإيمان والصلاح إلى الروح بكل طواعية عبر تسلسل مدروس من لدن الإمام زين العابدين عليه السلام الذي زار جده أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الزيارة، فهو مهنّدس الأرواح، ومهذّب النفوس، والعارف بسبل تغذيتها وتثقيفها، عبر الحزم النورانية من الأدعية الواردة عنه. وإن تكلمنا عن إحاطته خبراً بهذه المعارف وهي مسلّمة في إيماننا، فإننا نستحضر (الصحيفة السجادية)، تلك الصحيفة النورانية، زبور آل محمد صلى الله عليه وآله، التي تصوغ حياة الإنسان من خلال الأدعية المتنوعة بتنوع اهتمامات الإنسان، في سلوكه ومكارم أخلاقه، وفي بيته وبين أهله، وفيما بينه وبين خالقه، وفي تقلبات الأيام، وما يتطلع إليه الداعي من هموم وتحديات، حتى صارت صحيفته السجادية المباركة أبلغ الدروس التي تزكّي النفوس، وتهذّب الإنسان، وتضيء له الطريق في أحلك الظروف.

أهداف زيارة أمين الله

إن العنوان الذي نعنون به زيارة أمين الله عبر ما تصبو إليه من أهداف واقعية، هو بناء الشخصية المسلمة عبر نموذج الإيمان بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام بشكل خاص، والإيمان بالأئمة من بعده بشكل عام، ولأن الزيارة جاءت بمواصفات الإمام عليه السلام ما يمكن أن يشترك فيها سائر الأئمة، ويزار بها جميع مراقد الأئمة الطاهرين، فهذا يعني أننا ننطلق في بناء الشخصية من خلال الإيمان بالمعصوم، وأثر الانعكاسات المعنوية والمعرفية لشخصيته على الإنسان المؤمن.

إن نص الزيارة يأخذ الزائر إلى رحلة نورانية في بناء معرفي متسلسل لشخصيته، ولكن عليه أن يعي مضامينه، كي يحقق الغايات المطلوبة من رسالية هذا النص المقدّس، كي لا تكون زيارته مجرّد ألفاظ عابرة تمر على اللسان دون أن تلامس شغاف القلب، كمن يصلي وليس له من صلاته إلا التعب، وكمن يصوم وليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، فالزيارة التي لا يلتفت الزائر إلى مضامينها لن تؤتي أكلها ولن تؤدّي مفاعيلها في شخصيته، وهذا البعد من الأبعاد المهمة جداً في بناء الزيارات للمعصومين عليهم السلام.

لا شك أن لألفاظ الذكر بشكل عام تأثيراً في نفس الإنسان من نواحي عدة، حتى ولو كان جاهلاً، منها الاطمئنان النفسي، أو الفائدة الجزئية والتدريجية عبر فهم عبارة أو عبارتين، إلا أننا في معرض التطلّع إلى الاستفادة الواعية والأكثر وعياً من هذه النصوص النورانية المقدّسة، وكي لا نكون ممن ضيّع هذه الكنوز الغالية، فتصيبنا الحسرة والندامة، يوم لا ينفع الندم.

التسلسل المنهجي لزيارة أمين الله

تسلسل زيارة أمين الله في أربعة أقسام، وهي كالتالي:

١- (قسم السلام) في رحاب أمين الله

القسم الأول من الزيارة يأخذ الرّوح في سياحة إلى شخصية الإمام علي عليه السلام في صفاته الإيمانية العظمى، لتتجسّد أمام الزائر صورة المثال الذي ترنو إليه كل النفوس وتشرأبّ له الأرواح.

٢- (قسم الدعاء) بناء الشخصية

في القسم الثاني من الزيارة ينتقل الخطاب من مخاطبة أمير المؤمنين عليه السلام بالتسليم عليه إلى مخاطبة الله العلي القدير بالدعاء؛ لتسرح النفوس في ساحة القدرة الإلهية، مستنزلة المعين الذي يبلّغها ويقرّبها ناحية مواصفات الإمام علي عليه السلام سيد الكمال البشري، الذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير.

٣- (قسم المناجاة) استسقاء العارفين

وبعد رحلة الاستنزال بالدعاء، يأتي القسم الثالث في عبارات الحمد والثناء على الله تعالى، كمناجاة تتجلّى فيها الأبواب المفتوحة للولوج منها إلى الله، وذلك ببيان القابليات التي أودعها الله في الإنسان لدخول تلك الأبواب، وبيان انفتاح أبواب السماء كتعبير عن واسع رحمة الله التي تجتذب المؤمن إليها.

ومن الأهمية بمكان أن نحدّد ماهية هذا القسم لكي نتعرّف على معاني عباراته

بشكل دقي، ولكي نتعرّف على سياقها ضمن الزيارة، ومكانتها البنيوية في تكاملية النص، فمن حدّد أن هذا القسم هو من الدعاء العام كما في القسم الثاني، فإنه قد يذهب بعيداً في تفسير العبارات، مما لا يمكّنه من توصيفها بشكلها الصحيح بحيث تشعر بالإضراب بين المعاني، لذا فنحن بيّنا أن هذا القسم هو من المناجاة التي يخاطب فيها الإنسان ربه بالثناء عليه، والثناء هنا بنحو يناسب المقصد من الزيارة، أي بذكر منافذ النور التي يمكن للزائر أن ينفذ منها لساحة الرحمة الإلهية، وهذا ما أشار إليه نص الزيارة في قسمها الأخير في عبارة (واقبل ثنائي)، فهذا هو الثناء الذي يطلب أن يقبل منه.

ولا شك أن الإنسان لا يلقي الثناء لمجرد الثناء، إنما لأن الثناء هو ذكر صفات الله تعالى، ومن خلال صفاته يرسم الإنسان تطلعاته الربانية.

٤- (قسم الطلب) غاية المأمول

وفي القسم الرابع يقدّم الزائر طلبه لله تعالى بشكل مباشر، لكي يكون كتلك النماذج المعصومية أو يكون معهم، فينصرف مقضي الحاجات، مستجاب الدعوات، مكفي الهموم، وعلى الأخص آمال الانتصار النهائي لكلمة الحق على كلمة الباطل.

سر الانتقال من السلام إلى الدعاء

قد يثير تعجّب البعض من مكوّن النص لزيارة أمين الله في أقسامه، حيث أنه نص زيارة وقد زار بها الإمام زين العابدين عليه السلام، إلا أن عنصر الزيارة من خلال التسليم على أمير المؤمنين عليه السلام بدا قصيراً نسبة لبقية الأقسام، والتي جاء فيها

الدعاء والمناجاة، وربما يُعزى سبب ذلك إلى أن الإمام عليه السلام كان في حال التقية الحرجة، وبما أن قبر أمير المؤمنين عليه السلام لم يعلن عنه بعد، فإن الإمام قد بدأ بالزيارة، ثم تحوّل إلى صيغة الدعاء بعد أن شاهد جنود النظام، لكي لا يشعر به أحد أنه كان يزور قبر الإمام علي عليه السلام.

وهذه الإجابة هي محض تحليل، وقد جيء بالقصة من نسج خيال تحليلي، فلم نجد من ذكر هذا من العلماء، وإن وجد، فإننا لم نجد في كافة المرويات التي بين أيدينا أي ذكر لهذه الحادثة، فغاية ما ذكرته الروايات أن الإمام عليه السلام كان يزور القبر في الكوفة متخفياً بحيث لا يشعر به أحد، وقد روى هذه الحادثة مع نص الزيارة الإمام الباقر عليه السلام الذي كان يرافق أبيه، ولم تكن في الرواية وسائر الروايات أدنى إشارة إلى ذلك.

لعل من ذهب إلى ذلك، كان بداعي البحث عن إجابة لما أثار تعجّبه من أنها زيارة، ولكن في بنيتها النصية لم تكن الزيارة إلا في مقدمتها كجزء يسير، وأن الدعاء كان غالباً عليها، والحال أن ذلك لا يكون مستغرباً عند من تفحّص نصوص زيارات المعصومين عليهم السلام، وتلمّس التنوّع في نصوصها، فمن الزيارات ما نصها قصير، ومنها ما هو متوسط، ومنها ماهو طويل، ومن الزيارات ما يداخله الدعاء بأنحاء متعددة، سواء توسلاً بصاحب القبر، أو بتوجّه لله تعالى بالدعاء، كتعدد في نوع الخطاب، وقد ينتقل الزائر في نص الزيارة إلى الدعاء في وسطه ثم يرجع لكلمات السلام أو غير ذلك، وقد يكون الدعاء في ختام النص، وغير ذلك، وهذا يمكن ملاحظته في العديد من زيارات الإمام الحسين عليه السلام، فلا غرابة ولا عجب من أن تكون زيارة أمين الله بهذه البنية الخاصة بها.

وإذا عرفنا أن من أهداف الزيارة، إضافة لتجديد العهد مع المزور، والمواساة، وغيرها، فهي أيضاً لبناء الإنسان وربطه بإمامه، فمقتضى التواصل الرسالي مع الإمام هو أن يستلهم منه روح الإيمان وقيم الدين والمواقف الثابتة مع الحق، وإذا تفحّصنا نص زيارة أمين الله، سنجد أنها تحقق هذه الغايات بأسلوب بليغ، فالتساؤل الذي ينبغي أن يطرح هو: ماهو سر الانتقالة بين أقسام الزيارة، فإن عُرف فبها ونعمت، وإن لم يعرف فلا غرابة من ذلك، ومع هذا فقد بيّنا من خلال قراءتنا للتسلسل المنهجي للزيارة فيما سبق، الهندسة الربانية لهذه الزيارة، والسر في تعدّد الخطاب والانتقالة من فقرة السلام وهو استظهار المثال المقدّس، ثم الدعاء للاقتراب من ذلك المثال في صفاته، ثم المناجاة والثناء على الله بما فتح من أبواب ليصل الإنسان لمبتغاه، ويختم في القسم الأخير بطلباته المباشرة وأهمها قبول ما ردّده والخلاص مع الحق. ومن هنا نكتشف مدى الدقة في تنوّع الخطاب وانتقالاته في هذه الزيارة المباركة.

إن سر التأثير لزيارة أمين الله كما هو حال الكثير من الزيارات، يتمثّل في الانطلاق من المثال المحبّب للنفوس والرمز الذي تشرأبّ له الأرواح في كماله عبر السلام عليه، ومن ثم الانتقال إلى طور الدعاء، الصاعد إلى السماء المتوجّه به إلى الله عزّ وجل.

والسلام – كما سنوضح – هو عبارة عن صفاء العلاقة بين الزائر والمزور، وعبارة عن اقتران روحي مسالم مع نور الإمام المعصوم عليه السلام، وعندما تتكون هذه الحالة في نفس الزائر يحصل الاقتران الروحي، فترنو نفس الزائر وتتطلع إلى التحليق نحو نور الإمام الصاعد نحو السماء، وهنا يجيء دور الدعاء، وهو امتثال الحاجات والنواقص التي تستشعرها النفس أمام كمال النور الرباني للإمام، فيستجمعها ليقدّمها بين يدي ربه عزّ وجل آملاً في تلبيتها إليه.

والدعاء نفسه ليس مجرّد تمنّي حصول الغايات الرفيعة، وسد النواقص المانعة، وإنما الدعاء بمفهومه الرسالي الصحيح هو مزيج بين الطلب والسعي، فيسعى الزائر لتوفير المقدّمات ويهيئ في نفسه ما يمكنه استقبال وانفعال طلباته تلك، فهذه هي المعادلة في التأثير العجيب للزيارة على نفس الزائر من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم.

الرجعة لنصرة القائم المهدي عليه السلام

إنّ رحلة الروح الإنسانية في زيارة أمين الله متجهة ناحية الارتقاء إلى تسلّم الأمانة، فتكون الشخصية رسالية في الحياة كما كانت شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، وهو بذلك يترقّى ويترقّى في مدارج الكمال، ليتأهل لنيل رضوان الله ورحمته ويدخل برساليته وروحه المتسامية في جنود الإمام القائم المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وهذا هو كمال البشر دون المعصومين عليهم السلام أي التشرّف بأن يتوّج بتاج أنصار الإمام الحجة عليه السلام، ويؤكد الوصول إلى هذا الهدف قول الإمام الباقر عليه السلام في آخر زيارة أمين الله معلّقاً: «**مَا قَالَهُ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا عِنْدَ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَوْ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام، إِلَّا وَقَعَ فِي دَرَجٍ مِنْ نُورٍ، وَطُبِعَ عَلَيْهِ بِطَابَعِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، حَتَّى يُسَلَّمَ إِلَى الْقَائِمِ عليه السلام، فَيَلْقَى صَاحِبَهُ بِالْبُشْرَى وَالتَّحِيَّةِ وَالْكَرَامَةِ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى**»[(١)].

إنّ مجريات الأحداث في عصر الغيبة تتجه نحو غربلة المؤمنين، فما أكثر الفتن وأشدّها على المؤمنين، فمن ينجو منها فهو في فلاح ما بعده فلاح، وأي غاية أفضل من أن يختم على المرء بخاتم النبي صلى الله عليه وآله كتعبير عن كمال دين الله الخاتم في

---

(١) مصباح المتهجد: ج٢، ص٧٣٩.

إيمانه، ماضياً على نهج النبي صلى الله عليه وآله غير ناكر لسننه، ثم يسلّم صافياً من كل كدر إلى مولاه الإمام الحجة المنتظر عليه السلام الذي يقود راية الدين في آخر الزمان وينشرها في ربوع الأرض، محققاً القسط والعدل بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، هذا الاتصال بين النبي صلى الله عليه وآله الخاتم، وبين الإمام الخاتم هو الإيمان الكامل الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله: «**من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني**»(١).

ولذا فإن معرفة الدين والهداية، والأمن من الضلالة، ملخّصة في معرفة النبي والحجة بعد معرفة الله تعالى، كما في الدعاء الوارد عن الإمام الصادق: «**اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي**»(٢).

ففي نهاية المطاف، نكتشف أن الذي تروم زيارة أمين الله أن تحقّقه في الزائر، هو تأهله وخلوصه الإيماني، ليسلّم إلى إمامه القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف راضياً عنه، سليم الإيمان، نقي الروح، قد تخطّى كل الامتحانات التي مرّت عليه، فذلك هو الفرج الحقيقي.

رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: مَتَى يَكُونُ فَرَجُكُمْ؟ فَقَالَ: «**هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، لَا يَكُونُ فَرَجُنَا حَتَّى تُغَرْبَلُوا، ثُمَّ تُغَرْبَلُوا، ثُمَّ تُغَرْبَلُوا**»، يَقُولُهَا ثَلَاثاً، «**حَتَّى يُذْهِبَ [الله تَعَالَى] الْكَدِرَ وَيُبْقِيَ الصَّفْو**»(٣).

(١) تاريخ الغيبة الكبرى: ج٢، ص٢٨٨.

(٢) الكافي، الكليني: ج١، ص٣٣٧.

(٣) الغيبة، للطوسي: ص٣٣٩.

وإذا كان الزائر بزيارة أمين الله يُسلّم إلى القائم، فهذا يعني أنه إما أن يوفق في مد عمره لظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإما أن يخرج من قبره بعد موته، مؤتزراً كفنه شاهراً سيفه ملبية دعوة الداعي عند الظهور المقدّس، وهذا معناه أنه يحضى بالانضمام إلى زمرة من تشملهم الرجعة، وأي شرف أعظم من أن يكرّ راجعاً من بعد موته إلى العالم مرة أخرى ليتشرّف بنصرة إمام زمانه، فلا يرجع إليها إلا الأندر من النادر، ولا يوفق لها إلا الأكرم من الكرام، والأفضل من أهل الفضل، وهو اجتباء إلهي لا يسبقه فضل، وهذا ما يجعل زيارة أمين الله من أعظم الزيارات وأجلّها فضلاً، وأعودها مردوداً على الزائر.

وكذلك استظهر هذه الفضيلة الحر العاملي في كتابه (الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة)، قائلاً: (الظاهر أنه يسلّم إلى القائم عليه السّلام بعد ظهوره بقرينة الطبع وغيره، وان ضمير (يلقى) عائد إليه عليه السّلام، بل لا يحتمل غير ذلك، وهو وعد بالرجعة وإخبار بها لمن زار بالزيارة المذكورة على تقدير موته قبل خروجه عليه السّلام. مضافاً إلى التصريحات الكثيرة)[1].

إنّ من يوفق للرجعة هم المؤمنون الخلّص، فمنهم من كان من الأنبياء ومن حاوريهم، ومنهم من الأئمة عليهم السلام وخاصة أصحابهم، والفرصة مفتوحة لكل خالص مخلص ليأهل ويدخل ضمن فوج الراجعين لنصرة الإمام، فعندما ذكر النبي صلى الله عليه وآله لسلمان الإمام المهدي عليه السلام، (قال له: «**يَا سَلْمَانُ، إِنَّكَ مُدْرِكُهُ، وَمَنْ كَانَ مِثْلَكَ، وَمَنْ تَوَلَّاهُ بِحَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ**». قال سلمان: فشكرت الله كثيرا ثم قلت: يا رسول الله وإني مؤجل إلى عهده؟ قال: «**يَا سَلْمَانُ**

(١) الإيقاظ من الهجعة في البرهان على الرجعة، الحر العاملي: ص٢٣٧.

اقْـرَأْ ﴿ فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وكانَ وَعْداً مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وبَنِينَ وجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾[1]».

قال سلمان: فاشتد بكائي وشوقي، ثم قلت: يا رسول الله، أبعهد منك؟ فقال: «**إِي والله، الَّذِي أَرْسَلَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ، مِنِّي ومِنْ عَلِيٍّ وفَاطِمَةَ والْحَسَنِ والْحُسَيْنِ والتِّسْعَةِ، وكُلِّ مَنْ هُوَ مِنَّا ومَعَنَا، ومُضَامٌّ فِينَا، إِي والله يَا سَلْمَانُ، ولَيُحْضُرَن إِبْلِيسُ وجُنُودُهُ، وكُلُّ مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ مَحْضاً ومَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضاً، حَتَّى يُؤْخَذَ بِالْقِصَاصِ والْأَوْتَارِ، ولَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً، ويُحَقِّقُ تَأْوِيلَ هَذِهِ الْآيَةِ:** ﴿ ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ * ونُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ونُرِيَ فِرْعَوْنَ وهامانَ وجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[2]».

قال سلمان: فقمت من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وما يبالي سلمان متى لقي الموت، أو الموت لقيه)[3].

وروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في الرجعة: «**إنما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم عليه السلام من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، فأما ما سوى ذلك فلا رجوع لهم إلى يوم المآب**»[4].

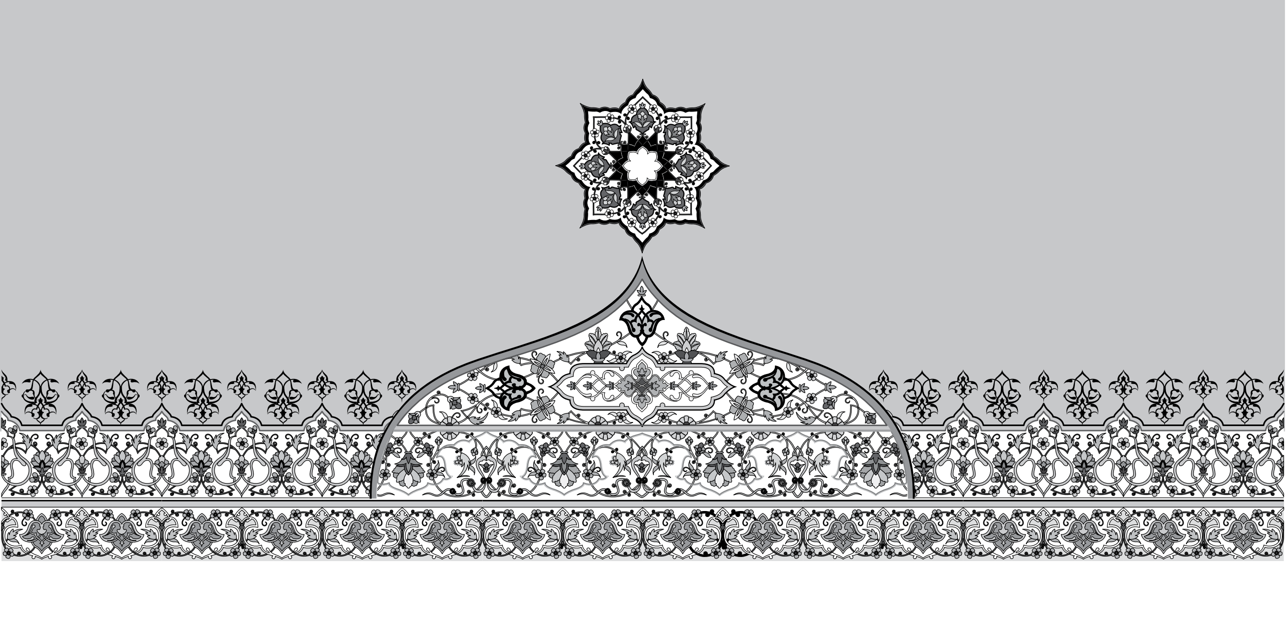
---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٥-٦.

(٢) سورة القصص، الآيتان: ٥-٦.

(٣) دلائل الإمامة، الطبري: ص٤٤٩.

(٤) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الحر العاملي: ج٥، ص٢٠٥.



في رحاب أمين الله شرح الزيارة (قسم السلام)

محطات ولوحات في حياة أمير المؤمنين عليه السلام

جاء في بداية زيارة أمين الله: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ الله فِي أَرْضِهِ، وَحُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ. [السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ]. أَشْهَدُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِي الله حَقَّ جِهادِهِ، وَعَمِلْتَ بِكِتَابِهِ، وَاتَّبَعْتَ سُنَنَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله، حَتَّى دَعَاكَ الله إِلَى جِوَارِهِ، وَقَبَضَكَ إِلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ، وَأَلْزَمَ أَعْدَاءَكَ الْحُجَّةَ - فِي قَتْلِهِمْ إِيَّاكَ - مَعَ مَا لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَةِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ**».

لوحات الكمال

في بداية زيارة أمين الله يستعرض الزائر عدّة لوحات كمالية لأمير المؤمنين عليه السلام، من خلال السلام عليه ومناداته بتلك الأوصاف التي هي عبارة عن ما يؤمن به الزائر تجاه إمامه، والسلام هنا يعني أن الزائر في علاقة سليمة مع كل تلك المواصفات، وحالة مواءمة بين نفسه وفكره وعقيدته، وبين ما يردّده من عبارات هي عبارة عن لوحات ومشاهد من حياة الإمام علي عليه السلام، واعترافاً بفضله وجهوده التي بذلها في جنب الله تعالى، فأول خطوة هي تمثّل واستحضار تلك المشاهد الكمالية، والوقوف عند محطاتها من أجل الاستلهام منها، كي تحاول النفوس أن تطير بهمتها ناحيتها.

اشتياق وعناق الأرواح

قال أبو جعفر عليه السّلام: «**مضى أبي إلى قبر أمير المؤمنين عليه السّلام بالمجاز وهو من ناحية الكوفة فوقف عليه ثمّ بكى**». ثم ذكر الزيارة.

البكاء عنوان للاشتياق الكبير، والدموع عناق صافٍ في عالم الأرواح، كذا هو وقوف الزائر أمام قبر الإمام عليه السلام، مستحضراً ما وقع عليه من المصائب، وما تحمّل من آلام، وما تجرّع من غصص، وما أنزله فيه الدهر من حال، كما يستحضر قائمة المقامات، وعلامات العظمة، وسجايا السمو في شخصية الإمام المزور، لابد من هذه اللحظات التي تخلق حالة تماس روحي مع الإمام عليه السلام، فتتعانق الأرواح وتتزوّد من منبع الزاد. إن خشوع القلب ودمع العيون علامات لحصول الاتصال الروحي، لذا فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في إذن الدخول في زيارة الإمام الحسين عليه السلام قوله: «**فَإِنْ خَشَعَ قَلْبُكَ وَدَمَعَتْ عَيْنُكَ، فَهُوَ عَلَامَةُ الْإِذْنِ فَادْخُل**»[1].

وهكذا في الدعاء، الدموع هي المعبر والمنفذ إلى سماء العظمة، واستنزال غيث الرحمة الإلهية.

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «**اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرِّقَّةِ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ**»[2].

وقال الإمامُ الصَّادِقُ عليه السلام: «**إِذَا اقْشَعَرَّ جِلْدُكَ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاكَ، وَوَجِلَ قَلْبُكَ، فَدُونَكَ دُونَكَ، فَقَدْ قُصِدَ قَصْدُك**»[3].

---

(١) مصباح المتهجد: ج٢، ص٧٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٠، ص٣١٣.

(٣) عدة الداعي: ص١٦٧.

في معنى السلام

لقد قيل[1] إن السلام هو التحية الإسلامية المعروفة عندما تقول (السلام عليكم)، وبناء على ذلك سيكون معنى السلام هو التحية بين طرفين كحالة تواصل اجتماعي، القصد منه التقارب والائتلاف وتعزيز المودة بين الطرفين، وقيل إن السلام جمع السلامة، فالسلام هو السلامة من جميع الآفات[2]، وقيل في هذا المعنى: (السلامة عن النقائص والمضار وإعطاء الكمالات، هكذا في جميع الموارد، الدعاء الذي كان في مقام الإنشاء)[3].

فبالرجوع للأصل اللغوي وللاستعمالات اللغوية والوضع الشرعي المتنوع، نرى أن السلام يتعدّد معناه، ويتحدّد معناه الدقي بحسب سياق الكلام وموضعيته من الزيارة، بل ويتعدّد بتعدّد الجهة التي يسلّم عليها، فينطلق الشارع المقدس ليعطي تحية السلام بين المؤمنين معاني وآفاق السلامة في العلاقة فيما بينهما، فإلقاء التحية بالسلام يعني اعترافاً بالعلاقة السليمة والآمنة من كل ما قد يشوبها بحسب طبيعتها كعلاقة اجتماعية، نجد ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وآله التالي:

عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «**يَا فَضْلُ هَلْ تَدْرِي مَا تَفْسِيرُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله؟ مَعْنَاهُ عَلَى عَهْدِ الله وَمِيثَاقِهِ أَنْ لَا أَغْتَابَكَ وَلَا أَعِيبَ عَلَيْكَ مَقَالَتَكَ وَلَا أُرِيدَ زَلَّتَكَ فَإِذَا رَدَّ عَلَيْهِ**

(١) اقتبسنا قسم معنى السلام باقتضاب، من كتابنا زيارة الإمام الحسين، سماتها الربانية وآثارها التربوية.

(٢) لسان العرب: ج١٢، ص٢٩٠ باب سلم.

(٣) صداق الحور في شرح زيارة العاشور: ص٢٣، السيد حسن الساروي المازندراني، ت١٣٥١هـ، ترجمة وتحقيق: أحمد بن حسين العبيدان الإحسائي، مكتبة فدك لإحياء التراث،ط١، ١٤٣٥هـ.ق.

وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ يَقُولُ لَكَ عَلَيَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله والله شَهِيدٌ عَلَى مَا يَقُولُون»[١].

السلام في الزيارة

إنّ السلام نقيض الحرب، وبه يتبدّد الخوف والوجل، وهو مباين للنقص والضرر، وهو يعني أن يكون الإنسان في حال ملائم ومناسب من جميع الجوانب، فلا نقص فيما يحتاج إليه ولا زيادة تضر به، تماماً كما تحوّلت النار التي قذف فيها نبي الله إبراهيم بقصد تحريقه إلى برد وسلام بفضل الله تعالى، ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٢]، فأصبحت مكاناً ملائماً للحياة، وكان في ذلك نجاة للنبي إبراهيم عليه السلام.

فالسلام نجاة من الهلكة والعذاب وكل سوء، فعندما أنزل الله تعالى العذاب على قوم لوط بعد أن جاؤوا بالفاحشة التي لم يسبقهم فيها أحد من العالمين، أنجى الله تعالى لوطاً ومن آمن معه ونشر عليهم السلام، حيث قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ﴾[٣].

وكذا في قصة نوح التي يحكيها لنا القرآن الكريم، فقد أنجاه الله تعالى وسلّم عليه كجزاء لجهوده في تبليغ الرسالة، وإحسانه على الناس، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ

---

(١) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: ص١٩٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

(٣) سورة النمل، الآية: ٥٩.

* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾(1).

كما أن الآخرة هي دار السلام إذ ينزل الله فيها السلام على المؤمنين استحقاقاً وفضلاً منه عزّ وجلّ: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾(2)، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، كما في قوله عز من قال: ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾(3)، فهو تعالى مصدر السلام، حيث يقول: ﴿ إِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾(4)، حيث ينشر روح السلام في الأجواء التي يعيشها الإنسان المؤمن.

لهذا نلقي السلام على المؤمنين وعلى المرسلين، لأنه عنوان رحمة الله تعالى على خلقه، كما في قوله تعالى: ﴿ سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾(5)، وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**يَا أَنَسُ سَلِّمْ عَلَى مَنْ لَقِيتَ يَزِيدُ اللهُ فِي حَسَنَاتِكَ وَسَلِّمْ فِي بَيْتِكَ يَزِيدُ اللهُ فِي بَرَكَتِكَ**»(6)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(7).

---

(1) سورة الصافات، الآيات: ٧٥-٨٢.

(2) سورة الرعد، الآية: ٢٤.

(3) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(4) سورة النور، الآية: ٦١.

(5) سورة يس، الآية: ٥٨.

(6) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٣، ص٣، ح٥.

(7) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

فإلقاء السلام على الآخرين هو وضع مفهوم السلام المعبّر عن الرحمة في البين، كرابط للعلاقة أو محدّد لهوية تلك العلاقة السليمة التي ينبغي أن تكون بين المؤمنين وهي التواد والتراحم والتعاون والتوحّد والمحبة وبذل الخير لهم، كما رسمها الإسلام في كافة تعاليمه وأحكامه.

فكما يتنزل السلام من الله على الأنبياء والمرسلين في ساحة حركتهم الرسالية في مواجهة الطواغيت والمكذّبين للحق، كما قال تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[5]، فإنّ الله تعالى ينزل السلام على من سار على نهجهم واتبع أثرهم، حيث يقول: ﴿وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[6].

ويتأكّد السلام في مواضع كما قال تعالى عن نبيه يحيى: ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾[7]، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «**إِنَّ أَوْحَشَ مَا يَكُونُ هَذَا الْخَلْقُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: يَوْمَ يُولَدُ وَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ فَيَرَى الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَمُوتُ فَيَرَى الْآخِرَةَ وَأَهْلَهَا، وَيَوْمَ يُبْعَثُ فَيَرَى أَحْكَاماً لَمْ يَرَهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَقَدْ سَلَّمَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى يَحْيَى فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَوَاطِنِ وَآمَنَ رَوْعَتَهُ فَقَالَ** ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ

(١) سورة الصافات، الآية: ٧٩.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٩.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٢٠.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٣٠.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٨١.

(٦) سورة طه، الآية: ٤٧.

(٧) سورة مريم، الآية: ١٥.

وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ وَقَدْ سَلَّمَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام عَلَى نَفْسِهِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَوَاطِنِ فَقَالَ: ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ »[1].

نلخّص ما سقناه من دلالات السلام في الاصطلاح الديني، من خلال ذكر الآفاق التي تستظهر منه في وعي الزائر لتحقيق آثاره عليه، والآفاق هي الأبعاد العملية التي تترشّح من المعنى الذي يختزل في عبارة السلام، فنحن أمام مصطلح أساسي في الدين وفي المنهج التربوي الديني، ونحن إذ ننظر لتعدد الأبعاد، فهذا من باب تقليب النظر واستكشاف المزيد من الآثار ولو من ناحية عملية لهذا الفعل أو ذاك، فكما أن صلاة المؤمن تسوقه للاقتراب من المعروف وتدفعه عن معاقرة المنكر، فهي تحقق له مراداً آخر عندما ينظر للأفق الذي يكون بينه وبين الله عزّ وجل، فسيكتشف أن الصلاة هي صلة صافية بينه وبين ربّه، فيستمد من خلالها القوة المعنوية اللازمة، ويستعين بها لمواجهة تحديات الحياة، كما أن الصلاة بالنسبة للمصلي في بعد هويته، ستكون عموداً للدين، وهكذا شأن السلام فإن له عدة أبعاد نذكرها مما ترشّح من البحث السابق.

فهنا بعدان:

١ - البعد الإلهي

وفيه ثلاثة معانٍ، هي:

أ: أن الله يفيض عليه بالسلام، وهو مستحق له، ومستوعب لكل حياته.

ب: أن العلاقة بين الله والإمام هي علاقة سلام لا شائبة فيها، لا شائبة من شرك ولا شك.

---

(١) تفسير الصافي، للفيض الكاشاني، ج٣،ص٢٧٦.

ج: أن الإمام هو النقطة التي يتوجّه إليها السلام الإلهي، ليشع منه على سائر الخلق، فالسلام أحد مصاديق الرحمة الإلهية التي تنبعث عبر أهل البيت عليهم السلام، لسائر الخلق.

٢- البعد التربوي

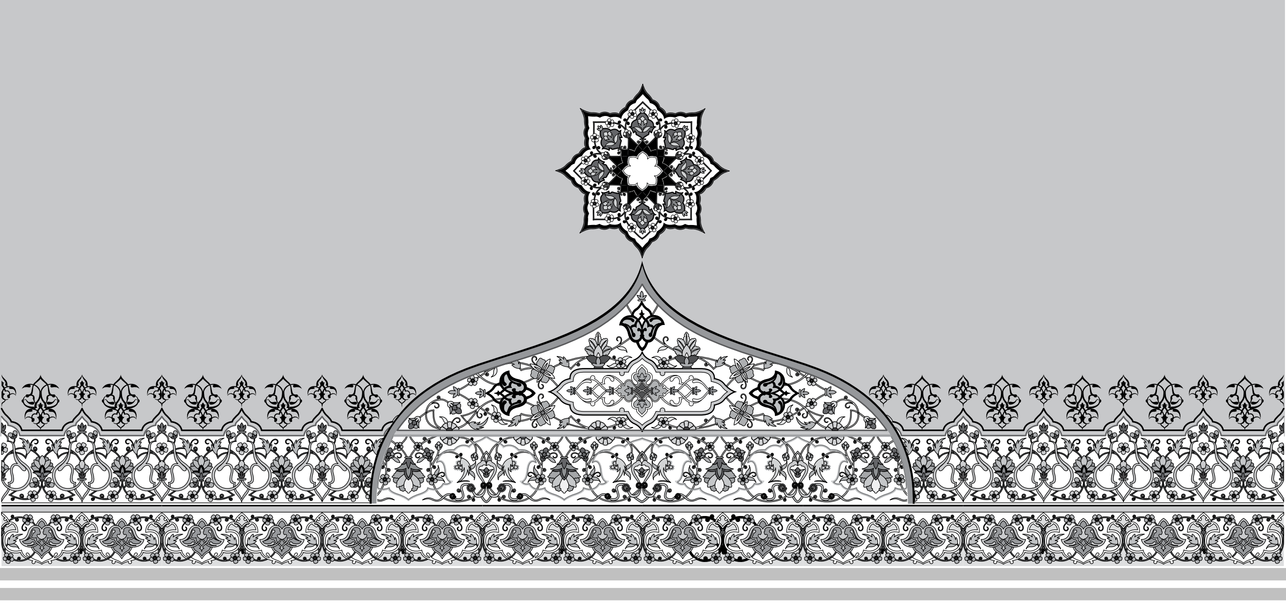
وفيه ثلاثة معانٍ:

أ: السلام يعني أن علاقة المسلم والزائر بالإمام هي علاقة سلام لا شائبة فيها، من ناحية العقيدة والتسليم له، وبين السلام والتسليم اندماج، حيث إن السلام مصدر التسليم.

وهو هنا بمعنى الدعاء، أي أنه يسأل الله تعالى أن يجعل علاقته علاقة سلام مع الإمام، وهو بمعنى الإقرار، أي هو معترف أنه في واقعه متسالم مع الإمام، وكلا المعنيين مطلوبان.

ب: السلام بمعنى إظهار الموقف تجاه الإمام، والتموضع في الانتماء للإمام في مواقفه، فهذا يعني الإيمان بقضية أهل البيت عليهم السلام كما يكرّر المقولة: إني سلم لمن سالمكم، وعدو لمن عاداكم، إلى يوم القيامة.

ج: السلام على الإمام كتحية وتعظيم، وهي استدعاء لروح الإمام والتلاقي الروحي معها.



(١)

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللّه فِي أَرْضِهِ

السلام: مرّ شرحه مفصلاً، فالمعنى هو السلامة بين الطرفين، والتسليم على الإمام عليه السلام يعني اقتران سليم مع الإمام من كافة النواحي، وهو في ذات الوقت دعاء وتطلّع بأن تكون علاقته بالإمام علاقة سليمة.

أمين: الأَمَانَةُ: نَقِيْضُ الخِيَانَةِ، وهو مَأْمُوْنٌ وأَمِيْنٌ ومُؤْتَمَنٌ. والفرق بين الأمين والمأمون: أن الأمين الثقة في نفسه، والمأمون الذي يأمنه غيره.

تبدأ الزيارة بمد القلوب بالسلام لتصافح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في صفة من أسمى صفاته الربانية، وهي أنه أمين الله في أرضه، فهو الطريق المأمون من قبل الله تعالى على دينه، كما أن جبريل أمين في نقل الوحي من رب الجلال إلى قلب رسول الله

صلى الله عليه وآله، فينقله كما شاءت الإرادة الإلهية له أن ينزل، كلمة بكلمة وحرفاً بحرف، لا يزيد ولا ينقص، - كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[١].

وتنتقل الأمانة في مفهومها إلى النبي صلى الله عليه وآله فهو الأمين في تبليغه الرسالة كما أرادها الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[٢]، فلا يتقوّل على ربه ولا يخفي ما أمره الله به، ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[٣]، حتى وصل إلى الانطباق التام في كل أقواله وحركاته مع الوحي الإلهي بدقة متناهية، فانحصر نطقه ومنطقه تحت إرادة الوحي الإلهي، فقال تعالى عنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[٤].

إن من أهم الضمانات التي جاء بها أنبياء الله إلى أقوامهم، هي أنهم صرّحوا بأنهم أمناء الله، وقد جاء في كتاب الله على ألسنتهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[٥].

هذه مقولة نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى عليهم السلام، كل ذلك تأكيداً على الانطباق التام بين ما أراده الله تعالى أن ينزل، وما نزل بالفعل لأهل الأرض، وهذا الانطباق التام في الأمانة يسري إلى الإمام علي عليه السلام، فهو أمين

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢-١٩٤.

(٢) سورة التكوير، الآيات: ١٩-٢١.

(٣) سورة الحاقة، الآيات: ٤٣-٤٦.

(٤) سورة النجم، الآيات: ٣-٥.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٤٣.

الله في أرضه على أهل الأرض، والأمانة هذه هي حفاظ على وديعة رب العالمين، وهي دينه الذي ارتضاه للعالمين، لأن الأمين هو الذي إذا أودعت لديه الأمانة حافظ عليها أشدّ الحفظ، فلا يتصرّف فيها ولا ينقصها ولا يبدلها بأي نحو من الأنحاء، وأمانة أمير المؤمنين عليه السلام هي امتداد لأمانة الرسول صلى الله عليه وآله، في حمل الرسالة بعده من خلال الولاية التي لا تختلف عن مهام الرسالة إلا في أنها لا وحي نبوي جديد فيها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[1].

إننا نقف أمام مشهد رباني مهيب، يتمثل في أن أمير المؤمنين عليه السلام له ذلك الامتداد النوراني مع السماء، فصار حبل الله المتين، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، وتجلبب بهيبة رسول الله صلى الله عليه وآله في أمانته العظيمة، فأي شخصية هي تلك التي كانت لأمير المؤمنين عليه السلام، تسامت في العروج، حتى صارت نفسه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بنص القرآن الكريم[2]، ولذا فإن كل ما يقوم به الإمام عليه السلام هو مأمون موثوق مرتبط بالله كما يريده الله تعالى، فلا يخطئ فيما يقول أو فيما ينتهجه من نهج، فهو محل القدوة لمناهج الحياة كلها، وهذا معنى العصمة وحقيقتها.

(أمين الله)، أي اختاره الله تعالى لتحمّل الأمانة، ولا يسلّم الله تعالى أمانته إلا لمن أحاط به علماً، بمعدنه وأصالته، بقوة إيمانه وهديه، باستقامته التي لا تحيد، كضمانة أبدية تمكّنه من إيصال الأمانة إلى أهل الأرض بأجمعهم، ولأن الله عليم بما يعمل،

(١) المحاسن، البرقي: ج١، ص١٥٩، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) إشارة إلى الآية ٦١ من سورة آل عمران.

وحكيم فيما يحكم، فإننا ضامنون أن كل الأمانة التي استودعها رسوله الكريم صلى الله عليه وآله قد أودعها قلب علي أمير المؤمنين عليه السلام، فالأخذ منه، أخذ من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو أخذ من الله عزّ شأنه.

فهو (أمين الله في أرضه)، فلا يمكن أن يجد الباحث مهما جدّ البحث، على أمين آخر في كل الأرض غير الإمام علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أما بعده فالأمانة متصلة في الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

لنستمع إلى الإمام زين العابدين عليه السلام يحدثنا عن أمانتهم لله في الأرض.

فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نَجْرَانَ قَالَ: كَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام رِسَالَةً، وَأَقْرَأَنِيهَا، قَالَ: «**قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: إِنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله كَانَ أَمِينَ الله فِي أَرْضِهِ، فَلَمَّا قُبِضَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَثَتَهُ، وَنَحْنُ أُمَنَاءُ الله فِي أَرْضِهِ، عِنْدَنَا عِلْمُ الْبَلَايَا وَالْمَنَايَا، وَأَنْسَابُ الْعَرَبِ، وَمَوْلِدُ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاهُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَحَقِيقَةِ النِّفَاقِ، وَإِنَّ شِيعَتَنَا لَمَكْتُوبُونَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، أَخَذَ الله عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ، يَرِدُونَ مَوْرِدَنَا، وَيَدْخُلُونَ مَدْخَلَنَا، نَحْنُ النُّجَبَاءُ، وَأَفْرَاطُنَا أَفْرَاطُ الْأَنْبِيَاءِ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَوْصِيَاءِ، وَنَحْنُ الْمَخْصُوصُونَ فِي كِتَابِ الله، وَنَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بالله، وَنَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ الله، وَنَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِدِينِ الله، وَنَحْنُ الَّذِينَ شَرَعَ لَنَا دِينَهُ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ:** ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ - يَا آلَ مُحَمَّدٍ - ﴿مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾، **وَقَدْ وَصَّانَا بِمَا أَوْصَى بِهِ نُوحاً، وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وَمُوسى وَعِيسى وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، فَقَدْ عَلَّمَنَا، وَبَلَّغَنَا مَا عَلِمْنَا، واسْتَوْدَعَنَا عِلْمَهُمْ، نَحْنُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَنَحْنُ وَرَثَةُ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ يَا آلَ مُحَمَّدٍ، وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، وَكُونُوا عَلَى جَمَاعَةٍ، كَبُرَ**

عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَنْ أَشْرَكَ بِوَلَايَةِ عَلِيٍ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ وَلَايَةِ عَلِيٍّ إِنَّ [الله] يا مُحَمَّدُ، يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ مَنْ يُجِيبُكَ إِلَى وَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام»(١).

في طريق الإمام

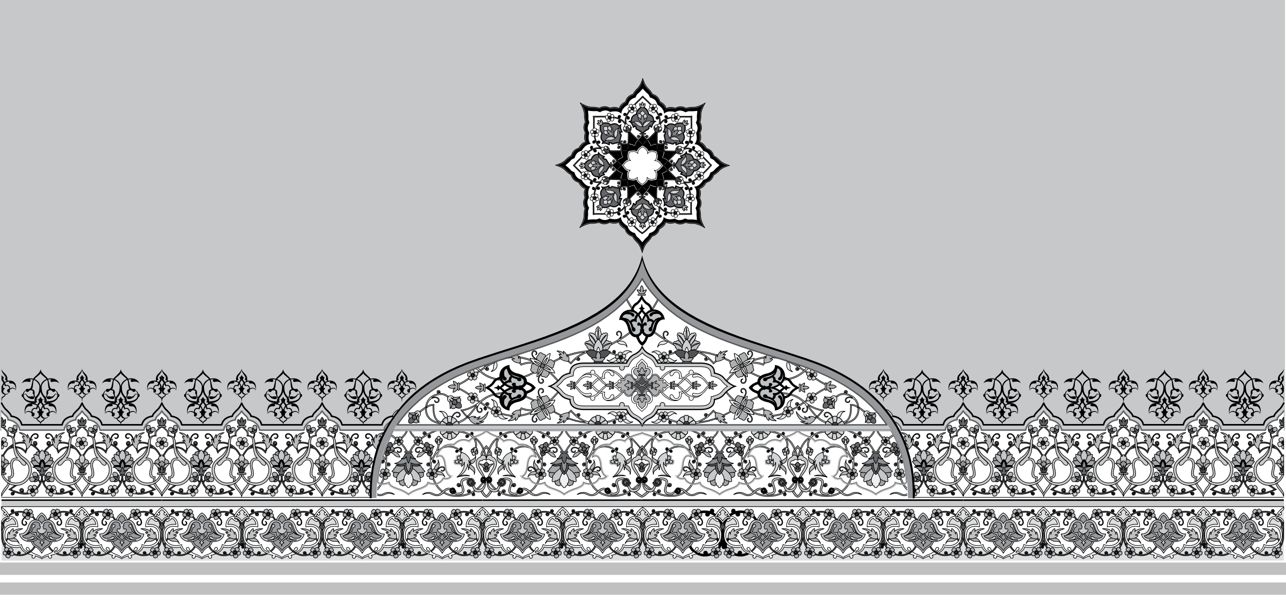
وعند السلام على أمير المؤمنين عليه السلام بصفة الأمانة، فهذا يعني خلق جسر من نور بين الزائر وبين هذه الصفة في الإمام عليه السلام، ليقترن الإيمان بولايته على أنها أمانة من الله تعالى، كما يتطلع الزائر إلى أن يكون مثالاً لمولاه في بعد الأمانة التي حمّلها إيّاه الله عزّ وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٢).

وإن كان لا يمكن أن يترقّع إلى أمانة الإمام كونها من الله تعالى، استحقاقاً لعظمته التي تشرفت بذلك، إلا أنه يتشبّه بها، فيمضي في تسلّم أمانته وهي المسؤولية التي ألقاها ربّه عليه، فيكون ممتثلاً لله في طاعته، مقتدياً بإمامه في تبليغ رسالته، موصلاً الحجة البالغة إلى المحتاجين لها، وهم كافة عباد الله، الذين خاطبتهم الرسالة كي يدخلوا من باب الحق أفواجاً.

---

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم: ج١، ص١١٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.



(٢)

وَحُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ

الحجة: بضم الحاء وتشديد الجيم: الوَجْهُ الذي به يَقَعُ الظَّفَرُ عند الخُصُوْمة، ويقال: حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه.

إنّ لله الحجة البالغة على عباده، قد أتمّها كي لا يتعذر متعذر، ولا يلتوي على الحق ملتوٍ، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[1]، ومن مظاهر الحجة البالغة أنه تعالى أرسل الرسل والأنبياء، ثم نصّب من بعدهم أوصياء أمناء على دينه، فأصبحوا بتصدّيهم لشؤون الناس حُججاً على العباد، والحجة هي أن لا يدع حيرة في عقل إلا هداه إلى الصراط المستقيم، ولا يدع مجالاً لتساؤل إلا سدّه بالإجابة الشافية، ولا يدع شكّاً إلا ردمه باليقين والاطمئنان، وهذه حال أمير المؤمنين عليه السلام حيث جابه

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

كل التحديات بعلمه اللدني النازل من عند الله عزّ وجلّ، فأصبح حجة الله على العباد.

أن يكون الإمام علي عليه السلام حجة، فهو إذاً القادر على الظفر عند الخصومة، والقادر على التبيين عند الغموض، والقادر على الدلالة عند الضياع والحيرة، ولأنه حجة الله، فالاحتجاج مصدره الله تعالى، فيصبح الإمام هو الملجأ في كل تلك الحاجات، ولذا ورد في زيارته عن الإمام الصادق عليه السلام: «**بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَاحُجَّةَ الْخِصَام**»[1].

وورد في زيارة أخرى لأمير المؤمنين عليه السلام: «**السَّلَامُ عَلَى الصِّرَاطِ الْوَاضِحِ وَالنَّجْمِ اللَّائِحِ وَالْإِمَامِ النَّاصِحِ وَالزِّنَادِ الْقَادِحِ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ**»[2].

حجة ذاتية

ومن الدلالات المهمة، التي ينبغي ملاحظتها عند السلام على أمير المؤمنين عليه السلام، بأنه (حجة الله)، أي أن ذات علي عليه السلام وشخصيته، هي حجة الله على العباد، وهذا البعد بالغ الأهمية، فإن المنصف صافي القلب من كل كدر وحقد، لا يحتاج إلى دلائل على إمامة الإمام علي عليه السلام، وأحقيته، ومكانته في الإسلام، بل في تاريخ البشرية كعظمة منقطعة النظير، فإن سيرة الإمام علي عليه السلام وشخصيته، هي بذاتها حجة لله على العباد، وهو بذاته دليل على الحق، وهذا المعنى نجده في قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[3].

---

(١) فرحة الغري: ص٩٥.

(٢) المزار، الشهيد الأول: ص٤٧.

(٣) سورة هود، الآية: ١٧.

وفي معنى (يتلوه شاهد منه) ورد عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَّالِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام، عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾؟ فَقَالَ: «**أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ، الشَّاهِدُ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، وَرَسُولُ الله صلى الله عليه وآله عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ**»[1].

فالآية جعلت الإمام علي عليه السلام شاهداً على صدق النبوة، وهو دليل لرسول الله صلى الله عليه وآله، كما أن لرسول الله صلى الله عليه وآله بيّنات أخر من ربه، تجلّت في معجزاته، فإن الإمام علياً عليه السلام هو معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله، يمكن لمن تعرّف على شخصيته أن يتعرّف على الحق، وبذلك يكون الإمام حجة الله على العباد.

والإمام (حجة الله على العباد)، يقتضي أن يكون شاهداً عليهم، والشهود هو الحضور الفاعل في الأمة، كما أرسل النبي صلى الله عليه وآله وكما يرسل الله تعالى الرسل ليكونوا شهداء على الناس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا﴾[2].

دلالة كلمة العباد

التساؤل في كلمة عباده في النص (حجته على عباده)، هو كيف يكون حجة على العباد، ويفترض فيهم أنهم قد وصلتهم الحجة وآمنوا بها فأصبحوا عباداً، وفي المقابل

---

(١) الكافي، الكليني: ج١، ص١٩٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥-٤٧.

أن الذين يحتاجون إلى الحجة هم الناس كافة، لأن الدين جاء للجميع؟

وفي الإجابة عن هذا التساؤل نقول: إما لأن (العباد) هو وصف يمكن إطلاقه على جميع الخلق باعتبارهم مسبّحين لله تعالى كل بطريقته، وإن كنا لا نعلم تسبيحهم، كما هو مدلول الآية الكريمة: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1].

وقد قيل في بعض آراء العلماء أن التسبيح تسبيحان: تسبيح عن إرادة وعلم، وهو ما يسبح به المؤمنون، وتسبيح قهري تكويني، لعلّه يعبّر عن الدور الذي يؤديه في حياته ضمن النظام الكوني العام.

ومن ضمن المعاني الممكنة، أن الحجة باعتبارها قائمة ومنبلجة للعباد الذين آمنوا بها، أما سائر الناس فينبغي أن ينفتحوا على شخصية أمير المؤمنين ليدخلوا في دائرة العباد، فالحجة قائمة إلى درجة أنها متاحة للجميع، ويمكن لهم أن يستوعبوها، فهي حجة على العباد الذين استقبلوها، أي استحكمت الحجة عليهم.

وقد يكون المعنى أنهم عباد الله بحسب الأصل والفطرة، - الذين يفترض أن يكونوا عباده.

وقد يكون التعبير بالعباد لقوة الحجة ومتانتها، التي يمكنها أن تجعل من كل الخلق عباداً إذا تم التعرّف عليه، فنزلهم منزلة العباد.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

السلام مع الحجة

التسليم على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بصفة الحجة، يجعل الزائر متصالحاً مع هذا البُعد، فيكون الإمام حجة عليه في سيرته بعد أن يتعرّف عليها، وينتهج نهجها، في خلقه وتعامله مع الناس، ومع المختلفين، ومع الحكام، ومع سائر الأشياء، فالزائر بهذا السلام يفتح نوافذ عقله لاستقبال المعارف العلوية المقدّسة، التي بهر بها العقول، كي يقدّم الإمام علي عليه السلام لغيره كحجة بالغة ليهتدي بهديها الناس.

وفي جهة أخرى، يخلق من نفسه أنموذجاً يحتذى في شخصيته، كي يكون مثاراً للإعجاب بالحق، ويصنع من شخصيته، شخصية جذابة للدين، كما كان أمير المؤمنين عليه السلام، فيسعهم بأخلاقه، فيكون الزائر حجة بعمله في الناس.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

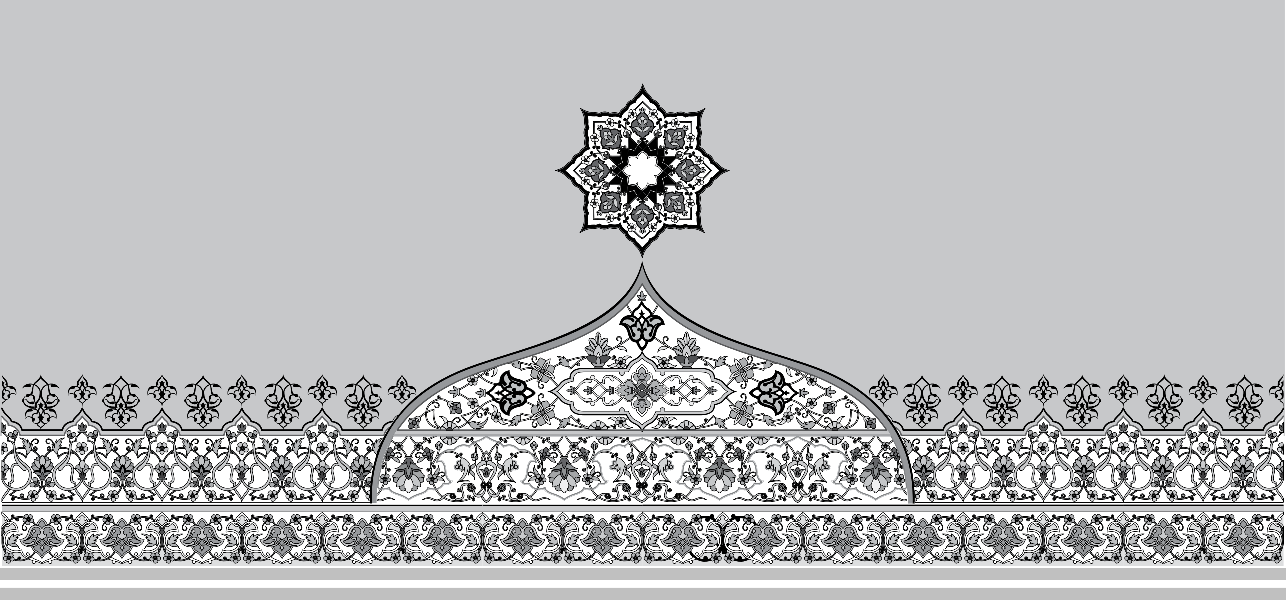
أما البرنامج الذي يستحضره الزائر في شهادته على الناس هو الأساس الذي أسّسه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[2].

وقد انتهج الإمام علي عليه السلام هذا النهج، فأصبح هو النهج العملي المتفاعل مع الحياة، الذي يُقتفى أثره، ويُنتهج نهجه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ٧٧ – ٧٨.



(٣)

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

من ضروريات الإيمان هو الاعتقاد بأن أمير المؤمنين الأوحد هو الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، فلا يشترك معه أحد في هذا اللقب اللّامع والوسام الإلهي المقدّس، فهو أمير منصّب من الله تعالى لا يحتاج إلى هيكل مادّي كي يمارس أمارته على المؤمنين، ولا يحتاج إلى نظام سياسي مبسوط على الناس كي تكون تعاليمه نافذة، فهذه الأمارة متعلّقة بالمؤمنين، فأينما وجد المؤمنون فأميرهم الفعلي والحقيقي هو الإمام علي عليه السلام، يأخذون منه مبتغاهم ويأتمرون بأوامره حتى لو لم يستلم منصب الخلافة المادي، لأن هذه الأمارة هي (ميرة العلم) لا (ميرة المال) كما سيأتي بيانه.

إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ليس هو الخليفة الرابع كما يحلو للبعض تسميته،

إنما هو الخليفة الأول، والخليفة الحقيقي، وهو الصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، كما عبّر عن نفسه، فإن ألقاب أمير المؤمنين التي كانت أوسمة أعطيت له في عهد النبي صلى الله عليه وآله لقاء تفانيه وجهاده، ولمقامه الرباني، قد عمل الحكام الجائرون على سرقتها بالتعاون مع زمرة المؤرخين التابعين لهم، فما بقيت فضيلة إلا ونسبوها لغيره من أعدائه، وما بقي وسام إلا وقلّدوه غيره، كي يلبسوا الحق بالباطل، ولكن الزبد يذهب هباء، وما ينفع الناس يمكث في الأرض يحييها وينبتها، فأوسمة الإمام علي عليه السلام مندغمة في شخصيته وفي صفات العظمة فيه، فكل من قرأ تاريخه عرف هذه الحقيقة، أما غيره، وإن أطلقوا على أنفسهم لقب أمير المؤمنين جوراً، فقد فضحهم تاريخهم وبانت مساوؤهم ومواطن ضعفهم، ليظهر الحق ويعود بازغاً إلى أهله.

لقد ورد في النهي عن تسمية غير الإمام علي عليه السلام أمير المؤمنين.

فعَنْ عُمَرَ بْنِ زَاهِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْقَائِمِ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «**لَا، ذَاكَ اسْمٌ سَمَّى الله بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ - وَلَا يَتَسَمَّى بِهِ بَعْدَهُ إِلَّا كَافِرٌ**»[1].

في معنى الأمير

الإِمْرَةُ: الإِمَارَةُ، وأَمِيْرٌ مُؤَمَّرٌ، وأَمَرَ علينا فلانٌ: وَلِيَ، ولكَ عَلَيَ أَمْرَةٌ مُطَاعَةٌ. وفي مجمع البحرين: الإِمْرَةُ بالكسر: الولاية.

يفهم من ذلك أن المعنى هو الإمرة لأمير المؤمنين هي ولايته التي تستوجب طاعته، والامتثال إليه، وهذا المفهوم معتمد على الدلالة اللغوية، إضافة إلى سياق استخدام

(١) الكافي، الكليني: ج١، ٤١٢.

التعبير في الروايات وفي تاريخ أمير المؤمنين نفسه، حيث جاء في التعبير ذكر إمرته للمؤمنين مقابل إمرة معاوية لأهل الشام، كما في كلام الإمام علي عليه السلام لأهل الكوفة: «**أَلَا تَرَوْنَ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْكُوفَةِ.. إلى أن قال: وَالْعَجَبُ مِنْكُمْ وَمِنْ أَهْلِ الشَّامِ، أَنَّ أَمِيرَهُمْ يَعْصِي الله وَهُمْ يُطِيعُونَهُ، وَأَنَّ أَمِيرَكُمْ يُطِيعُ الله وَأَنْتُمْ تَعْصُونَه**»(١).

إلا أن بعض الروايات أشارت إلى أن سبب منشأ تسمية أمير المؤمنين بهذا اللقب، لأنه يمير المؤمنين بالعلم، وهذه الروايات.

فعَنْ أَبِي حَمْزَةَ ثَابِتِ بْنِ دِينَارٍ الثُّمَالِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ الله، لِمَ سُمِّيَ عَلِيٌّ عليه السلام أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ وَهُوَ اسْمٌ مَا سُمِّيَ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ؟ قَالَ: «**لِأَنَّهُ مِيرَةُ الْعِلْمِ، يَمْتَارُ مِنْهُ وَلَا يَمْتَارُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرُهُ**»(٢).

وأيضاً ورد عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، لِمَ سُمِّيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «**لِأَنَّهُ يَمِيرُهُمُ الْعِلْمَ، أَمَا سَمِعْتَ كِتَابَ الله عَزَّ وَجَلَ: (وَنَمِيرُ أَهْلَنا)**»(٣).

وللتوفيق بين المعنيين للمازندراني كلام جميل في ذلك: قال: (لأنّه يميرهم العلم) الميرة بكسر الميم وسكون الياء: الطعام، يمتاره الانسان ويجلبه للبيع وغيره، تقول: مار أهله يميرهم ميراً، إذا أتاهم بالميرة وأعطاهم إياها، وقد شبّه العلم بالطعام فى الاغتذاء به، لأن أحدهما غذاء روحانى، والآخر غذاء جسمانى، قال الفاضل الأسترآبادي من

(١) الغارات: ج١، ص٢٧.

(٢) علل الشرائع: ج١، ص١٦٠.

(٣) المصدر نفسه.

المعلوم ان الأمير مهموز الفاء، وأن يمير أجوف، ولك أن تقول قصده عليه السلام أن تسميته بأمير المؤمنين ليس لأجل أنه مطاعهم بحسب الدنيا، بل لأجل أنه مطاعهم بحسب العلم أى الأحكام الإلهية، فعبر عليه السلام عن هذا المعنى بلفظ مناسب فى الحروف للفظ الأمير.

قوله: (أما سمعت فى كتاب الله (وَنَمِيرُ أَهْلَنَا)) أى نعطيهم الميرة، ولعل الغرض من ذكره، هو التنبيه على أنه يفهم منه وجه التسمية، بأدنى تأمل فليتأمل)[١].

السلام مع الأمير

امتثالاً لكلام النبي صلى الله عليه وآله، الذي قال في غدير خم للمسلمين: «**سَلِّمُوا عَلَى عَلِيٍ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِين**»[٢].

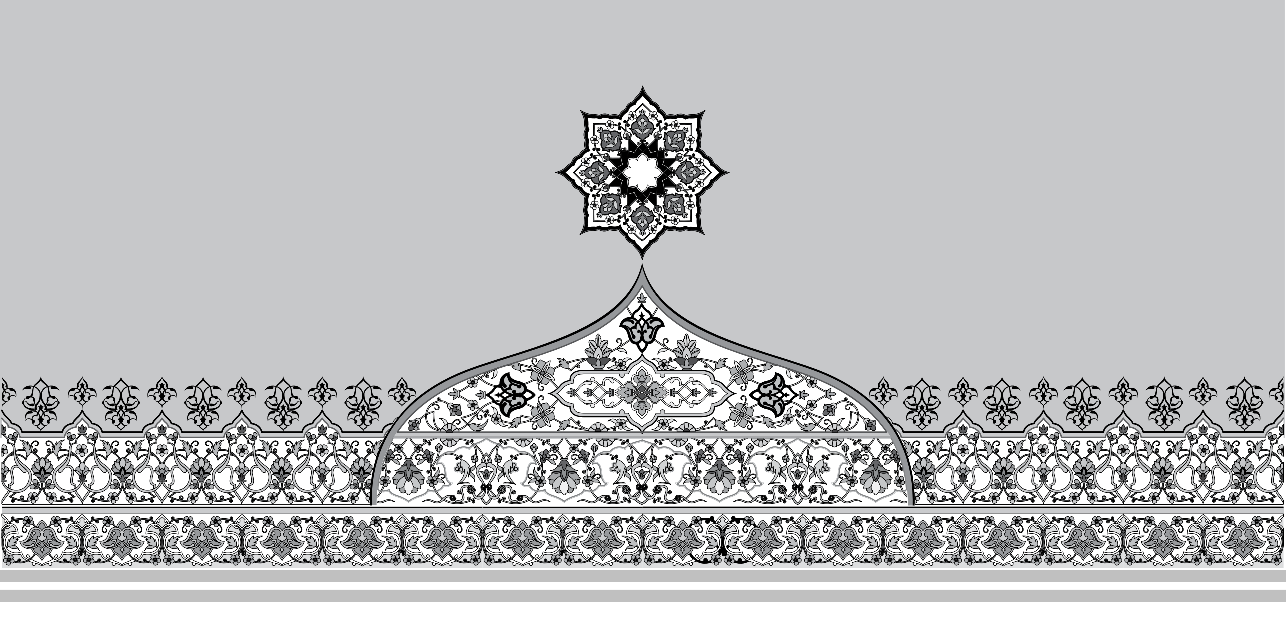
يتوجه الزائر بقلبه للسلام على الإمام علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، وسلامه هذا يعطي دلالة السلامة بين الزائر وبين الإمام بوصفه أميراً من الله تعالى للمؤمنين، فينجذب نحو صفات المؤمنين، كي يكون منهم، فيتشرّف بأن يكون الإمام علي عليه السلام أميره حقاً.

وبهذا يربي الزائر نفسه عبر تلقينها وتعريفها أن الإمام علياً عليه السلام هو أميرها، الذي ينبغي أن تأتمر بأوامره، وتنتهي عن ما نهى عنه.

---

(١) شرح أصول الكافي، المازندراني: ج٧، ص٤٦.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٣٨٩. الكافي، الكليني: ج١، ص٢٩٢.



(٤)

أَشْهَدُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِي اللّه حَقَّ جِهادِهِ

جاهـدت: الجَهْـدُ والجُهْـدُ: الطاقـة، تقول: اجْهَـد جَهْـدَك؛ وقيل: الجَهْد المشـقة والجُهْـد الطاقـة، والجهـاد محاربـة الأَعـداء، وهـو المبالغـة واسـتفراغ مـا في الوسـع والطاقـة مـن قـول أَو فعل.

يقف الزائر أمام الضريح المطهّر مردّداً عباراته ومعتقداً بقلبه: أشهد أنك جاهدت في الله حق جهاده، فإن جهاده كان في الله، ولإرساء تعاليم الله، وإقامة حدود الله تعالى، فالجهاد لدى الإمام علي عليه السلام ليس مجرّد فتوّة شبابية أو قوّة أسطورية مجرّدة عن أي قيمة، إنما شجاعة الإمام علي عليه السلام وجهاده الذي تغنى به الأدباء ودرسه المفكرون من كل الأطياف والمذاهب والأديان، يصب في طريق القيم الإلهية

مناصرةً للحق في كل صوره وفي كل ساحاته، والحق يعني أن تسود قيم العدل الإلهي بين الناس وإلغاء مظاهر عبودية الإنسان لأخيه الإنسان جسدياً ونفسياً وفكرياً، وهو الطريق الذي يحققه الإسلام في واقع الأمم.

الجهاد أن يبذل الإنسان جهده وكل ما في وسعه في سبيل إيمانه، وجهاد أمير المؤمنين هو ببذل كل جهوده في سبيل إيمانه بالله تعالى، فكان (حق الجهاد): أي الجهاد حقاً، والجهاد كما أراد الله وكما ينبغي، فلم يدّخر جهداً إلا بذله، ولم يضنّ بنفسه في أي موقف يتطلّبه الدين ونداءه الرسالي، فلم يشبهه أحد ممن التحق بركب الرسالة، فكان المثال الأبرز واللوحة الأنصع، والفارس المقدّم في سوح الجهاد وميادين البراز المقدّس، فمن جاهد في الله حق الجهاد وصل إلى غاية المقصد وحقق ما يرومه ويأمله، وقد قال الإمام علي عليه السلام في هذه الحقيقة: «**مَنْ بَذَلَ جُهْدَ طَاقَتِهِ بَلَغَ كُنْهَ إِرَادَتِه**»[(١)].

إن لوحة الجهاد لأمير المؤمنين عليه السلام لوحة لم يتوفّر في تاريخ البشرية أبهى وأنصع وأكثر جاذبية منها، فحياة الإمام لم تكن حافلة بالجهاد في سبيل الله فحسب، بل هو معجون بحياته الرسالية من أولها إلى آخرها، فقد سطر أروع مصاديق الجهاد منذ نعومة أظفاره عندما التحق بالرسول صلى الله عليه وآله في أول بعثته فكان أول الرجال إسلاماً، وكان بذلك قد جنّد نفسه وقدّم روحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهها أينما تتطلبه إرادة الله ومصلحة الدين.

فلم يكن يبالي بالموت عندما يكون رضا الله هو الهدف المنشود، ولا يهتم لأي أذى عندما تكون الأهداف الرسالية هي المبتغاة.

(١) تصنيف غرر الحكم: ص٤٤٤.

فغـزوات الإسـلام المحمّدي تشـهد لأمـير المؤمنين عليه السـلام بعظمـة الجهاد، كغـزوة أحـد وبدر وكـذا غزوة الخنـدق، ففي غـزوة بدر التـي حقق فيها المسـلمون نـصراً مـؤزراً عـلى قريـش التـي كانت تمثـل قوى الـشر مبالغـة في عداوتها للإسـلام والمسـلمين، قـد سـجّل الإمـام عـلي عليـه السـلام أروع سـطور الجهـاد في التاريخ، فقـد شـهد بريق سـيفه لـه بالبطولـة في حصـد رؤوس عتـاة الكفـر، فتسـاقطت كل الإرادات مـن حولـه، وانبثـق النصر المـؤزّر من بين يديـه، ثم تفتحت أبواب السـماء للملائكـة يقدمهـم جبرئيـل، حتى نـشروا في كل السـماء صوتاً يـردد شـعاراً خالداً: (لا سـيف إلا ذو الفقـار، ولا فتـى إلا عـلي)[1]، وقـد سـمع النـاس تلـك الشـهادة الإلهيـة في حـق جهـاد أمـير المؤمنين عليه السـلام.

كما أن بيانات الصدق الصادرة من شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّه خير دليل، وهو الذي قال عنه «**إن أفرس الناس علي بن أبي طالب**»[2]، عندما قيل له إن أفرس الناس عمرو بن معدي كرب.

وفي بيانـات الإمـام عـلي عليـه السـلام في حق نفسـه تظهر عـوالم الشـجاعة، فقد (كان يخـرج في أيـام صفـين وحـده بغـير حمايـة، فقيـل لـه: تقتل أهـل الشـام بالغداة وتظهـر بالعـشي في إزار ورداء؟ فقـال: («**بالمـوت تخوّفنـي؟ فـوالله مـا أبالي سـقطت عـلى الموت أم سـقط عـليّ**»)[3].

فجهاد أمير المؤمنين لا يُستشهد عليه بأنه حق الجهاد، بل يُستشهد به لكل جهاد

(١) انظر: الكافي، الكليني: ج٨، ص١١٠، مروياً عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام، الشيخ القرشي: ج١، ص١١٠، عن رسائل الجاحظ: ج٢، ص٢٢٢.

(٣) المصدر نفسه: ج١، ص١١١، عن العقد الفريد: ج١، ص١٠٢.

أريد منه أن يكون في طريق الجهاد الحق، وكما قال جورج جرداق ذلك المفكر المسيحي في جهاد الإمام علي عليه السلام: (عبر تاريخنا الطويل مبعث أمل لكل مغصوب وصيحة أمل لكل مغصوب وصيحة تتردّد على لسان كل مظلوم، وحصناً يفزع إليه كل من ضيّقت عليه الحياة. - فما من طالب إنصاف في هذا التاريخ إلا اسم علي ملاذه. وما من غاضب على ظلم إلا واسم علي درعه. وما من ساخط على رشوة أو فساد أو جور إلا وله من علي وتراثه حافز على الثورة)[١].

وكما قال الأديب المسيحي نصري سلهب عن الإمام عليه السلام: (الذي تجسّدت في زنده طاقة السماء، وجرت في حدّ سيفه غضبة الله)[٢].

آفاق الجهاد

الجهاد في الله تعالى لا يقتصر على بذل الوسع في ميادين القتال والدفاع عن الدين بالقوة، بل هو مجهود يشمل كل ما يصب في طريق الله من جهد، كالجهاد بالمال، والجهاد بالكلمة الطيبة في ميادين العلم والدفاع عن العقيدة، وكالجهاد مع الشيطان في ميدان النفس، وهو الجهاد الأكبر، وفي كل تلك الميادين سطّر الإمام علي عليه السلام أروع الأمثلة، فكان الباذل كل ما يملك في سبيل الله، وكان المعلّم الأكبر للإنسان، وصار بذلك باب مدينة العلم وهو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وفي جهاد النفس كان سيد الخاشعين ومعلّم المخلصين.

---

(١) الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر، راجي أنور هيفا: ص٣٢٢، عن جورج جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: ج٥، ص١٨٦.

(٢) المصدر نفسه، عن نصري سلهب، في خطى علي: ص٢٩٢.

السلام مع الجهاد

عند سلام الزائر بصفة الجهاد لأمير المؤمنين، فهذا يعني مد جسر السلامة مع روح الجهاد التي كانت تدبّ في كل كيان أمير المؤمنين، وبذلك يستحضر الزائر الأمر الإلهي في قوله عزّ وجل: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[1].

كي يمضي على إثر إمامه في جهاده، فيعترف له أولاً بأنه الأوحد في ميادين الجهاد، ثم يتعاهد نفسه بتجريعها جرعات الفاعلية في ميدان الجهاد في سبيل الله تعالى، ليبلغ مقامات المجاهدين عند الله تعالى، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ الله لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَسَوَّغَهُمْ كَرَامَةً مِنْهُ لَهُمْ، وَنِعْمَةٌ ذَخَرَهَا، وَالْجِهَادُ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ الله الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ**»[2].

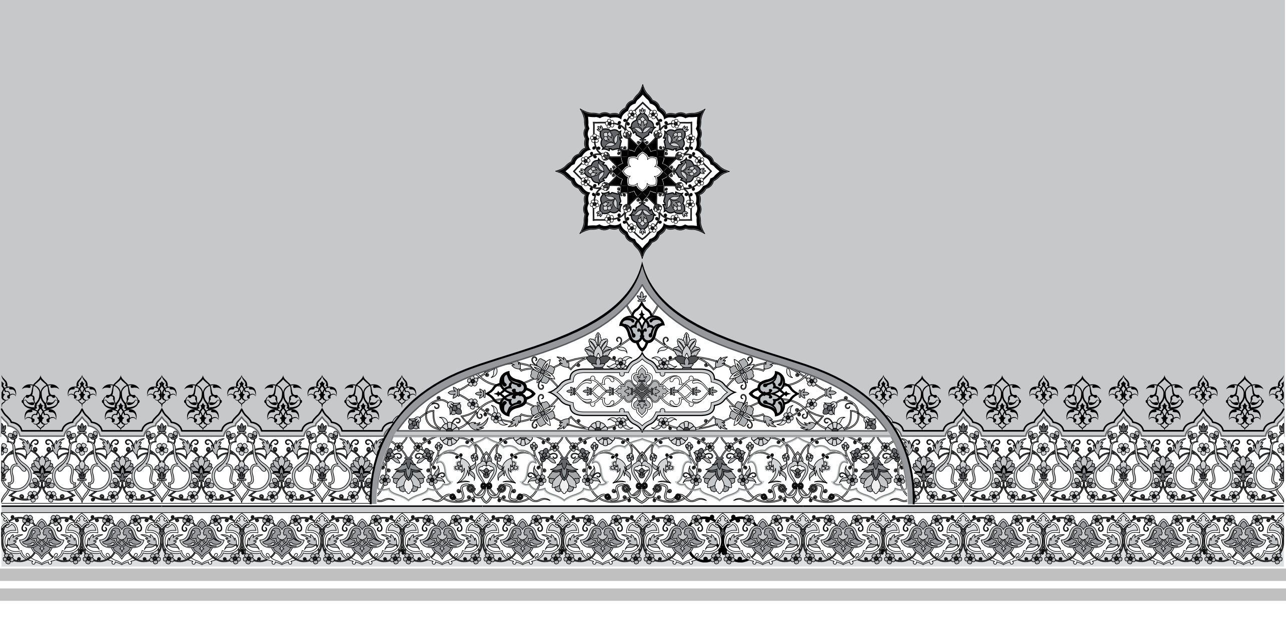
وكي ينال ما وعد الله تعالى به من يجهاد في سبيله، فقد قال عزّ اسمه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) الكافي، الكليني: ج٥، ص٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.



(٥)

وَعَمِلْتَ بِكِتَابِهِ

العمـل بالكتـاب، أي تطبيـق مـا في القـرآن الكريـم مـن تعاليـم، وتنفيـذ ما جاء فيـه مـن أوامر.

لم تكن كلمة (وعملت بكتابه) في حق أمير المؤمنين عليه السلام كلمة عادية، بل هي شهادة ربانية وعقيدة راسخة في قلوب المؤمنين، فإن الاعتقاد بأن أمير المؤمنين عليه السلام عمل بالكتاب - كتاب الله المجيد - يعني أن كل أعماله هي طبق للكتاب، ومصداق حقيقي لآياته، وخطواته مقتفية بدقّة بصائر الآيات القرآنية في الحياة، بل إن هذه العبارة تعني أكثر من ذلك، تعني الانطباق التامّ بين أعمال الإمام علي عليه السلام وبين القرآن الكريم، وهذا يعني أن لدينا نسخة بشرية من كتاب الله، لا تختلف

قيد أنملة عن الحروف التي سطرتها يد القدرة الإلهية، والحكمة الربانية في أقدس كتاب أنزله الله على البشرية، وهو في سعته مهيمن على كل الأديان والرسالات.

فكما أن القرآن الكريم (هدى للمتقين) فإن الإمام علياً عليه السلام، هو (إمام المتقين)، وكما أن القرآن (بصائر وهدى)، فإن الإمام علياً عليه السلام هو عنوان البصيرة وميزان الهداية، وكما أن القرآن الكريم (شفاء ونور) فإن الإمام علياً عليه السلام هو (الطبيب والمنير) للنفوس سبلها، وللعقول مناهجها، وكما أن كتاب الله (يهدي للتي هي أقوم)، فإن أمير المؤمنين عليه السلام هو الهادي للأمة، وكما أن الكتاب (يهدي إلى الرشد) فإن الإمام علياً عليه السلام هو (عنوان الرشاد)، وكما أن الكتاب أحسن تفسير، فإن الإمام هو أحسن التأويل، فكان من كل ذلك هو (الكتاب المبين).

فالإمام علي هو ترجمان القرآن وحسب، وكفى بهذه الصفة منزلة لا تضاهيها منزلة.

وعندما نريد أن نقرّب عظمة كلمة (وعملت بكتابه) في إطلاقها، فلنقرأ كيف وصف الإمام علي عليه السلام القرآن في هداه، لنعي عظمة الإمام عليه السلام في هديه.

قال عليه السلام: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، زِيَادَةٍ فِي هُدًى، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ؛ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ، فَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى الله**

تَعَالَى بِمِثْلِهِ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ، وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ، فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُم»[1].

فهذه عظمة القرآن في رشده وهداه، ومن جهة أخرى يقرر لنا النبي صلى الله عليه وآله حقيقة انطباق أعمال علي عليه السلام مع القرآن الكريم، في كل تفاصيلها، وإلى أن يقف الناس يوم القيامة على الحوض عند النبي صلى الله عليه وآله، كدلالة استمرار ذلك الانطباق وعدم انفكاكه أبداً، قال صلى الله عليه وآله: «**عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَهُ، لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْض**»[2].

العمل بالكتاب هو الغاية من العلم بالكتاب، فلا يكفي أن يتداول العلم في الرأس دون أن ينطلق متحركاً في رحاب الحياة، وقد قال الإمام علي عليه السلام: «**إِنَّ أَوْضَعَ الْعِلْمِ مَا وَقَفَ عَلَى اللِّسَانِ، وَأَرْفَعَهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَان**»[3].

والإمام عليه السلام هو العالم بالكتاب العامل به، وقد ورد فيه قول الله تعالى: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾**[4].

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٥٢.

(٢) الأمالي، للشيخ الطوسي: ص٤٦٠.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ج٢، ص٥٦.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٣

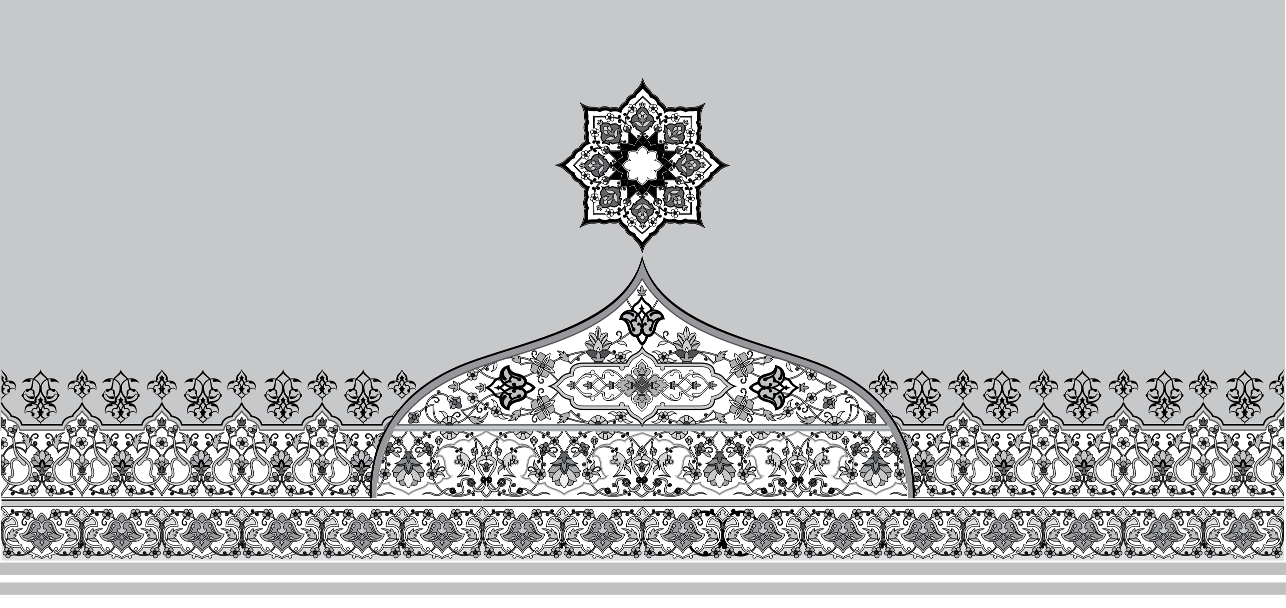
السلام مع القرآن الناطق

عند السلام على أمير المؤمنين عليه السلام بصفة أنه العامل بكتاب الله تعالى، يمد الزائر يد المصافحة مع الإمام في التسالم مع ضرورة الجانب التطبيقي لكتاب الله تعالى، كي يعرض الزائر نفسه على الكتاب ليرى أين هو من كتاب الله، ثم يسعى للاهتداء بهديه، ومن وصية من الإمام الباقر عليه السلام لجابر الجعفي عن ضرورة عرض النفس على القرآن الكريم، قوله: «**وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ لَنَا وَلِيّاً حَتَّى لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أَهْلُ مِصْرِكَ وقَالُوا إِنَّكَ رَجُلُ سَوْءٍ لَمْ يَحْزُنْكَ ذَلِكَ، ولَوْ قَالُوا إِنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ لَمْ يَسُرَّكَ ذَلِكَ، ولَكِنِ اعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى كِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كُنْتَ سَالِكاً سَبِيلَهُ، زَاهِداً فِي تَزْهِيدِهِ، رَاغِباً فِي تَرْغِيبِهِ، خَائِفاً مِنْ تَخْوِيفِهِ، فَاثْبُتْ وأَبْشِرْ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا قِيلَ فِيكَ، وإِنْ كُنْتَ مُبَايِناً لِلْقُرْآنِ، فَمَا ذَا الَّذِي يَغُرُّكَ مِنْ نَفْسِكَ...**»[1].

كما أنّ الزائر بهذا السلام يعمق الاعتقاد بالعصمة القرآنية للإمام علي عليه السلام، ويجدد العهد معه بكونه حبل الله الممدود بين السماء والأرض، وهو وصية النبي صلى الله عليه وآله في اقترانه بالكتاب في الهداية من الضلال، فالحق منحصر فيما وافق كتاب الله، وطابق هدي الإمام علي عليه السلام.

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول، الشيخ الحراني: ص٢٨٤.



(٦)

وَاتَّبَعْتَ سُنَنَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله

سنن: السُّنَّةُ: الطريقة والسيرة، والجمع سُنَن. وفي كتاب المجمع[١]: السنة في الصناعة هي طريقة النبي صلى الله عليه وآله قولاً وفعلاً وتقريراً، أصالةً أو نيابةً.

إن الشهادة التالية التي يتوجه الزائر بالسلام بها على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد العمل بالكتاب، هي أنه عليه السلام الذي قام باتباع السنن التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله اتباعاً مطابقياً، وهذا يضعنا أمام حقيقة مهمة وبالغة الدقة، وهي أن الامتداد العملي للرسالة المحمدية الخالدة تمثّلت في الإمام علي عليه السلام وفي نهجه القويم، لأن كل الصحابة يدّعون أنهم اقتفوا أثر النبي صلى الله عليه وآله في

---

(١) مجمع البحرين: مادة سنن.

سننه، كي يثبتوا خلو أفعالهم من الزلل، وكي يبرئوا ساحتهم من التهم، وفي الحقيقة أنهم بدّلوا سنة الرسول صلى الله عليه وآله، وأحدثوا في دين الله تعالى، وابتدعوا في الإسلام البدع، وأثاروا أوار الفتنة، وانقلبوا على أعقابهم، وبهذا شهد التاريخ وأنبأت عنه الأحداث.

وسنة النبي تعني - كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله من أحكام وبيانات وتعاليم وقيم تطبيقية في حياته الشريفة، وكل ما اتخذه من مواقف ودعى له من أوامر، ففي الاصطلاح قد تطلق السنة على العمل الديني المندوب، أي مقابل الوجوب، وقد تطلق على ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله من أحكام مباشرة، سواء من المندوب أو الواجب، أي السنة مقابل الكتاب، وقد يراد بها ما يشمل عمل النبي وقوله وتقريره لأفعال الآخرين، وفي الجملة، فإن المعنى من سنن النبي صلى الله عليه وآله في سياق نص الزيارة، هو عموم النهج الذي انتهجه النبي صلى الله عليه وآله كحالة مطابقة بين نهج الإمام علي عليه السلام ونهج النبي صلى الله عليه وآله في كل تفاصيله، فكما كان بالنسبة للقرآن الكريم عاملاً به، فهو هكذا بالنسبة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله، فقد اقتفى سنّة النبي صلى الله عليه وآله وأحياها، مقابل من ابتدع في الدين، وخالف النبي صلى الله عليه وآله.

وقد روي عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: **«قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام السُّنَّةُ سُنَّتَانِ: سُنَّةٌ فِي فَرِيضَةٍ، الْأَخْذُ بِهَا فَضِيلَةٌ وتَرْكُهَا إِلَى غَيْرِ خَطِيئَةٍ»**[1].

إنّ النبي محمد صلى الله عليه وآله هو نبي ورسول الله الخاتم إلى يوم الدين، وحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، كل ذلك طبقّه الإمام علي عليه

(١) الكافي، الكليني: ج١، ص٧١.

السلام، وكان أفضل مثال اقتدى واقتفى أثره حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة منذ نعومة أظفاره، وهو الذي قال عن هذه المرحلة في اتباعه للنبي صلى الله عليه وآله: **«وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِه»**[1].

فلقد كانت علامات اتباع الإمام علي عليه السلام سنن النبي صلى الله عليه وآله في حياة النبي كثيرة، وهي دلائل لمن أراد أن يتبصّر الحقيقة، فلقد آخى بينه وبينه، عندما آخى بين المهاجرين والأنصار، فقد جاء (عَنْ سَعْدِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخَى رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ أُخُوَّةَ الدِّينِ، وَكَانَ يُؤَاخِي بَيْنَ الرَّجُلِ وَنَظِيرِهِ، ثُمَ أَخَذَ بِيَدِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «**هَذَا أَخِي**». قَالَ حُذَيْفَةُ: فَرَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ فِي الْأَنَامِ شِبْهٌ وَلَا نَظِيرٌ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخُوهُ)[2].

فكانت تلك المؤاخاة بمثابة اتحاد بين شخصين واندماج واعٍ لشخصية الإمام علي عليه السلام في شخصية النبي الكريم صلى الله عليه وآله، فصار أذنه الواعية التي تتلقّف كل ما يصدر عن النبي من معارف وعلوم.

عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: «**جَاءَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام، وَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ هَذِهِ الْآيَةُ:** ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾، **وإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا**

(١) نهج البلاغة: ص٣٠٠.

(٢) الأمالي، للشيخ الطوسي: ص٥٨٧.

أُذُنَ عَلِيٍّ، فَفَعَل»[1].

ولأن الإمام علي هو الأذن الواعية، فهو المبلّغ عن النبي صلى الله عليه وآله في كل ما يصدر عنه، وهو المتحدّث الرسمي الذي له كل الحق في الإخبار عن سنة النبي صلى الله عليه وآله.

عَنْ حُبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «**عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِي**»[2].

وبذلك أصبح علي عليه السلام هو الباب المرضي من النبي صلى الله عليه وآله لأخذ سننه ومن ثم اتباعها، فمن أرادها ناصعة صافية، لا يأخذها إلا عن طريق الإمام علي عليه السلام، لأنه الطريق الوحيد المأمون على السنّة، وقد اتبعها كما اتبع القرآن الكريم.

قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «**أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا، وَهَلْ تُدْخَلُ الْمَدِينَةُ إِلَّا مِنْ بَابِهَا**»[3].

وكان عليه السلام لا يساوم في ذلك ولا يدخل آراء واجتهادات أدعياء الدين في حكمه وأفعاله، فعندما حصلت قضية الشورى بعد موت الثاني، وأرادوا مبايعته على شرط العمل بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله واجتهاد الشيخين، رفض ذلك رفضاً صريحاً، ليعلن لهم أن هذا الأمر لابد أن يكون ربانياً خالصاً لا تدخله الأهواء

(١) مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها، علي بن جعفر العريضي:ص٣٣٠.

(٢) المسترشد في إمامة علي، الطبري: ٦٢٥، نقله مسند أحمد والبخاري وغيره.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٣٤٥.

ولا تشوبه المطامع، رفض تحريف سنة النبي صلى الله عليه وآله بسنن غيره ممن لا يمثلونه، فقال: «**بل على كتاب الله وسنة رسول الله واجتهاد رأيي**»(١)، واجتهاده عليه السلام يمثل غاية وسعه في تطبيق الكتاب واتباع السنة، ويعني تطبيق قيمهما على الواقع المعاصر، فهو من النبي صلى الله عليه وآله، وباب علمه الذي منه يؤتى.

سنن النبيين

فإن الزائر يشهد بأن الإمام علياً عليه السلام متّبع وممثل لسنن نبيه، ولما يمثله النبي صلى الله عليه وآله من مكانة كونية وتشريعية في كل الرسالات السماوية، فهذا يعني أن الإمام عليه السلام هو الامتداد لكل تلك الرسالات في جوانبها التطبيقية الحقيقية، هو وجه الأنبياء كلهم في أفضل ما يمتلكون من مواصفات ربانية خالدة، وبذلك يجمع في شخصيته كل فضائل الأنبياء والمرسلين وزيادة، (فعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله، إِذْ قَامَ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ شُكْراً لله تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ: «**يَا جُنْدَبُ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ، وَإِلَى نُوحٍ فِي فَهْمِهِ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي خَلَّتِهِ، وَمُوسَى فِي مُنَاجَاتِهِ، وَعِيسَى فِي سِيَاحَتِهِ، وَأَيُّوبَ فِي صَبْرِهِ بِبَلَائِهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الْمُقْبِلِ، الَّذِي هُوَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ السَّارِي، وَالْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ، أَشْجَعُ النَّاسِ قَلْباً وَأَسْخَاهُمْ كَفّاً، فَعَلَى مُبْغِضِه لَعْنَةُ الله تَعَالَى**». قَالَ: فَالْتَفَتَ النَّاسُ لِيَنْظُرُوا مَنْ هُوَ الْمُقْبِلُ؟ وَإِذَا بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام)(٢).

---

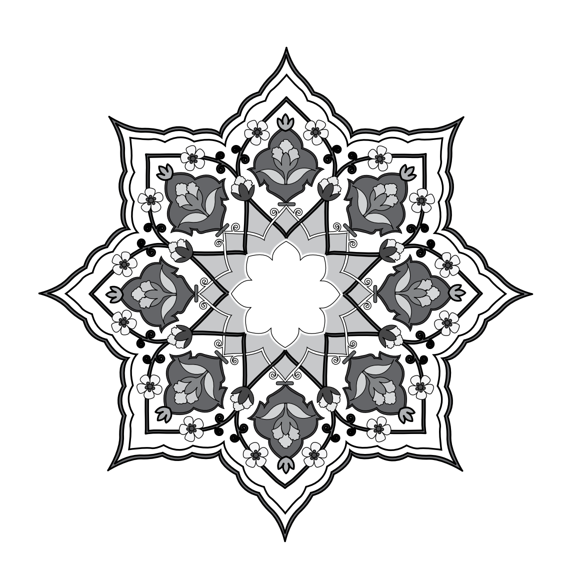
(١) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مَن حبه عنوان الصحيفة، الهمداني: ص٧١٥، عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١، ص١٨٧.

(٢) الفضائل، ابن شاذان: ص٩٨.

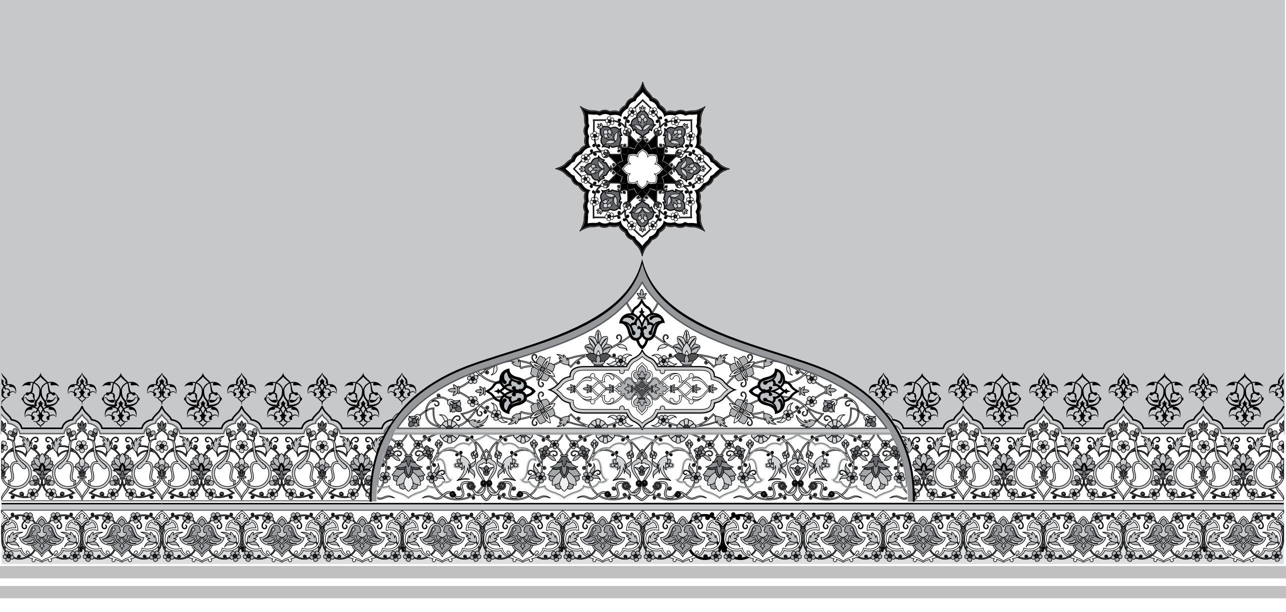
السلام مع سنن النبي صلى الله عليه وآله

من خلال السلام على الإمام علي عليه السلام بأنه متبع لسنن النبي صلى الله عليه وآله، فهو يطلق شهادته في الإمام كممثل صادق عن النبي صلى الله عليه وآله وامتداد لنهجه الشريف، كما أن روح الزائر تعقد صلة بينها وبين سنن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فتتطلّع نحوها، بغية التطبيق في كل مفاصل الحياة.

ومن دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، ووَفِّقْنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا ولَيْلَتِنَا هَذِهِ وفِي جَمِيعِ أَيَّامِنَا لِاسْتِعْمَالِ الْخَيْرِ، وهِجْرَانِ الشَّرِّ، وشُكْرِ النِّعَمِ، واتِّبَاعِ السُّنَنِ، ومُجَانَبَةِ الْبِدَعِ، والْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وحِيَاطَةِ الْإِسْلَامِ، وانْتِقَاصِ الْبَاطِلِ وإِذْلَالِهِ، ونُصْرَةِ الْحَقِّ وإِعْزَازِهِ، وإِرْشَادِ الضَّالِّ، ومُعَاوَنَةِ الضَّعِيفِ، وإِدْرَاكِ اللَّهِيف**»[١].



(١) الصحيفة السجادية: ص٥٠.



(٧)

حَتَّى دَعَاكَ اللّه إِلَى جِوَارِهِ وَقَبَضَكَ إِلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ

شهادة تامة لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه أمين الله وأمير المؤمنين وحجة الله في أرضه، وقد جاهد في الله حق جهاده، وعمل بالكتاب العزيز، واتبع السنة النبوية الشريفة، حتى آخر نفس من حياته الطاهرة، فلم يكن عمله عليه السلام واتصافه بتلك الأوصاف المعظّمة مؤقتة بوقت، بل استمر ذلك حتى دعاه الله إلى جواره في جنان الخلد والمقام الأبدي عند العرش المقدّس، لم يتغيّر، ولم يبدل نعم الله عليه، لم ينقلب على عقبيه كما انقلب الآخرون بعد ارتحال النبي صلى الله عليه وآله كما قال تعالى عن تلك الطائفة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ

اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[1].

الشاكرون لأنعم الله وألطافه هم الملتزمون بخط الرسالة المحمدية، وهم الذين لم يحيدوا عنها قيد أنملة، ولذلك يحسدهم الناس على ما آتاهم الله من فضله، ومن لم يكن في خط الشاكرين فهو في خط الكفر والانحراف، كما جاءت بذلك آيات الله: ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[2]، ومن التزم بخط الشاكرين؛ فإن له العطاء من الله تعالى جزاء التزامه هذا ﴿ وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾، والإمام علي عليه السلام بالتزامه واستقامته بخط الرسالة المحمدية الأصيل، مثّل بذلك قمّة الصبر، وصار آية عالمية لكل (صبّار شكور).

الدعوة إلى جوار الله

ماذا يعني جوار الله؟

في اللغة: الجارُ هو الذي جاوَرَكَ في المَسْكَنِ. والذي اسْتَجَارَكَ في الذِّمَّةِ تُجِيْرُه وتَمْنَعُه، والجَارُ الذي يجير غيره: أي يؤمنه مما يخاف.

إن الموت قد يكون للمرء بمثابة هلاك للإنسان، إذا كان المصير الذي ينتظره هو مصير سوء وعاقبة سوء، ولكن إذا كان الموت واقعاً على المؤمن فهو دعوة من الله تعالى لما فيه الخير العميم إليه، والتعبير هنا جاء بـ(دعاك الله)، أي أن هذه دعوة من الله تعالى إلى الإمام علي عليه السلام، لينال ما هو مدّخر له في الآخرة من خير عند الله تعالى، وهذا الخير، هو الجيرة مع الله تعالى، والجيرة المتعلّقة بالله ليست كالجيرة بين

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

المخلوقين الذين تجمعهم مساحة مكانية واحدة، لأن الله تعالى لا يكون قريباً من خلقه بالمعنى المادي، إنما هي الجيرة بمعنى الإجارة من أي خوف، فيكون في كنف الله تعالى وحمايته، لا يصيبه سوء، وهذا حال المؤمن عندما يقبض الله روحه إلى جواره.

قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1].

وقال عزّ وجل: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

فالمؤمنون الذين يكون الحب في الله تعالى هو الذي يرسم نهجهم في علاقاتهم بالآخرين، وتكون جهودهم المبذولة في مؤازرة بعضهم البعض منبثقة من الإخلاص لله تعالى، فأولئك هم جيران الله تعالى في الآخرة، حيث يؤمنهم الله من كل خوف، ويشملهم السلام الإلهي العميم.

فعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فِي حَدِيثٍ قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ، يَسْمَعُ آخِرُهُمْ كَمَا يَسْمَعُ أَوَّلُهُمْ، فَيَقُولُ: أَيْنَ جِيرَانُ الله جَلَّ جَلَالُهُ فِي دَارِهِ؟ فَيَقُومُ عُنُقٌ مِنَ النَّاسِ فَتَسْتَقْبِلُهُمْ زُمْرَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَقُولُونَ مَا كَانَ عَمَلُكُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَصِرْتُمُ الْيَوْمَ جِيرَانَ الله تَعَالَى فِي دَارِهِ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَتَحَابُّ فِي الله، وَنَتَوَازَرُ فِي الله تَعَالَى. قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ الله تَعَالَى: صَدَقَ عِبَادِي. خَلُّوا سَبِيلَهُمْ، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى جِوَارِ الله فِي الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «**فَهَؤُلَاءِ جِيرَانُ الله**

(١) سورة الفجر، الآيات: ٢٧-٣٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٢.

فِي دَارِهِ، يَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ، وَيُحَاسَبُ النَّاسُ وَلَا يُحَاسَبُونَ»[١].

القبض إلى الله باختياره

القَبْضُ: خِلافُ البَسْط.

ويعبّر عن الموت بقبض الروح، ويبدو أنه تعبير عن انتهاء الأجل الذي كان مبسوطاً في الحياة، فكما أن الله تعالى يطوي السماوات يوم القيامة، فالإنسان كذلك تطوى صفحة حياته، ويُقبض، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢].

وفي ذلك دلالة على هيمنة الله تعالى وتحكّمه في ملكه، فيجازي كل واحد بعمله، ولكن ماهي دلالة الاختيار هنا في عبارة (باختياره)؟

لقد التزم الإمام عليه السلام على نهجه الحق، حتى أتاه أمر الله وقبضه الله باختياره، فالزائر برغم إيمانه بتلك العظمة العلوية العليا، فإنه يؤمن قاطعاً بأن ارتحال العظماء لا يكون إلا بإرادة إلهية وضمن سنّة الله في الموت، فهو حق على كل مؤمن ومؤمنة، حيث يرتحل العظيم بجسده وتبقى روحه التي جسّدت كل ألوان الفضيلة ترفرف فوق حياة كل الأجيال بتقادمها وتجدّدها.

إنّ الموت بالنسبة للظالمين والمتخاذلين والمنحرفين هو نهاية لهم، حيث يسدل الستار على ظلمهم فيبقون سيرة ملعونة في التاريخ، ولكن الموت بالنسبة للعظماء هو سلّم الصعود إلى طبقات الكمال وامتداد لآيات العظمة.

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج١٦، ص١٧٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

وكلمة قبضك إليه باختياره، إشارة إلى فشل كل الإرادات الظالمة التي تتوهم أنها ومن خلال حشد جهودها وبذل كل الإمكانات تستطيع أن تطفئ نور الله تعالى في الأرض، فإن موت العظماء لا يقدّمه ولا يؤخّره مكر الظالمين، إنما يتم ذلك باختيار الله تعالى، فإن لم يرد الله أن يُقبض فلن تستطيع كل الدنيا أن تقبضه، وإن أراد الله أن يُقبض، فلن يمنعه من ذلك مانع مهما بلغ من قدرات، لأن الله تعالى بالغ أمره، وبيده ملكوت السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

وقال عزّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾[2].

وفي دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ وَلَا لِعَطَائِهِ مَانِع**»[3].

فإنّ الله تعالى هو الذي اختار له تلك المكانة السامقة في ارتفاعه شهيداً، ليتبوأ مكانته التي رتّبه الله فيها، ومرتبته التي أعدّها لنفسه بجهاده وجهوده، وفي نص زيارة أخرى لأمير المؤمنين عليه السلام مروية عن الإمام الصادق عليه السلام، جاء فيها: «**وَسَلَّمَ إِلَيْكَ الْقَضَاءَ، وَعَبَدَكَ مُخْلِصاً حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، فَقَبَضْتَهُ إِلَيْكَ شَهِيداً سَعِيداً وَلِيّاً**

(١) سورة الصف، الآيتان: ٧-٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٣) إقبال الأعمال: ج١، ص٣٣٩.

تَقِيّاً رَضِيّاً زَكِيّاً هَادِياً مَهْدِيّا»[1].

وهذا المعنى يؤيد أن اختيار الله تعالى هو اصطفائه في طريقة قبضه، أن يكون شهيداً سعيداً ولياً تقياً رضياً زكياً هادياً مهدياً، وهكذا فإن الإمام علياً عليه السلام كان يعلم بموته مخضباً بدمه في محراب الصلاة، فمن ولادته في الكعبة المشرّفة إلى شهادته في استقبالها، لخّصت مسيرة حياته الشريفة، وهكذا سائر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا على علم بشهادتهم ورغم ذلك استجابوا مسلّمين لله تعالى، وهذه هي ترجمة لكلمة الإمام الحسين عليه السلام التي ألقاها عندما عزم على المسير إلى كربلاء، حيث قال: «**وَخُيِّرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيهِ كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وكَرْبَلَاءَ فَيَمْلَأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشاً جُوفاً، وأَجْرِبَةً سُغْباً لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَى اللهِ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلَائِهِ ويُوَفِّينَا أُجُورَ الصَّابِرِينَ لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ لُحْمَةٌ هِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ، ويُنَجَّزُ لَهُمْ وَعْدُه»**[2].

وهنالك معنى آخر يمكن أن يقال في معنى (قبضك إليه باختياره) وهو أن تكون العبارة إشارة لخصوصية المعصومين في قبض أرواحهم، حيث أن الملائكة مأمورة أن تقبض أرواح كافة الخلق، إلا أرواح المعصومين، فإن الله تعالى يتولّى قبض أرواحهم بقدرته ومشيئته، ولعل ما يمكن أن يساعد على هذا المعنى بعض الروايات التي أشارت لذلك، مثل: عَنْ أَبِي ذَرٍّ إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله، قال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، عَلِيٌّ أَخِي وصِهْرِي وعَضُدِي، إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ فَرِيضَةً إِلَّا بِحُبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، يَا أَبَا ذَرٍّ**

---

(١) المصباح، الكفعمي: ٦٨٦.

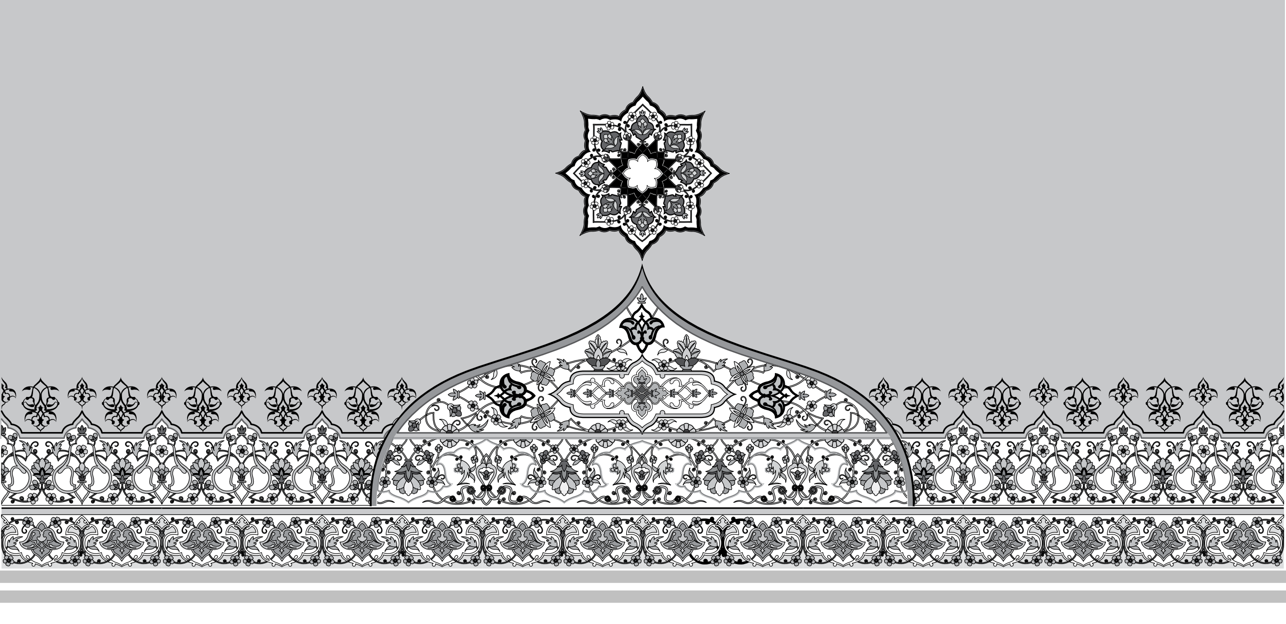
(٢) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٧.

لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، مَرَرْتُ بِمَلَكٍ جَالِسٍ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ نُورٍ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ نُورٍ، إِحْدَى رِجْلَيْهِ فِي الْمَشْرِقِ والْأُخْرَى فِي الْمَغْرِبِ وبَيْنَ يَدَيْهِ لَوْحٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، والدُّنْيَا كُلُّهَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، والخَلْقُ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ، ويَدُهُ تَبْلُغُ الْمَشْرِقَ والْمَغْرِبَ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرَئِيلُ مَنْ هَذَا، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ مَلَائِكَةِ رَبِّي جَلَّ جَلَالُهُ أَعْظَمَ خَلْقاً مِنْهُ؟ قال: هَذَا عَزْرَائِيلُ مَلَكُ الْمَوْتِ، ادْنُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: سَلَامٌ عَلَيْكَ حَبِيبِي مَلَكَ الْمَوْتِ، فَقَالَ: وعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَحْمَدُ، مَا فَعَلَ ابْنُ عَمِّكَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقُلْتُ: وهَلْ تَعْرِفُ ابْنَ عَمِّي؟ قال: وكَيْفَ لَا أَعْرِفُهُ وإِنَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ وَكَّلَنِي بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الخَلَائِقِ مَا خَلَا رُوحَكَ ورُوحَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَ الله يَتَوَفَّاكُمَا بِمَشِيَّتِه»[1].

إلاّ أن المقصود من هذه الروايات يمكن أن يكون بالنظر الأبعد هو ما فصّلناه، سواء ثبت أن ذلك يجريه الله بالمشيئة أو بالقدرة، أو عبر الملائكة، والملائكة لا تعصيه فيما يأمر، فهم رهن مشيئة الله تعالى ومظهري قدرته في العباد.

وسواء ثبت المعنى الذي قصدوه أم لم يثبت، فإننا نغلّب المعنى الأول، لأنه منسجم مع سياق الزيارة.

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٢، ص٢٣٦.



(٨)

وَأَلْزَمَ أَعْدَاءَكَ الْحُجَّةَ ـ في قَتْلِهِمْ إِيَّاكَ ـ مَعَ مَا لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَةِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ

لله الحجة البالغة على جميع الخلق بأمير المؤمنين عليه السلام في مقامه وفضله وعلمه، وبولايته التي ظهرت عياناً وشاعت أفضاله في الآفاق ووصلت مآثره لكل البشر، ففضله عليه السلام كالغيث ينزل على كل الأرض، فلا يستفيد منه إلا من جهّز الإناء أو حفر الأخاديد في الأرض كي يمر الماء للحرث فيسقيه ويروي ظمأه وينبت زرعه ويظهر ثمره، أما من أهمل ذلك فلا يمكنه الاستفادة من غيث السماء على كثرته، وأفضال أمير المؤمنين عليه السلام وأحقيته تحتاج إلى أوعية القلوب أن تتفتح لتستقبل الحقائق العلوية المتصلة بالسماء.

ولذلك كل طلاب للحقائق استلهموا من الإمام علي عليه السلام وتحدّثوا إعجاباً منقطع النظير عن فضائله، حتى أولئك الذين لا يؤمنون بدين الإسلام، حيث إنهم مثال بارز ومنصف لذلك، لم تتحكم فيهم العصبيات ولم تغلّف عقولهم الأهواء والأحقاد، فهذا الكاتب المسيحي جورج جرداق الذي ألّف كتابه في خمسة مجلدات تحت عنوان (علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية) ساطراً أروع الكلمات البحثية مستظهراً عظمة الإمام في مواضيع العبقرية والسياسة والحقوق وسائر الفضائل، ومما قال: (علي بن أبي طالب فذّ من أفذاذ العقل. وهو بذلك قطب الإسلام وموسوعة المعارف العربية، ليس من علم عربي إلا وقد وضع أصله أو ساهم في وضعه)[1].

ويقول توما كارلايل: (إن العناق المبكر بين روح محمد وروح علي، والتقاء يد محمد بيد علي الصغيرة وقتذاك في بيعة الدار، كان له أبلغ الأثر في تغيير مسيرة التاريخ)[2].

وينشد الشاعر المسيحي بولس سلامة في ملحمته الخالدة (عيد الغدير) فيما يقول:

ودعاهم لله، للنور، للجنـ	ـات خضراً على الزمان الأبيد
قال: قد جئتكم بإيمان إبراهيم	بالوحي، بالضياء الرشيد
أيّكم يتّبع هداي ويمشي	في لوائي يكن أخي وعمودي
قال: إني لها وإن كنت غضّ العمر	فالسيف للعتاة بريدي
وإذا بالنبي يرسل قولاً	رنّ في مسمع الزمان البعيد
أنت مني وارثي ووزيري	وعلى الحوض أنت بكر شهودي[3]

---

(١) الإمام علي في الفكر المسيحي: ص٤١٢. عن جورج جرداق: ج١، ص٩٧.

(٢) المصدر نفسه: ص١٥٥، عن توماس كارلال، الأبطال: ص٧٦.

(٣) المصدر نفسه: ص١٦٠، عن بولس سلامة، عيد الغدير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦: ص٤١.

ويقول المفكر المسيحي (كونسلمان) في كتابه سطوع نجم الشيعة: (واستطاع علي عليه السلام في هذه البلاد أن يطبّق مبادئ حكمه، وأن يحقق مبادئه المثالية كحاكم عادل، ولم يستطع أحد أن يقول عنه إنه ارتكب باطلاً. وإلا أن استقامته كانت مكمن نهايته)[1].

وقد عبّر عن حقيقة النجم العلوي المتألق في سماء الدنيا (يان ريشار) في كتابه الإسلام الشيعي، بقوله عن الإمام عليه السلام: (شقّ طريقاً وأنشأ نموذجاً خالداً للإنسانية، وقد أظهر دوماً لكل إنسان، أنه إنسان نموذجي.. وهكذا نرى نحن أنه كل يوم، يزداد حياة وأننا بحاجة إليه دوماً، وأن القلوب التي تهتزّ للإنسانية، والحرية والعدالة والنقاء... تتجه أكثر وأكثر إليه وإلى إمامته)[2].

ألزم قاتليه الحجة

ومع ما للإمام علي عليه السلام من الحجة البالغة على سائر الناس، فإن الله تعالى ألزم أعداءه الذين ناصبوه العداء والذين تقمّصوا حقه وحقوقه الحجة، وإلزامهم الحجة لما شهد به سائر الخلق، وما شهده كل من عايشه، وهم من ضمنهم كانوا يرون الفضائل تتحرك في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وفي سلوكه.

بل وقد شهدوا بألسنتهم بفضله عليه السلام وألزمهم الله بما صدر عنهم من صريح البيان، فالحق أبلج يأبى الله إلا أن يظهره، ولو احتشد له وتكالب عليه كل شياطين الأرض، ولو كره المشركون والمنافقون، والفضل ما شهدت به الأعداء.

(١) المصدر نفسه: ص٢٢٣، عن جرهارد كونسلمان، سطوع - نجم الشيعة: ص٣٥.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٦٦، عن يان ريشار: الإسلام الشيعي: ص٣٧.

لقد ألقى الحجة على جميع أعدائه، فلم يدعهم يخالفونه دون أن يوضّح لهم مواضع أخطائهم، بل حتى الخوارج الذين ناصبوا له العداء وانقلبوا عليه بعد التحكيم، فلقد حاورهم الإمام عليه السلام عدة مرات، وبين لهم كل ما أشكلوا فيه عليه، وقد اعتمد تذكيرهم بالوقائع التي عايشوها، واستدل لهم بالقرآن الكريم، وأوضح لهم جهات الشبه بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله في التعامل مع أعدائه، وبتلك المحاورات رجع خلق كثير عن غيّهم، وفي إحدى المحاورات تراجع ثمانية آلاف شخص عن ما كانوا يؤمنون به من عداء لأمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن البعض أصر واستكبر، ولم يستمع لصوت الحق يدوّي في الآفاق بصوت الإمام علي عليه السلام.

جاء في بعض نسخ الزيارة النص: «**وَأَلْزَمَ أَعْدَاءَكَ الْحُجَّةَ**» من دون عبارة «**فِي قَتْلِهِمْ إِيَّاكَ**»، والفرق أن من دونها، يشمل المعنى إقامة الحجة على جميع أعداء أمير المؤمنين عليه السلام، منذ أن بزغت شمس الإسلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله، وحتى بعد شهادته وانقلاب القوم على الخلافة التي أوصاهم بها صلى الله عليه وآله، مروراً بكل فصول حياته حتى واجه معاوية في خلافه، فقد ألزم الله تعالى الحجة عليهم، والتاريخ يشهد بكل الجهود التي بذلها الإمام علي عليه السلام في بيان حقّه، وما اتضح فيه فضله ومقامه الباهر.

كما أن الحجة قد ألزم بها المباشر لقتل الإمام عليه السلام، وهو عبد الرحمن بن ملجم، فقد تقابل معه الإمام عدة مرات، وأشار له بضلالته وبنية السوء التي ينويها، فـ(حينما أتاه عبد الرحمن بن ملجم ليبايعه، نظر علي في وجهه طويلاً، ثم قال: «**أرأيتك إن سألتك عن شيء وعندك منه علم، هل أنت مخبر عنه**»؟ قال: نعم، وحلّفه عليه، فقال: «**أكنت تواضع الغلمان وتوقم عليهم، وكنت إذا جئت فرأوك من بعيد، قالوا:**

قد جاءنا ابن راعية الكلاب»؟ فقال: اللهم نعم. فقال له: «**مررت برجل وقد أيفعت (صرت يافعاً) فنظر إليك نظراً حاداً فقال: أشقى من عاقر ناقة ثمود**»؟ قال: نعم. قال: «**قد أخبرتك أمك أنها حملت بك في بعض حيضها**»؟ فتعتع هنيئة، ثم قال: نعم. فقال الإمام عليه السلام: «**قم**». فقام، قال عليه السلام: «**سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قاتلك شبه اليهودي بل هو يهودي**». وقد تكرر منه عليه السلام أن رأى ابن ملجم فقال: «**أريد حياته ويريد قتلي**»[1].

إن الإمام علياً عليه السلام نموذج فريد في عالم العظمة، فقد اجتمعت الأصوات على فضائله ومناقبه، وصارت أناشيد يتغنّى بها كل الأحرار ولا يخالف ذلك إلا المكابر والمعاند والمفتري الذي طبع الله على قلبه، وأبعده عن الحق وعن رائد الحقيقة.

مع مالك من الحجج

فأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده، ألزم الله أعداءهم الحجة بنحو خاص، مع ماهم من الحجج على كافة البشر، والأعداء هم جزء منهم، ولكن إلزامهم هو أكبر حجة عليهم.

وقد تمّت الحجة على جميع الخلق من خلال تبيان الهدى من الضلال، ويتم ذلك من خلال تراتبية في الوصول إلى الحق، حيث أن الله تعالى قد خلق الخلق وأودع فيهم العقول، التي هي رسل وحجج باطنة، وهذه العقول تدعوه إلى التعلم من أجل إنقاذ النفس من السقوط في يوم الجزاء، فالعلم هو حجة من الله، فلا يمكن أن يتذرّع الإنسان بجهله الذي منعه أن ينفتح على أبواب الهدى، جاء عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ زِيَادٍ،

(١) الإمام علي عليه السلام من المهد إلى اللحد، السيد كاظم القزويني: ص٢٦٥.

قال: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام وقَدْ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾، فَقَالَ: «**إِنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَبْدِي أَكُنْتَ عَالِماً؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ لَهُ: أَفَلَا عَمِلْتَ بِمَا عَلِمْتَ؟ وإِنْ قَالَ: كُنْتُ جَاهِلًا، قَالَ لَهُ: أَفَلَا تَعَلَّمْتَ حَتَّى تَعْمَلَ؟ فَيَخْصِمُهُ، وذَلِكَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**»[1].

ولأنّ العلم حجّة، فإن حَمَلَة العلم هم الأنوار الحجج، حيث بيّنوا للناس طريق الهداية، وعرّفوهم معالم الإيمان، فأصبحوا بذلك حجج الله على عباده، وقد ورد عن أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ، قال: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «**يَا ابْنَ أَبِي يَعْفُورٍ، إِنَّ الله وَاحِدٌ مُتَوَحِّدٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، مُتَفَرِّدٌ بِأَمْرِهِ، فَخَلَقَ خَلْقاً فَقَدَّرَهُمْ لِذَلِكَ الْأَمْرِ، فَنَحْنُ هُمْ يَا ابْنَ أَبِي يَعْفُورٍ، فَنَحْنُ حُجَجُ الله فِي عِبَادِهِ، وخُزَّانُهُ عَلَى عِلْمِهِ، والْقَائِمُونَ بِذَلِكَ**»[2].

ولا شك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو المثال الأبرز في حجيته البالغة، فلنستمع للإمام محمد الباقر عليه السلام يصف مكانة الإمام علي عليه السلام في بُعدها كحجة لله على العباد.

عَنْ أَبِي الصَّامِتِ الْحُلْوَانِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**فَضْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَا جَاءَ آخُذُ بِهِ ومَا نَهَى عَنْهُ أَنْتَهِي عَنْهُ، وجَرَى لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله مِثْلَ الَّذِي جَرَى لِرَسُولِ الله، والْفَضْلُ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، الْمُتَقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالْمُتَقَدِّمِ بَيْنَ يَدَيِ الله ورَسُولِهِ، والْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِ كَالْمُتَفَضِّلِ عَلَى الله وعَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله، والْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِ فِي صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِالله،**

---

(١) الأمالي، الشيخ المفيد: ص ٢٦٨.

(٢) الكافي، الكليني: ج١، ص١٩٣.

فَإِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله بَابُ الله الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ، وسَبِيلُهُ الَّذِي مَنْ سَلَكَهُ وَصَلَ إِلَى الله، وكَذَلِكَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مِنْ بَعْدِهِ، وجَرَى فِي الْأَئِمَّةِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، جَعَلَهُمُ الله أَرْكَانَ الْأَرْضِ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، وعهد [عُمَدَ] الْإِسْلَامِ ورَابِطَةً عَلَى سَبِيلِ هُدَاهُ، ولَا يَهْتَدِي هَادٍ إِلَّا بِهُدَاهُمْ، ولَا يَضِلُّ خَارِجٌ مِنْ هُدًى إِلَّا بِتَقْصِيرٍ عَنْ حَقِّهِمْ، لِأَنَّهُمْ أُمَنَاءُ الله عَلَى مَا هَبَطَ مِنْ عِلْمٍ أَوْ عُذْرٍ أَوْ نُذْرٍ، والْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى مَا فِي الْأَرْضِ، يَجْرِي لِآخِرِهِمْ مِنَ الله مِثْلُ الَّذِي جَرَى لِأَوَّلِهِمْ، ولَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِعَوْنِ الله، وقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَا قَسِيمُ الْجَنَّةِ والنَّارِ، لَا يَدْخُلُهَا دَاخِلٌ إِلَّا عَلَى أَحَدِ قِسْمَيْنِ، وأَنَا الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ، وأَنَا الْإِمَامُ لِمَنْ بَعْدِي، والْمُؤَدِّي عَمَّنْ كَانَ قَبْلِي، ولَا يَتَقَدَّمُنِي أَحَدٌ إِلَّا أَحْمَدُ صلى الله عليه وآله، وإِنِّي وإِيَّاهُ لَعَلَى سَبِيلٍ وَاحِدٍ، إِلَّا أَنَّهُ هُوَ الْمَدْعُوُّ بِاسْمِهِ، ولَقَدْ أُعْطِيتُ السِّتَّ: عِلْمَ الْمَنَايَا والْبَلَايَا والْوَصَايَا والْأَنْسَابَ وفَصْلَ الْخِطَابِ، وإِنِّي لَصَاحِبُ الْكَرَّاتِ، ودَوْلَةِ الدُّوَلِ، وإِنِّي صَاحِبُ الْعَصَا والْمِيسَمِ، والدَّابَّةُ الَّتِي تُكَلِّمُ النَّاسَ»(١).

ونور أمير المؤمنين عليه السلام يجري مجراه في الأئمة المعصومين من ولده.

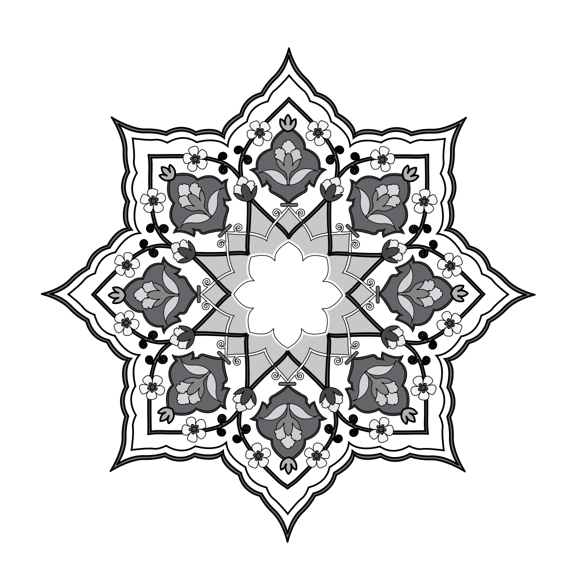
فعَنْ أَبِي حَمْزَةَ، قال: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: قال الله تَبَارَكَ وتَعَالَى: اسْتِكْمَالُ حُجَّتِي عَلَى الْأَشْقِيَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ، مِنْ تَرْكِ وَلَايَةِ عَلِيٍّ والْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِكَ، فَإِنَّ فِيهِمْ سُنَّتَكَ وسُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وهُمْ خُزَّانِي عَلَى عِلْمِي مِنْ بَعْدِكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وآله: لَقَدْ أَنْبَأَنِي جَبْرَئِيلُ عليه السلام بِأَسْمَائِهِمْ وأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ».

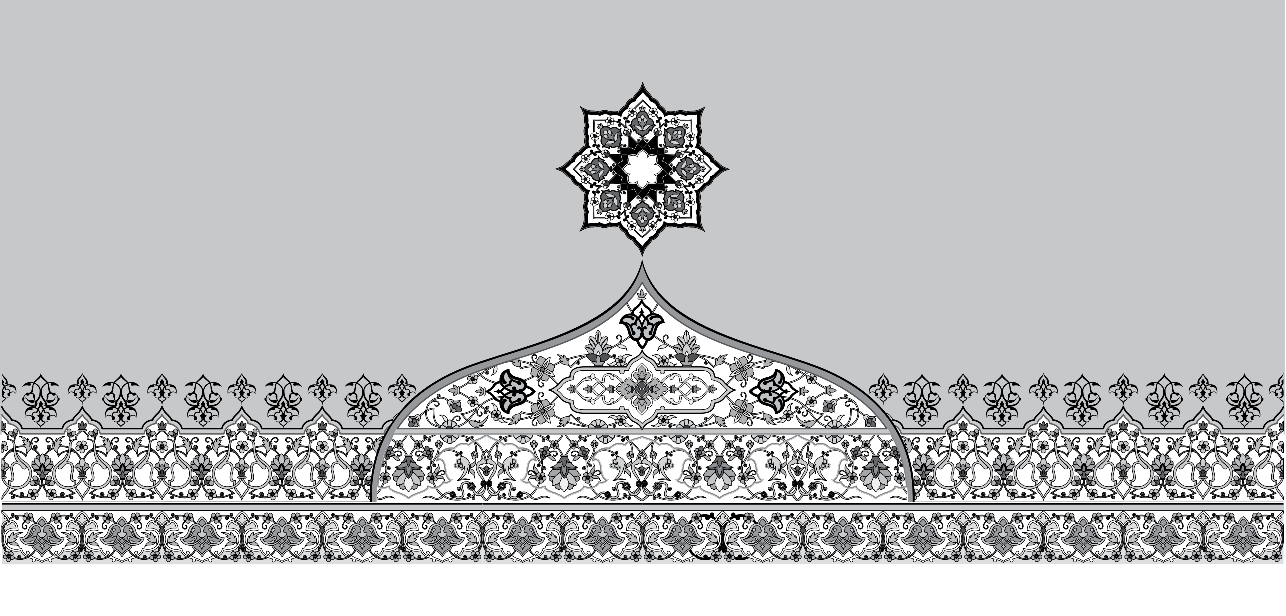
---

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، الصفّار: ج١، ص٢٠٠.

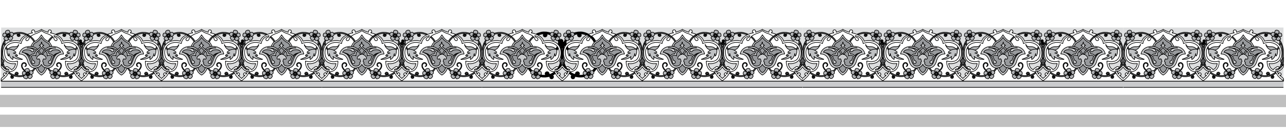
نهاية قسم السلام

إلى هنا ينتهي القسم الأول من أقسام زيارة أمين الله تعالى، وفيه قد حلّق الزائر في سماء العظمة لأمير المؤمنين عليه السلام، كمثال رباني ينبغي على المؤمن أن (يسلّم) عليه عند قبره الشريف، ليصنع جسر التواصل من أجل علاقة سليمة مع كل صفاته. هذه الصفات التي هي عبارة عن استحضار المثال الرباني الأعظم، لكي ينتقل بعد ذلك إلى العروج الروحي بالدعاء، ليطلب من الله تعالى أن يجعله يحلّق في سماء العظمة، من خلال التطلّع إلى بناء شخصيته كما هي ممتثلة نهج أمير المؤمنين عليه السلام الذي دعا المؤمنين أن يعينوه على اقتفاء أثره بورع واجتهاد وعفة وسداد، وهذا هو الرابط الموضوعي بين القسم الأول (قسم السلام) والقسم الثاني الذي يليه وهو (قسم الدعاء).





بناء الشخصية شرح الزّيارة (قسم الدعاء)



بناء الشخصّية شرح الزيارة (قسم الدعاء)

عروج في سماء علي عليه السلام

ورد في الزيارة أيضاً قوله عليه السلام: «**اللَّهُمَّ فَاجْعَلْ نَفْسِي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ، رَاضِيَةً بِقَضَائِكَ، مُولَعَةً بِذِكْرِكَ وَدُعَائِكَ، مُحِبَّةً لِصَفْوَةِ أَوْلِيَائِكَ، مَحْبُوبَةً فِي أَرْضِكَ وسَمَائِكَ، صَابِرَةً عَلَى نُزُولِ بَلَائِكَ، شَاكِرَةً لِفَوَاضِلِ نَعْمَائِكَ، ذَاكِرَةً لِسَوَابِغِ آلَائِكَ، مُشْتَاقَةً إِلَى فَرْحَةِ لِقَائِكَ، مُتَزَوِّدَةً التَّقْوَى لِيَوْمِ جَزَائِكَ، مُسْتَنَّةً بِسُنَنِ أَوْلِيَائِكَ [أَنْبِيَائِكَ]، مُفَارِقَةً لِأَخْلَاقِ أَعْدَائِكَ، مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيَا بِحَمْدِكَ وثَنَائِكَ**».

بعد أن يقف الزائر أمام عظمة أمير المؤمنين عليه السلام مستحضراً آيات الفضل والعظمة، وبعد أن اعتَقَدَ أنّه عليه السلام:

- الأمين على دين الله في كل أرض وبلاد.
- والحجة على كل العباد إلى يوم المعاد.
- وأنه متوّج بالأمارة على كل المؤمنين.
- وأن لا سيف إلا سيفه رمزاً للجهاد وأصله.
- وأنه ترجمان القرآن، والناطق به.
- وأنه السائر على نهج الرسول وسننه.

وقد ألزم العباد والأعداء بكل آيات الفضل تلك، تتطلع النفوس ناحية هذا المثال العظيم وهذا المقام الفريد وتبتغي أن تمتطي براقاً ليعرج بها في سماء أمير المؤمنين عليه السلام لترتقي في مداد كماله وتسبح في بحر شمائله، فتجأر النفوس إلى بارئها بالدعاء الخالص لتكتسب الخلق الذي تربّى عليه الإمام علي عليه السلام صغيراً، ونشأ عليه شابّاً ولزمه حتى أودع في قبره الشريف، ثم استطال نوراً لكل العالم.

هنا تنتقل زيارة أمين الله بالزائر من ساحة (السلام) على صاحب أرقى الشمائل، إلى طلب الإمساك بنهجه الشريف في الحياة، وهو انتقال من صيغة التوجّه للإمام عليه السلام بـ(السلام)، إلى صيغة التوجّه إلى الله تعالى بـعبارات (الدعاء)، فالنفس مهيئة الآن لتعرج إلى السماء، فقد أسّست لها قاعدة انطلاق رصينة، وهي بمثابة دافع قوي للتطلع إلى الأفضل، وتقديم الإمام علي عليه السلام بين يديه عبر السلام عليه، لهو أفضل وسيلة لاستنزال الرحمة الإلهية، لينال دعاؤه القبول والرضا.

كما أن للدعاء في المفهوم الإسلامي جنبة تربوية أخرى لا ينبغي إغفالها، وهي ارتباطه بالسعي والأداء وتوفير المقدّمات وتحصيل الأسباب كي يوفقه الله تعالى للتخلّق بذاك الخلق العظيم، وتبدأ النفس برحلة العروج.

كما ورد في شأن ضرورة السعي لما دعا لأجله، فعَنْ زُرَارَةَ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: «**الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ**»[1].

ويسعى الداعي إلى إبعاد الموانع التي تحجب الدعاء عن الإجابة، كأكل الحرام وارتكاب الذنوب، وكل ما يسخط الله تعالى، ليرتفع الدعاء إلى السماء من قلب

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٧، ص١٤٥.

صـاف زاك، ففـي عدة الداعـي، قـال: فِي الْحَدِيـثِ الْقُـدْسِيِّ: «**لَا يُحْجَبُ عَنِّـي دَعْوَةٌ إِلَّا دَعْـوَةُ آكِلِ الْحَرَامِ**»[1].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ يَسْأَلُ الله الْحَاجَةَ، فَيَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ قَضَاؤُهَا إِلَى أَجَل قَرِيبٍ، أَوْ إِلَى وَقْتٍ بَطِيءٍ، فَيُذْنِبُ الْعَبْدُ ذَنْباً فَيَقُولُ الله تَعَالَى لِلْمَلَكِ: لَا تَقْضِ حَاجَتَهُ واحْرِمْهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ تَعَرَّضَ لِسَخَطِي واسْتَوْجَبَ الْحِرْمَانَ مِنِّي**»[2].

فالسعي عنوان هام بالنسبة للداعي، وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام هي من أبرز عناوين السعي، لأنها تفتح أبواب السماء ليعرج إليها الدعاء، فحال زائر أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقف عند البقعة البيضاء التي تلمع نوراً من قبره الشريف في زيارته، حال من وفّر المقدّمات وملك مفاتيح السماء، حيث تفتح له السماء لتستقبل دعواته المشحونة بالتطلعات، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**إِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَتُفَتَّحُ عِنْدَ دُعَاءِ الزَّائِرِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام**»[3].

فالزائر يترقّب لحظات يضمن فيها نفاذ دعواته إلى السماء عبر أبوابها، وكون الزائر في موقع الزيارة قد أمسك بسلطان من الله تعالى وهو كونه ممتثلاً بالزيارة لأمير المؤمنين عليه السلام، فتفتح السماء أبوابها، لينفذ إليها مستجاب الدعوة، مقبول الطاعة.

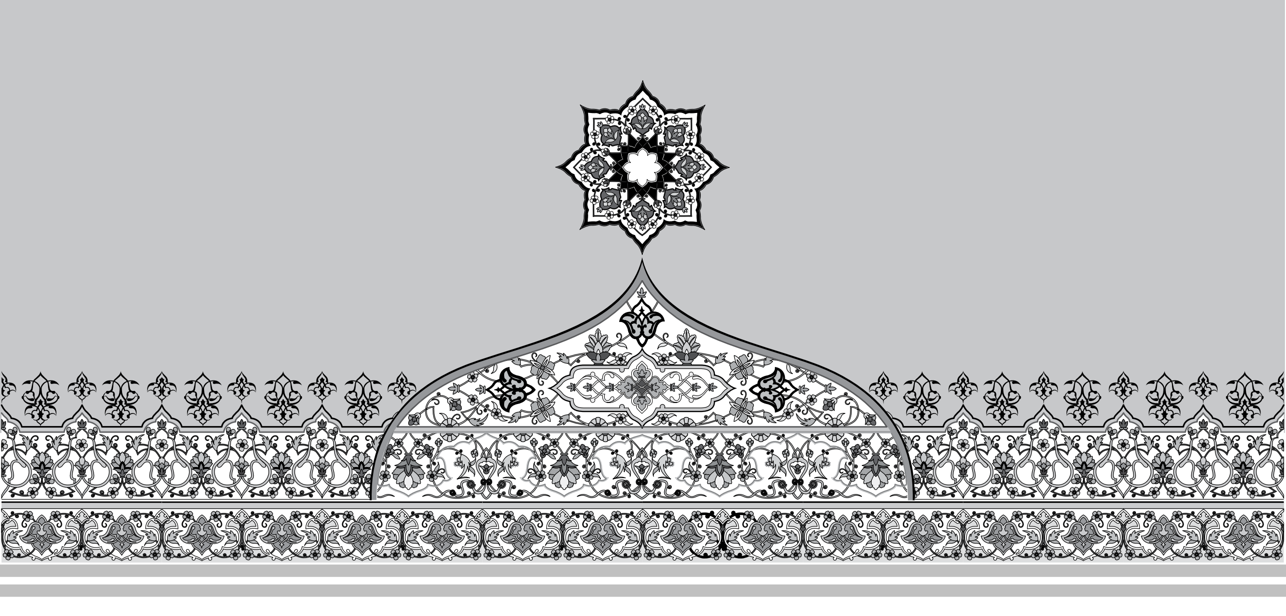
فتبدأ فصول الدعاء في زيارة أمين الله على النحو الآتي:

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المقنعة، للشيخ المفيد، ص٤٦٢.



(١)

اللَّهُمَّ فَاجْعَلْ نَفْسِي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ، رَاضِيَةً بِقَضَائِكَ

اللهم: قال جمع من النحويين أن أصلها يا الله، والميم المشدّدة عوض من يا، وللّغويين مذاهب شتى في هذه الكلمة، وكلها اجتهادات تبحث عن العلّة من وضع الميم في آخر لفظ الجلالة (الله) أو أصل الرسم ذاته، إلا أن الإطباق على أن (اللهم) هي نداء يتوجّه به السائل إلى الله عز وجلّ، وهذا ما يهمنا.

الاطمئنان: طُمَأْنِينَةً بضم الطاء: سَكَنَ ولم يَقلَق.

القَدَر: عبارة عما قضاه الله وحكم به من الأمور.

القضاء: قضى يَقْضي قَضَاءً وقَضِيَّةً: أي حَكَمَ. وقيل المراد منه الخلق، وقضاء الله هو الإبرام والإمضاء الذي لا مرد له.

(بين القضاء والقدر فرق هو أن القدر: هو ما يسنّه الله للكون من أنظمة، بينما القضاء هو تنفيذ تلك السنن أو تدخل مباشر للغيب لتغيير مجرى الأقدار)[1].

ويؤيد ذلك ما ورد عَنْ زُرَارَةَ، قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: **«كَمَا أَنَّ بَادِيَ النِّعَمِ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ وقَدْ نَحَلَكُمُوهُ، فَكَذَلِكَ الشَّرُّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وإِنْ جَرَى بِهِ قَدَرُه»**[2].

إنّ أولى صفات الشخصية الربانية أن تكون نفسه في حالة اطمئنان بما قدّر لها، ومستشعرة للرضا بما قضى الله لها.

يتوجّه الدعاء ليشمل النفس، نفس الزائر، تلك النفس المتأرجحة في عالم متقلب، تتجاذبها الشهوات والأطماع، والهواجس والمخاوف، تلك النفس التي يتملّكها الشح فتضيق بها الدنيا بما رحبت، ويستحوذ عليها حب البقاء فتصاب بالهلع، إنها نفس لا تعرف التوازن، ما لم ترتبط بالله تعالى، وما لم تتخذ لها نهجاً معصوماً ينجيها مما هي فيه، فتنساب في معادلات الدنيا مع الله تعالى، كما كان أمير المؤمنين عليه السلام، مطمئناً بالقدر، راضياً بالقضاء، لأنه يعي تماماً أن ذلك كله من الله تعالى.

النفس المطمئنة بالقضاء والراضية بالقدر، هي أقوى النفوس على الإطلاق، فلا يهزها أمر من تحديات الدنيا ولا يخيفها عدو، فالخارطة والنتائج واضحة لديها من خلال إيمانها بالقضاء والقدر.

جاء في الكافي: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام جَالِساً بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ

(١) من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي: ج٣، ص٢٠١.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٣٦٨.

صِفِّينَ، إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ فَجَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِنَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ، أَبِقَضَاءٍ مِنَ اللهِ وَقَدَرٍ؟ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «**أَجَلْ يَا شَيْخُ، مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً وَلَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَادٍ إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ اللهِ وَقَدَرٍ**».

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: عِنْدَ اللهِ أَحْتَسِبُ عَنَائِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ لَهُ: «**مَهْ يَا شَيْخُ، فَوَاللهِ لَقَدْ عَظَّمَ اللهُ الْأَجْرَ فِي مَسِيرِكُمْ وَأَنْتُمْ سَائِرُونَ، وَفِي مُقَامِكُمْ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ، وَفِي مُنْصَرَفِكُمْ وَأَنْتُمْ مُنْصَرِفُونَ، وَلَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ مِنْ حَالاتِكُمْ مُكْرَهِينَ، وَلَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ**».

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: وَكَيْفَ لَمْ نَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْ حَالاتِنَا مُكْرَهِينَ وَلَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ، وَكَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ مَسِيرُنَا وَمُنْقَلَبُنَا وَمُنْصَرَفُنَا؟ فَقَالَ لَهُ: «**وَتَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ قَضَاءً حَتْماً وَقَدَراً لَازِماً! إِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَالزَّجْرُ مِنَ اللهِ، وَسَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، فَلَمْ تَكُنْ لَائِمَةٌ لِلْمُذْنِبِ، وَلَا مَحْمَدَةٌ لِلْمُحْسِنِ، وَلَكَانَ الْمُذْنِبُ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ مِنَ الْمُحْسِنِ، وَلَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ. تِلْكَ مَقَالَةُ إِخْوَانِ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَخُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ، وَقَدَرِيَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَجُوسِهَا.**

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيراً، وَنَهَى تَحْذِيراً، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يُمَلِّكْ مُفَوِّضاً، وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلًا، وَلَمْ يَبْعَثِ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ عَبَثاً، ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ».

فَأَنْشَأَ الشَّيْخُ يَقُولُ:

أَنْـتَ الْإِمَـامُ الَّـذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ   يَـوْمَ النَّجَاةِ مِـنَ الـرَّحْمَـنِ غُفْرَاناً
أَوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنَا مَا كَانَ مُلْتَبِساً   جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانا[1]

الاطمئنان بالقدر

إن الله تعالى يقدّر للنفس الإنسانية ما ينفعها في دينها ودنياها، والاطمئنان بقدر الله هو حسن ظن بالله تعالى، بل هو يطلب أن يكون قدره قدراً خيّراً كي تطمئن نفسه لما سيصيبها، فيمكن للإنسان أن يغيّر من واقعه إن كان في قدره ما هو سيئ، كمن يكتب له الفقر، أو المرض، أو الاضطهاد، أو يجد نفسه بعيداً عن ساحة المؤمنين، لأي سبب من الأسباب المؤثرة في قدره هذا، فمن خلال السعي والجد والدعاء، يتغير الطريق المرسوم له، فتنفرج لها طرقات الخير من نفحات الرحمة الإلهية.

لذلك فإن من المهم أن يسعى الإنسان لبلوغ الاطمئنان بقدر الله له، ويبتعد عن النفس الجامدة التي لا تسعى ولا تأمل في خير الله، وتخلد إلى ماهي فيه من شؤون الدنيا، وتستغرق في طلب الملذات، وتطمئن لحالتها المنغمسة في الشهوات، غافلة عن النتائج التي تنتظرها في الدنيا وفي الآخرة، فأولئك الذين لا يرجون لقاء الله، وقد قال عنهم الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾[2].

الرضا بالقضاء

القضاء هو تحقق القدر الذي كتبه الله لعباده، سواء كان تقديراً مكتوباً لم يتغير، أو أنه تغيّر بفعل العبد، فالقضاء هو وصول القدر إلى مرحلة الإبرام والإمضاء الذي

(١) الكافي، الكليني: ج١، ص١٥٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ٧.

لا رجعة فيه، وأن تكون النفس راضية بقضاء الله تعالى، يعني أنها تسكن من روعها تجاه ما أصابها أولاً، ثم تستشعر برد القبول بما جرى، فلا تجزع، ولا تعترض على قضاء الله تعالى، لأن كل ما يصيب الإنسان من حال، فهو خير له، وهذه الحقيقة صعبة التقبّل، ولذلك كان مقام الرضا هو مقام من مقامات الأولياء والصالحين، وقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام عن درجة الرضا: «**أَعْلَى دَرَجَاتِ الْيَقِينِ أَدْنَى دَرَجَاتِ الرِّضَا**»[1].

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**بَيْنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، إِذْ لَقِيَهُ رَكْبٌ فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: مُؤْمِنُونَ، فَقَالَ: مَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكُمْ؟ قَالُوا: الرِّضَا بِقَضَاءِ الله والتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ الله والتَّفْوِيضُ إِلَى الله، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ كَادُوا أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ، ولَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ، واتَّقُوا الله الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**»[2].

وعن مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قال: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله رَجُلًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله، إِنَّ نَفْسِي لَا تَشْبَعُ ولَا تَقْنَعُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «**قُلِ: اللَّهُمَّ رَضِّنِي بِقَضَائِكَ وصَبِّرْنِي عَلَى بَلَائِكَ وبَارِكْ لِي فِي أَقْدَارِكَ، حَتَّى لَا أُحِبَّ تَعْجِيلَ شَيْءٍ أَخَّرْتَهُ، ولَا تَأْخِيرَ شَيْءٍ عَجَّلْتَهُ**»[3].

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج١٦، ص١٢. ونقل في تحف العقول عنه عليه السلام::الرضا بمكروه القضاء، أرفع درجات اليقين.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٣٧١.

(٣) الجعفريات: ص٢٢٠، محمد بن محمد بن الأشعث، ط١، مكتبة النينوى الحديثة، طهران، إيران.

يمكن للإنسان أن يتماشى مع المرض أو الفقر أو السجن أو فقد عزيز، ولكن في داخل نفسه يتجرّع المصيبة ويبدي ألمه، فهو مؤمن بالقضاء قابل به، وهذه درجة من درجات الإيمان، وعندما تترقّى نفسه لدرجة استشعار برودة ما يصيبها، ستعي أن في ذلك الخير، فإن لم يكن خير الدنيا، فالخير العميم في الآخرة، مقابل الصبر الجميل.

أساس الإيمان

الاطمئنان بالقدر، والرضا بالقضاء، هو أصل إيمان الإنسان بما وعد الله تعالى عباده من الأقدار العامة التي يجريها في عباده، فقد قدّر أرزاق الخلائق وضمن لهم العيش الكريم، ووهبهم العقل البصير، ولم يكلّفهم إلا قدر ما في وسعهم، وضمن لكل صاحب سعي أن يرى أثر سعيه، فكل شيء عند الله تعالى بمقدار معلوم موزون، لا تخفى عليه خافية في الأرض أو في السماء، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[1].

والمقادير العامة كسنن إلهية تجري على المعاصرين كما جرت على الماضين، وكل وما ينطبق عليه من عنوان يستحق هذه السنة أوتلك، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[2].

وقال تعالى عن امرأة لوط التي اختارت موضعها من السنن، فأبت إلا الخيانة والابتعاد عن رحمة الله، فكان قدرها الشمول بالعذاب الذي نزل على قوم لوط: ﴿إِلَّا

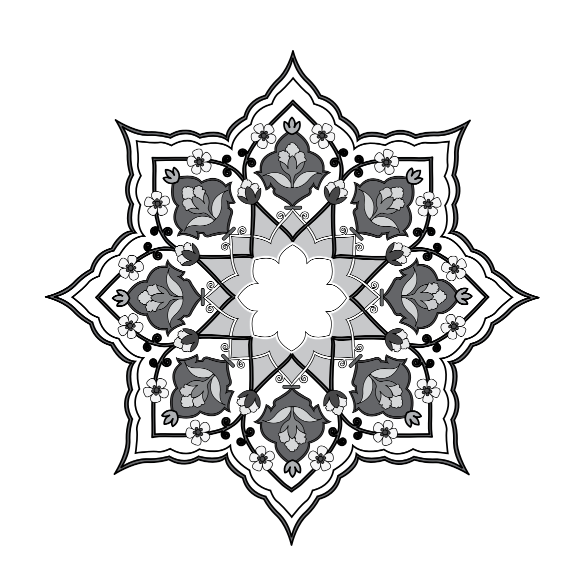
(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾[1].

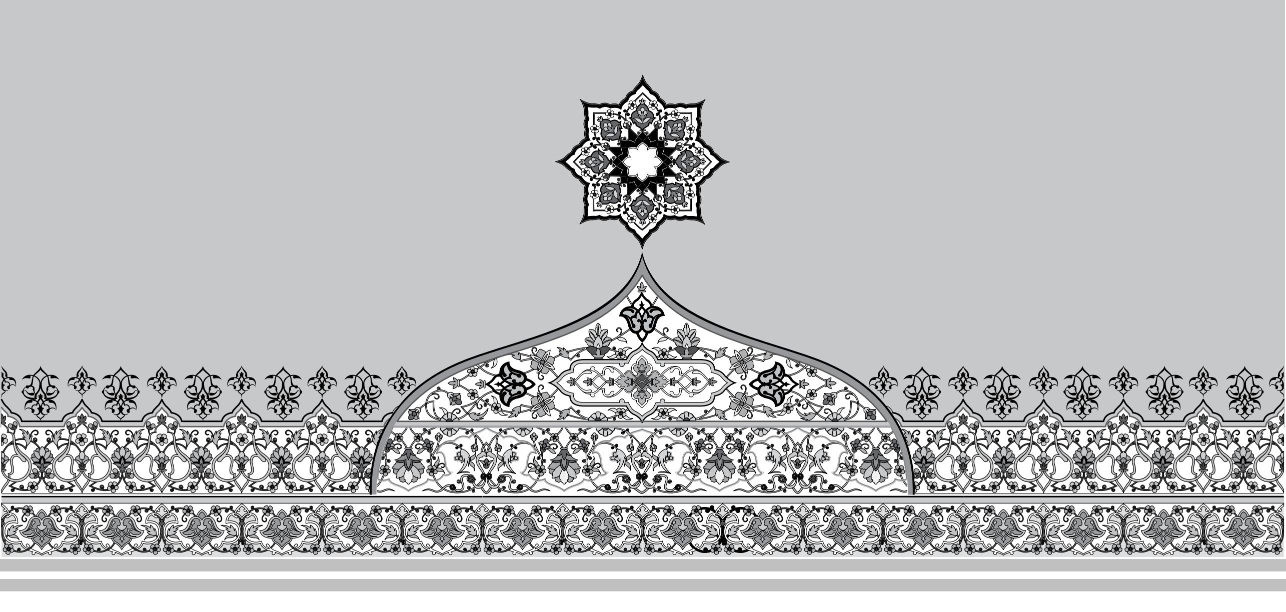
ومن كل ذلك يُعرف أن الاطمئنان بالقدر، والرضا بالقضاء من أسس الإيمان الذي ينبغي أن يحافظ عليه المؤمن مع كل تقلبات الحياة ومصاعبها.

ورد عن الإمام عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام، عن آبائه، عن الإمام عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ: «**سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله يَقُولُ: قَالَ الله جَلَّ جَلَالُهُ: مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَدَرِي، فَلْيَلْتَمِسْ إِلَهاً غَيْرِي، وَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: فِي كُلِّ قَضَاءِ الله خِيَرَةٌ لِلْمُؤْمِنِ**»[2].



(١) سورة الحجر، الآيتان: ٥٩-٦٠.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٣٧١.



(٢)

مُولَعَةً بِذِكْرِكَ وَدُعَائِكَ

مولعة: ولع تدل على اللّهج بالشيء، أَوْلَعَه به: أَغْراه.

من علامات حب العبد لله تعالى هي إدامة ذكره والاشتغال بالتوجّه إليه بالدعاء، لذلك يطلب الزائر أن تكون نفسه مولعة، أي شديدة التعلّق وعميقة بالحب وشديدة الأنس بذكر الله تعالى وبدعائه.

ذكر الله تعالى طريق إلى تكوين النفس المطمئنة المستقرّة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١].

كما أن إدامة ذكر الله تعالى، طريق لاكتساب محبة الله تعالى، فعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

السلام قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الله أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ ذَكَرَ الله كَثِيراً، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ، بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**»[1].

والدعاء مخ العبادة وطريق النجاة من الهلكات، ومن أراد أن ينال من رحمة الله تعالى وفيوضاتها، فعليه بالدعاء، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[2].

فالدعاء عند أمير المؤمنين عليه السلام، هو (مفاتيح النجاح، ومقاليد الفلاح)، وهو (مفتاح الرحمة، ومصباح الظلمة)، وبالنسبة للشخصية المؤمنة: (نعم السلاح الدعاء)، لذا فقد كانت سيرة أمير المؤمنين عليه السلام مليئة بمشاهد الولع والتوجّه الشديد إلى الله تعالى، ولم يكن لسانه عليه السلام يفتر من الذكر في كل آن، ونقل عنه التاريخ مشاهد عروج روحه في حال الدعاء، ومن تلك السيرة المضيئة بالذكر والدعاء قد خلّف لنا الإمام علي عليه السلام العديد من الأدعية والأذكار والمناجاة، فمنها ما يتعلق بحمد الله تعالى وتوحيده، ومنها ما هو مرتبط بأوقات اليوم أو الأشهر، ومنها ما يتصل بالعبادات كالدعاء عند الطهارة وعقيب الصلوات، وقد اشتهر من أدعيته دعاؤه المعروف بدعاء كميل ذلك الدعاء العظيم، الذي يعتبر كنزاً من كنوز التقرّب إلى الله، وفيه طلب القرب والانجذاب إلى الله تعالى في كل الأحوال. ومن أدعيته الشهيرة، دعاء الصباح الذي يبدأ من خلاله المؤمن بالتقلّب بالدعاء إلى الله ورقّة الذكر وعذوبته، مع اشراقة كل صباح.

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٧، ص١٥٤.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

بين الدعاء والقضاء

لقد سأل الزائر في العبارة السابقة أن تكون نفسه مطمئنة بالقدر راضية بالقضاء، إلا أنه لا يتوقف عند ذلك، بل يتقدّم خطوة في هذه الفقرة، ويأخذ بالأسباب، ويتوجه لله تعالى بالدعاء الذي يغير ما قدر له من بلاء، وبذلك يمكن استيضاح المفهوم الحقيقي للقدر والقضاء.

عن أبي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قال: «**عَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ لله وَالطَّلَبَ إِلَى الله، يَرُدُّ الْبَلَاءَ وَقَدْ قُدِّرَ وَقُضِيَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا إِمْضَاؤُهُ، فَإِذَا دُعِيَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَسُئِلَ صَرَفَ الْبَلَاءَ صَرْفَةً**»[1].

والولع بالدعاء يقتضي أن يشتغل المرء بالدعاء والذكر على أي حال، فلا ينتظر حتى يحل به البلاء أو تلجئه حاجة إليه، بل يديمهما، لأن رد ما قُدّر له لا ينحصر فيما يكون في دائرة علمه، فلا يدري الإنسان ما الذي ينتظره وما هو مكتوب له، لذا قال الإمام علي عليه السلام: «**مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ بِأَحْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ [مِنَ الْمُعَافَى] الَّذِي لا يَأْمَنُ الْبَلَاء**»[2].

النفس المولعة بالذكر

حالة الولع في النفس، هي حالة من الانجذاب للشيء بقوة، لذا سمي إغراء، فلا يكفي أن يطلب الزائر من الله تعالى أن يوفق للذكر والدعاء، بل يروم درجة عالية من الارتباط بالذكر والدعاء، فهو يطلب أن تكون نفسه شديدة الانجذاب، ليس لشؤون

---

(١) الكافي، الكليني: ج٢، ص٤٧٠.

(٢) نهج البلاغة: ص٥٢٣.

الدنيا وملذّاتها، بل للذّكر والدعاء، وبذلك يرتسم أمامنا مشهد مليء بالأنس والألفة، والاستمرار في العلاقة مع الذكر والدعاء.

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صلوات الله عليه: لَا يَقْبَلُ الله عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَ قَلْبٍ لَاه**»(١).

والذكر بدوره يبعد القلب عن اللهو، وتركه يقسي القلوب ويمنعه عن الإحساس.

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَال: «**أَوْحَى الله عَزَّ وجَلَّ إِلَى مُوسَى عليه السلام: يَا مُوسَى، لَا تَفْرَحْ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، ولَا تَدَعْ ذِكْرِي عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ تُنْسِي الذُّنُوبَ، وإِنَّ تَرْكَ ذِكْرِي يُقْسِي الْقُلُوبَ**»(٢).

ولذا ورد أنّ المؤمن لابد أن يذكر الله كثيراً ليسجل ضمن الذاكرين لله تعالى، ليتسنّم المكانة السامقة عند الله تعالى، وقد جاء في هذا المعنى: عن عبد الله بن ميمون القداح، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: «**قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله لِأَصْحَابِهِ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وخَيْرٍ لَكُمْ مِنَ الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ وخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ وتَقْتُلُونَهُمْ ويَقْتُلُونَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: ذِكْرُ الله كَثِيرا**»(٣).

وعن بشير الدهان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قَالَ الله تَعَالَى: ابْنَ آدَمَ، اذْكُرْنِي فِي نَفْسِكَ أَذْكُرْكَ فِي نَفْسِي، ابْنَ آدَمَ، اذْكُرْنِي فِي خَلَاءٍ أَذْكُرْكَ فِي خَلَاءٍ، ابْنَ آدَمَ، اذْكُرْنِي فِي مَلَإٍ أَذْكُرْكَ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَائِكَ، وقَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَذْكُرُ الله فِي مَلَإٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا**

(١) الكافي، الكليني: ج٢، ص٤٧٣.

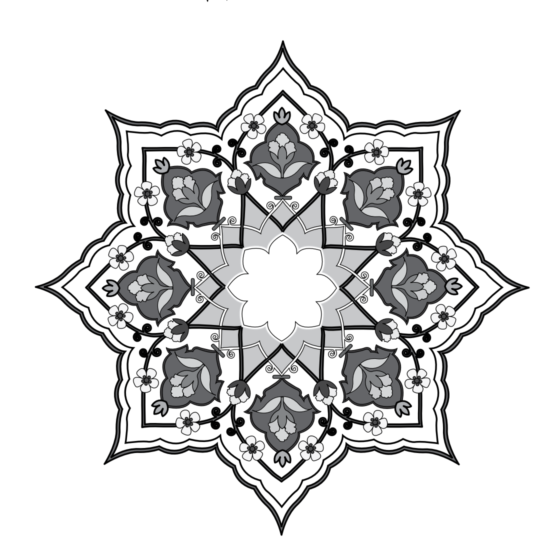
(٢) المصدر نفسه: ج٢، ص٤٩٧.

(٣) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج١، ص٣٨.

ذَكَرَهُ الله فِي مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَة»[1].

والولع بذكر الله يستدعي الولع بذكر النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، لأنهم خلفائه في أرضه، والقائمين بدينه، والهداة إليه تعالى، وقد ورد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروا الله عزّ وجل ولم يذكرونا إلاّ كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة**»، ثم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «**إن ذكرنا من ذكر الله وذكر عدونا من ذكر الشيطان**»[2].

عن حسين بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا فِي مَجْلِسٍ فَلَمْ يَذْكُرُوا اسْمَ الله عَزَّ وجَلَّ، ولَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ حَسْرَةً ووَبَالًا عَلَيْهِمْ**»[3].

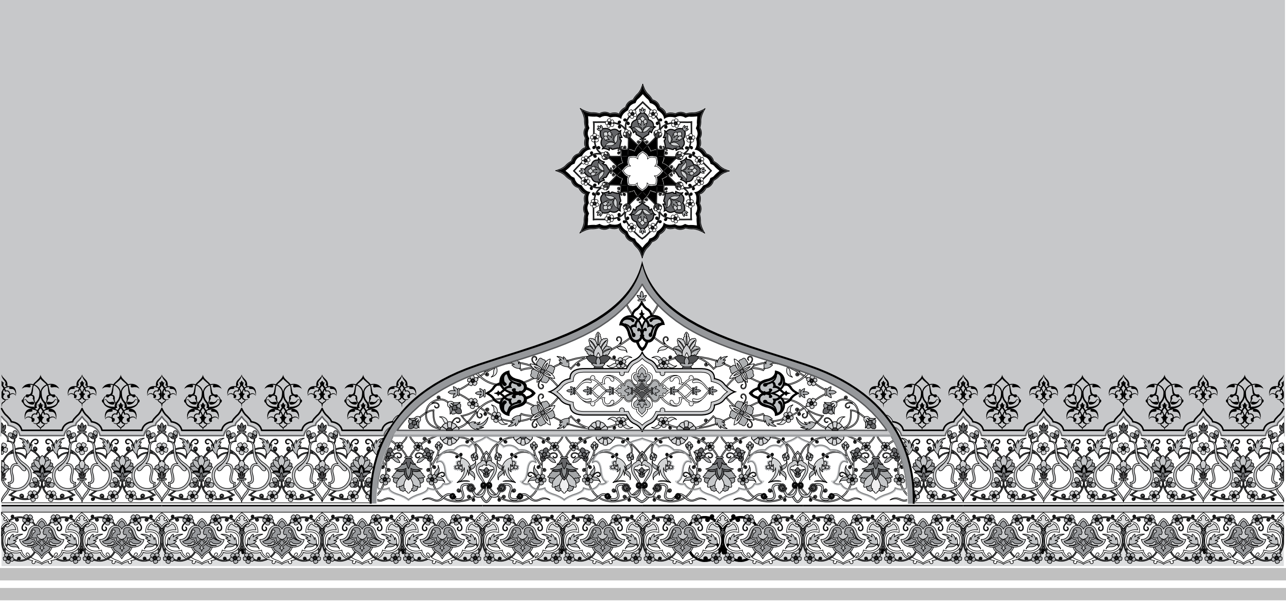


---

(١) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج١، ص٣٩.

(٢) الكافي، الكليني: ج٢، ص٤٩٦.

(٣) المصدر نفسه: ج٢، ص ٤٩٧.



(٣)

مُحبَّةً لِصَفْوَةِ أَوْلِيَائِكَ، مَحْبُوبَةً فِي أَرْضِكَ وَسَمائِكَ

الصفوة: صَفْوَةُ كُلِّ شَيْءٍ: خالِصُه، والصَّفْوُ: نَقِيْضُ الكَدَر.

تتقلب النفس في عالم المحبة، والحب أكرومة من مكارم العروج وصفة من صفاة الكمال، فمن خلال التحكّم في اتجاهه الصحيح تتجه النفس نحو الخير والصلاح وتلتصق من خلاله بكل الفضائل، وعندما تنحرف بوصلة المحبّة، فإنها تكون وبالاً على صاحبها، لذلك قد توالت الروايات في استجماع الدين في بوتقة الحب.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي حَدِيثٍ لَهُ، قَالَ: «**هَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ، أَلا تَرَى إِلَى قَوْلِ اللهِ** ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، **أَوَ لَا تَرَى قَوْلَ اللهِ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله** ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي

قُلُوبِكُمْ﴾، وَقَالَ: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، فَقَالَ: الدِّينُ هُوَ الْحُبُّ، وَالْحُبُّ هُوَ الدِّين»[1].

ومن هنا لابدّ أن تكون النفس (محبة لصفوة أولياء الله) ومن يحب أحداً فهو يحب صفاته، ويحب أعماله ومناهجه، وهو طريق الاندماج والتفاني في المحبوب ومن أجله، لذا فالحب لابدّ أن يتعلّق بصفوة أولياء الله، وفي قمتهم أهل بيت نبيه الأطهار عليهم السلام، لأنهم خاصة أوليائه، والمؤتمنون على دينه، وهم أعلامه، وعلى رأسهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الذي نخاطبه في زيارة أخرى له: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ.. يَا خَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدَ الصِّدِّيقِينَ وَالصَّفْوَةَ مِنْ سُلَالَةِ النَّبِيِّين**»[2].

لذلك أصبحت محبة الصفوة وهم الأولياء واجبة، لما يمثله من سمة للنهج الرباني.

عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنِ الرِّضَا عليه السلام، فِي كِتَابِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ، قَالَ: «**وَحُبُّ أَوْلِيَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاجِبٌ، وَكَذَلِكَ بُغْضُ أَعْدَائِهِمْ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَئِمَّتِهِمْ**»[3].

وقد جعل النبي صلى الله عليه وآله أجر الرسالة مودة أهل البيت عليهم السلام وهم صفوة أوليائه، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[4].

وعن هذه الآية جاء عَنْ سَلَّامِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ

(١) المحاسن، البرقي: ج١، ص٢٦٣.

(٢) المزار، الشهيد الأول: ص٤٢.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج١٦، ص١٦٩.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

قَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾، فَقَالَ: «**هِيَ والله فَرِيضَةٌ مِنَ الله عَلَى الْعِبَادِ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فِي أَهْلِ بَيْتِهِ عليهم السلام**»(١).

وحب الإمام علي عليه السلام وفاطمة وأبنائهما المعصومين عليهم السلام هو عنوان صحيفة المؤمن الذي يكتب الله فيها مكانته في الآخرة.

قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «**عُنْوَانُ صَحِيفَةِ الْمُؤْمِنِ حُبُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام**»(٢).

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رحمه الله، قال: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «**يَا سَلْمَانُ، مَنْ أَحَبَّ فَاطِمَةَ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ مَعِي، ومَنْ أَبْغَضَهَا فَهُوَ فِي النَّارِ، يَا سَلْمَانُ، حُبُ فَاطِمَةَ يَنْفَعُ فِي مِائَةٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ، أَيْسَرُ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ الْمَوْتُ والْقَبْرُ والْمِيزَانُ والْحَشْرُ والصِّرَاطُ والْمُحَاسَبَةُ، فَمَنْ رَضِيَتْ عَنْهُ ابْنَتِي، رَضِيتُ عَنْهُ، ومَنْ رَضِيتُ عَنْهُ، رَضِيَ الله عَنْهُ، ومَنْ غَضِبَتْ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ، غَضِبْتُ عَلَيْهِ، ومَنْ غَضِبْتُ عَلَيْهِ، غَضَبَ الله عَلَيْهِ، ووَيْلٌ لِمَنْ يَظْلِمُهَا ويَظْلِمُ بَعْلَهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّاً عليه السلام، ووَيْلٌ لِمَنْ يَظْلِمُ ذُرِّيَّتَهَا وشِيعَتَهَا**»(٣).

محبوبة في الأرض والسماء

وكما أن المرء يتطلّع إلى تكوين المحبة في قلبه لأولياء الله، فكذلك يتطلع إلى أن يكون محلاً لحبّ قلوب الآخرين، فتنجذب له النفوس ويأنس بمصادقته الآخرون،

(١) المحاسن، البرقي: ج١، ص١٤٤.

(٢) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ج٢، ص١٥٤.

(٣) إرشاد القلوب إلى الصواب: ج٢، ص٢٩٤.

والحب المطلوب ليس أي حب، وإنما هو ذلك الذي يتوافق عليه حب أهل الأرض وأهل السماء معاً، فهذا الاقتران بين محبوبية الأرض ومحبوبية السماء، هو اقتران تجانس بين ما يعيشه الإنسان على الأرض في الاجتماع، وبين ما يريده الله منه، لأن محبة السماء هي محبة الله تعالى، وهي محبة أهل السماء من الملائكة والنبيين والصديقين.

ومن هنا فالمصلحة الأرضية لا ينبغي أن تنفك عن رضا السماء، فمن خلال محبة الأصفياء يتأهل الإنسان المؤمن إلى أن يكون من الأصفياء، لأنه حكّم الدين في بوصلة محبته، وقد ورد عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: وُدُّ الْمُؤْمِنِ لِلْمُؤْمِنِ فِي الله، مِنْ أَعْظَمِ شُعَبِ الْإِيمَانِ، أَلَا وَمَنْ أَحَبَّ فِي الله، وَأَبْغَضَ فِي الله، وَأَعْطَى فِي الله، وَمَنَعَ فِي الله، فَهُوَ مِنْ أَصْفِيَاءِ الله**»[١].

فمحبة أصفياء الله في الدنيا هي طريق إلى صفاء القلب، وطريق إلى الانتماء إلى الأصفياء، وبذلك يكون محبوباً في السماء، لما سار عليه من نهج مرضي من الله تعالى، وأن تكون النفس محبوبة في الأرض، أي أن يكون واقعها متلائماً في العيش الاجتماعي مع الناس، لتأنس بهم وتسعد، فمنطق المؤمنين أن تتلاءم حياتهم الدنيا في الأرض، مع حياتهم الأخرى، ودليلها محبة أهل السماء، أي رضا الرب عزّ وجل، وهذا المنهاج في كتاب الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٢].

أما إذا اختل ميزان المحبة وبالتالي يختل ميزان الانتماء، فإن محبة أهل الأرض لا تغني عن محبة أهل السماء، فلا ينفعه إطراء الناس، ولا أنس العشيرة، ولا كثرة الأخلاء،

(١) المحاسن، البرقي: ج١، ص٢٦٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

كما تحقق اختلال الميزان تاريخياً في أنموذج الحاكم عمر بن عبد العزيز، فقد قَالَ أَبُو بَصِيرٍ: كُنْتُ مَعَ الْبَاقِرِ عليه السلام فِي الْمَسْجِدِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ[1] مُتَّكِئاً عَلَى مَوْلًى لَهُ. فَقَالَ عليه السلام: «**لَيَلِيَنَّ[2] هَذَا الْغُلَامُ، فَيُظْهِرُ الْعَدْلَ، وَيَعِيشُ أَرْبَعَ سِنِينَ، ثُمَّ يَمُوتُ، فَيَبْكِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَرْضِ وَيَلْعَنُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ**».

فَقُلْنَا: يَا ابْنَ رَسُولِ الله أَلَيْسَ ذَكَرْتَ عَدْلَهُ وَإِنْصَافَهُ؟ قَالَ: «**يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِنَا، وَلَا حَقَّ لَهُ فِيهِ. ثُمَّ مَلَكَ وأَظْهَرَ الْعَدْلَ جُهْدَهُ**»[3].

ماذا تعني محبة الله للعبد؟

النفس المحبوبة لله، هي نفس ترقّت إلى مدارج السمو والرفعة في عبوديتها لله تعالى، واتصفت بالصفات التي يحبها الله في العبد، فهو عزّ شأنه يحب التوّابين ويحب المتطهّرين، ويحب الصابرين، ويحب المحسنين، فالتحلّي بالصفات المحبوبة لله عزّ وجل، يعني الانتماء إلى المحبوبين لله، والتأهل لمقام المحبوبية لله، لا يعني ذاك الحب الذي يتكوّن بين مخلوقين من الانجذاب والألفة، فإن الله ليس محلاً للحوادث، وليس كمثله شيء من خلقه يقاس به، فالحب من الله للعبد، يعني حصوله على التأييد والتسديد الإلهي، فتكون جهوده في الدنيا وفقاً لما يريد الله تعالى، فينجز الله به ما يريد، وبمعنى آخر تكون سيرته سيرة ربانية معبّرة عن تعاليم الله في خلقه، وتلك هي صفة الأولياء الذين تمنّى في بداية العبارة أن يكون محبّاً لهم، فهو يطلب من الله أن تكون

---

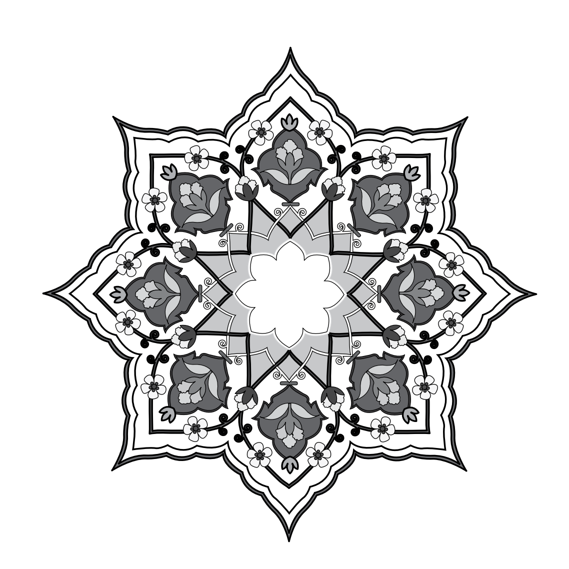
(١) قيل الممصرة من الثياب، التي فيها صفرة خفيفة.

(٢) أي يكون والياً.

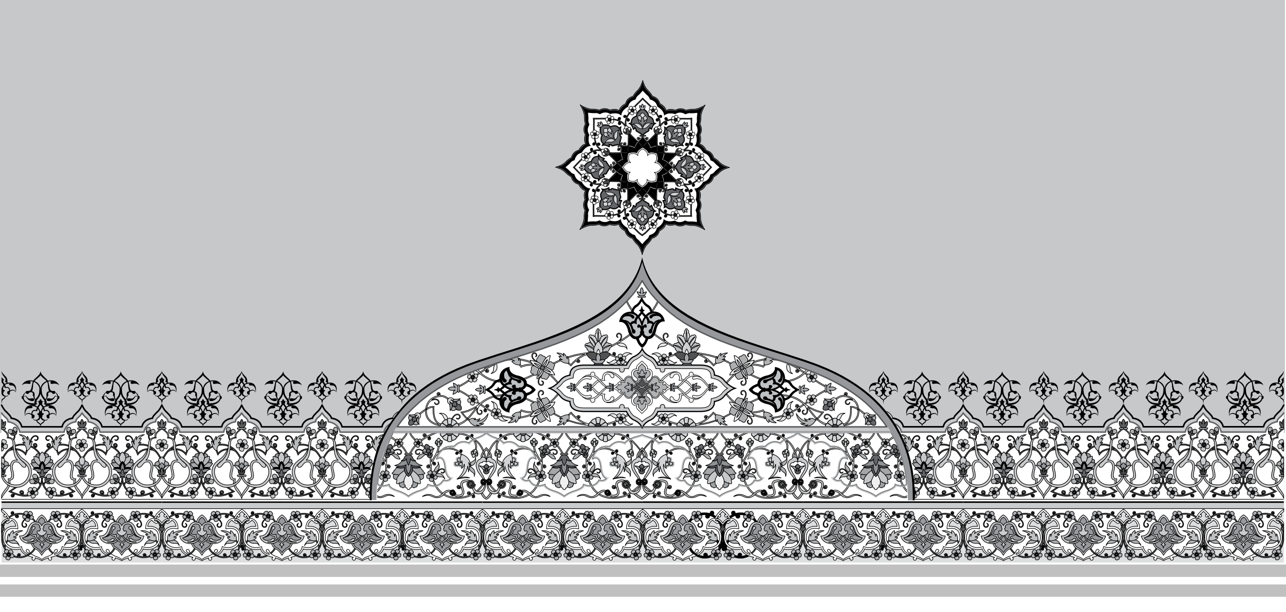
(٣) الخرائج والجرائح: ج١، ص٢٧٦.

نفسه محبة لصفوة الأولياء الذين هم محل محبة الله فشملهم التأييد الإلهي، ثم يطلب أن يكون منهم بحسب الصفة البارزة فيهم، وهي المحبوبية في السماء.

عَنْ حَمَّادِ بْنِ بَشِيرٍ، قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ أَرْصَدَ لِمُحَارَبَتِي، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ وإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ**»[(١)].



(١) الكافي، الكليني: ج٢، ص٣٥٢.



(٤)

صَابِرَةً عَلَى نُزُولِ بَلَائِكَ

الحياة مليئة بمحطات الامتحان التي يبتلي اللهُ بها عباده، كي يمحّصهم ويصفّيهم، ليظهر معدنهم الأصيل، وبمقدار ما يكون عند الإنسان من صبر في مواجهة البلاء تتسامى نفسه وتعانق العظمة، وهنا يجأر الزائر بدعائه لخالقه، بأن يسلّحه بالصبر عند نزول البلاء.

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا نَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِير**»[1].

والصبر على البلاء من أسس بناء الشخصية الرسالية الإيمانية، فيكفي في الثناء

(١) مستدرك الوسائل، الحر العاملي: ج٢، ص٤٢٥.

عليه أن الله معه، كما في قول الله عزّ وجل: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١]، ومن كان الله معه، لا يبالي إن كانت الدنيا كلها عليه، كما أن من اللطائف المهمة في معرفة سر الصبر على البلاء، ودوره في بناء الشخصية، هو أن يعي أن صبره ليس استسلاماً للمشكلة أو المصيبة التي حلّت به، إنما الصبر يعني أن يتجلّد الإنسان في أحاسيس جوانحه، ويتماسك في توتر جوارحه، ويتحكم في ردود أفعاله، لكي يتفوّق على المشكلة، ويكون قادراً على النظر إليها بنظر الهادئ المطمئن، وذلك مقدمة لبداية علاج المشكلات، ويستمر بالصبر كي يستمر بالسعي لتخطّي ما أصابه، فبعضه يزول بمرور الزمن فيحتاج إلى الصبر مدة بقاء البلاء، وبعضه يزول بالسعي، فيحتاج إلى الصبر لمواصلة السعي، وهذه البصائر الرائعة، نجدها في قول الإمام علي عليه السلام: «**بِالصَّبْرِ يُنَاضَلُ**[٢] **الْحَدَثَانُ الْجَزَعُ مِنْ أَنْوَاعِ الْحِرْمَان**»[٣].

وما ورد عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: «**الصَّبْرُ سِتْرٌ مِنَ الْكُرُوبِ، وَعَوْنٌ عَلَى الْخُطُوب**»[٤].

فالصبر من أهم فضائل العظماء وأساس قوي في ثبات العظمة واستمرارها، لذا فهي صفة لا غنى عنها للرسالي الذي يتطلّع إلى شخصية الإمام علي عليه السلام أو لأي إمام معصوم من ولده عليهم السلام، لينهل منه عصارة الفضائل، ويستنزل غيثه ليغسل نفسه بعذب ماء نهره المبارك.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) ناضله مناضلة: باراه في رمي السهام وناضل عنه: حامى وجادل ودافع عنه.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٥، ص١١.

(٤) مستدرك الوسائل، الحر العاملي: ج٢، ص٣٢١.

وقد أنبأنا التاريخ عن صبر الإمام علي عليه السلام الذي فاق صبر الصابرين حتى أصبح سمته البارزة، وعلوّ الصبر يقاس بمدى البلاء الذي يقع، وقياس نسبته لعظمة الشخصية التي تتعرّض للبلاء، فالظلم الذي وقع على الإمام علي عليه السلام ليس كأي ظلم، والتكذيب ليس كأي تكذيب، فهو ذو المقام الشامخ ذو المراتب التي رتبه الله فيها في أعلى عليين، أنزله الدهر حتى قيل علي وفلان من الأراذل والشذّاذ، ورغم ذلك تحمّل قلبه كل الإقصاء الذي وقع عليه، وتلقّى كل الآلام التي المّت به، في سبيل سلامة أمور المسلمين.

يقول الأديب والشاعر المسيحي بولس سلامة في صبر الإمام علي عليه السلام: (فلم يُر أصبر منه على المكاره، إذ كانت حياته موصولة بالآلام منذ فتح عينه على النور في الكعبة حتى أغمضها على الحق في مسجد الكوفة)[1].

ومن أبلغ ما قيل في ما تعرض إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من غصص تجرعها بالصبر عليها، ما قاله هو نفسه عن حاله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَكْفَئُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً. فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ**»[2].

---

(١) الإمام علي عليه السلام في الفكر المسيحي، راجي أنور هيفا: ص٧١٤، عن بولس سلامة، عيد الغدير: ص١١.

(٢) نهج البلاغة: ٣٣٦.

ومن بصائر أمير المؤمنين عليه السلام في الصبر:

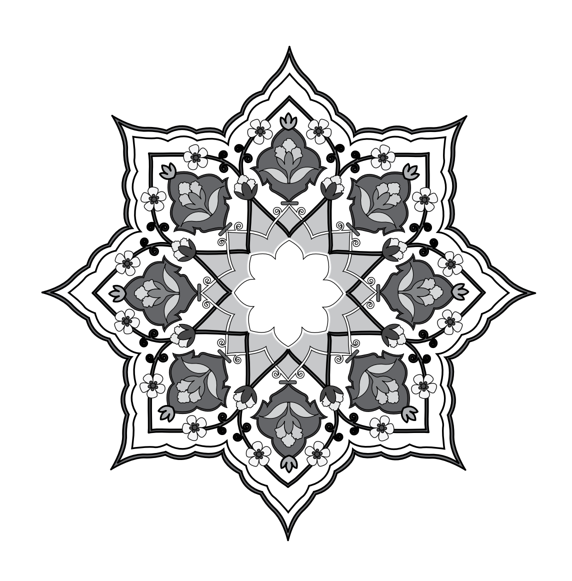
قال الإمام علي عليه السلام: «**مِنْ كُنُوزِ الْإِيمَانِ، الصَّبْرُ عَلَى الْمُصَابِ**».

وَقَالَ عليه السلام أيضاً: «**الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، ولَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ**».

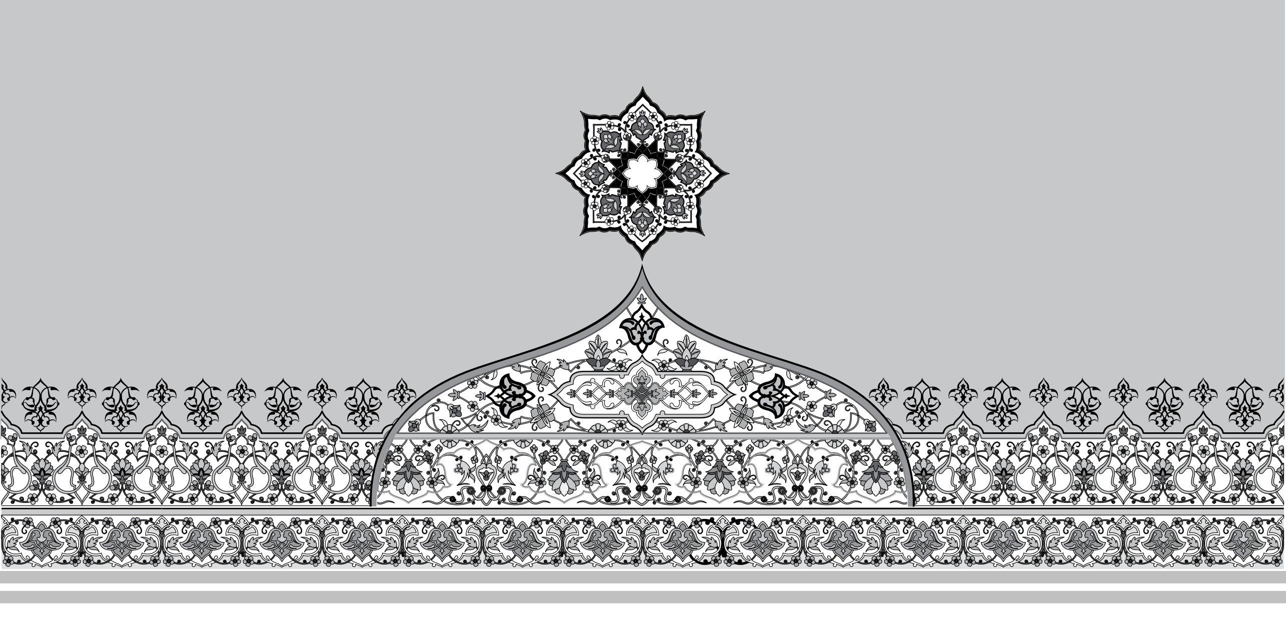
وَقَالَ عليه السلام: «**اطْرَحْ عَنْكَ الْهُمُومَ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وحُسْنِ الْيَقِينِ**».

وَقَالَ عليه السلام أيضاً: «**مَنْ صَبَرَ سَاعَةً حُمِدَ سَاعَاتٍ**».

وَقَالَ عليه السلام: «**مَنْ جَعَلَ لَهُ الصَّبْرَ وَالِياً لَمْ يَكُنْ بِحَدَثٍ مُبَالِياً**»(١).



(١) بحار الأنوار، المجلسي: ج٧٩، ص١٣٦.



(٥)

شَاكِرَةً لِفَوَاضِلِ نَعْمَائِكَ، ذَاكِرَةً لِسَوَابِغِ آلائِكَ

الفواضل: الفَضْل: الزِّيادة، والخير. والإفضال: الإحسان، الفَواضِل: الأَيادي الجميلة.

نعمائك: النَّعِيمُ والنُّعْمَى والنَّعْمَاء والنِّعْمَة، كله: الخَفْض والدَّعةُ والمالُ، وهو ضد البَأْساء والبُؤْسى.

سوابغ: شيء سابغٌ أَي كامِلٌ وافٍ.

آلائك: اسم للنعمة العظيمة، وقيل: النِّعَمُ الظاهرة، والنَّعْمَاء هي النعم الباطنة.

الصابرون هم الشاكرون حقاً، هذه بصيرة في ارتباط الفضائل ببعضها البعض، والتي تحتاج إلى تنبّه كي يسهل على النفوس أن تسير في خط الصبر من خلال الشكر،

أما كيف ذلك، فهو يعود إلى حقيقة هامة في الصبر، وهي أن الصابر كي يقوى على موقفه ويثبت ويستقيم دون تأثر وعجز وتراجع، يحتاج إلى أن يتذكّر الجوانب الإيجابية في الحياة لتحصل نفسه على عامل التوازن بين (البلاء والشدّة) وبين (النعم والآلاء) التي تتوفر عليها حياته، ويمكنه أن يحصل على ذلك من خلال استحضاره لقائمة آلآء الله السابغة عليه في كل جانب من جوانب حياته، وهذا الاستحضار يقود المؤمن إلى الشكر، ويذكر فضل الله تعالى عليه في كل نعمائه، فهنا يكون الشكر هو عنوان الصابرين، ومنفذهم للخلاص من البلاء وضيقه، أو من الإحساس به، كمقدّمة للمضي في علاجه وتخطيه.

فالشكر يعود على صاحبه بالنفع في الدنيا قبل الآخرة، وهذه البصيرة من رشحات حكم لقمان التي آتاها الله إياه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[(1)].

النعم بين الشكر والذكر

الشكر لابد أن يشمل كافة النعم التي أغدقها الله تعالى على الإنسان، سواء الظاهرة المعروفة المحسوسة لديه، أم الباطنة الخفية التي لا يستشعرها بجوارحه، لأن الحقيقة هي أن الله تعالى قال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[(2)]، فالشكر لابد أن يستوعبها جميعاً، لذا قال في الدعاء، واجعل نفسي: (شَاكِرَةً لِفَوَاضِلِ نَعْمَائِكَ)، أي أياديك الجميلة علي بكافة النعم، ومنها النعماء، وهي النعم الباطنة، فجعل الشكر

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

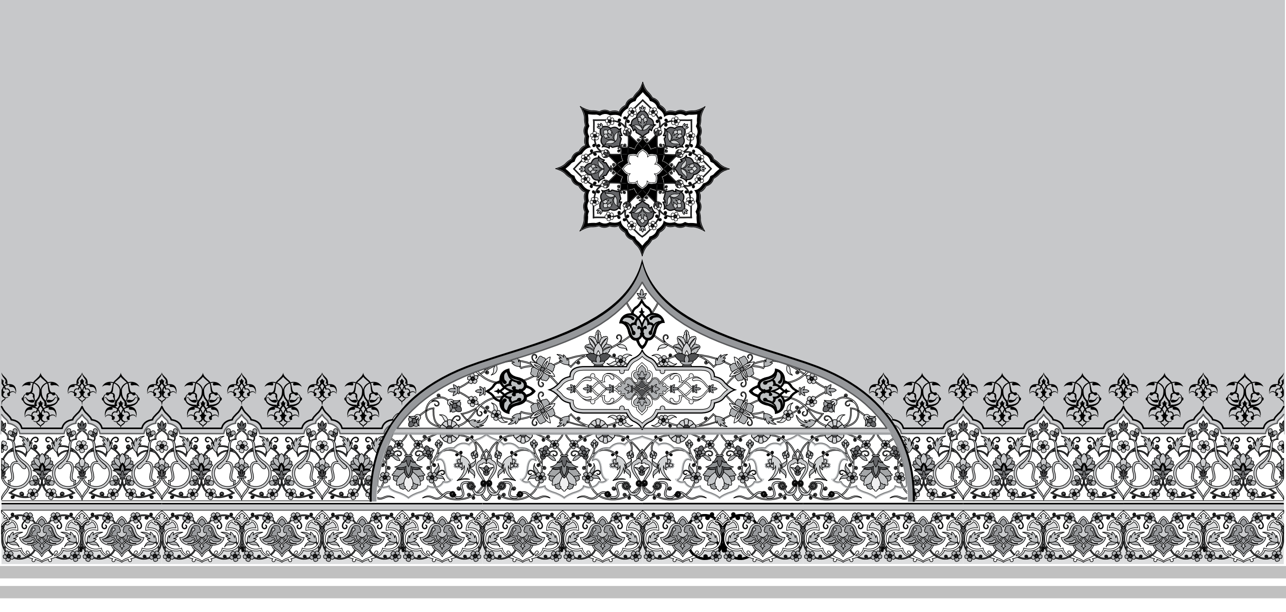
مقابل النعماء، لأن من يشكر الخفية فهو للظاهر من النعم، أولى بها شكراً.

وجعل الذكر مقابل الآلآء السابغة، لأنها ظاهرة محسوسة، فلابد أن تؤدّي رسالة، ورسالتها أن تقوم بتذكير النفس بأنها مغمورة بنعم الله تعالى، النعم التي لا تحصى ولا تعد، وعندما تكون النفس ذاكرة باستمرار للنعم الإلهية، فإنها ستسير في خط الاتزان، لأن الغفلة عن النعم، تؤدّي بالإنسان إلى الهاوية، فمن لا يجد أن الله أعطاه وأغدق عليه، سيشعر نفسه بالحرمان، وبالتالي سيكون أقرب لكفران النعم، وهو منزلق سلبي يخلق الضباب على البصيرة في الحياة، فتدمّره الحالة السلبية وشعوره بالحرمان.

ولكن النفس إذا كانت شاكرة للنعم، فإن الله ينعم عليها بالمزيد فيها، لأن الشكر يزيد النعم وينميها، وإذا كانت النفس متذكّرة لما تفضّل الله به عليها، ستعيش مع الأمل والانشراح والاتزان.

نجد هذا المعنى الدقيق واللطيف في دعاء الإمام زين العابدين في الصحيفة السجادية: «**الْحَمْدُ لله الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى مَا أَبْلَاهُمْ مِنْ مِنَنِهِ الْمُتَتَابِعَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا فِي مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ. وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ، فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا»**»[١].

(١) الصحيفة السجادية: ص٣٠.



(٦)

مُشْتَاقَةً إِلَى فَرْحَةِ لِقَائِكَ، مُتَزَوِّدَةً التَّقْوَى لِيَوْمِ جَزَائِكَ

لقاء الله تعالى هو موعد مع لقاء رحمته الرحيمية التي خص بها المؤمنين، حيث تتنزّل عليهم في الآخرة، فتشتاق النفوس المؤمنة إلى رحمة خالقها لتنعم بفرحة اللقاء الذي طالما ألحّت بطلبه في خلواتها ومناجاتها بأن يدخلها الله في واسع من رحمته وأن يشملها الله بوافر الرضوان.

إن الاشتياق هو نزاع النفس إلى شيء، وهنا يدعو الزائر أن تكون نفسه في حالة من النزوع والانجذاب إلى فرحة اللقاء بالله تعالى، ولقاء الله هو كناية عن المواجهة في العالم الآخر عند خروج الروح، فيواجه المرء بعمله في الدنيا، لذلك فإن ماهية ذلك اللقاء تتحدّد بناء على ما قدمت يداه في الدنيا، وفي المقابل فإن الله تعالى يحب من يحبه،

فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام عن بعض أصحابه: (قُلْتُ: أَصْلَحَكَ الله مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ لِقَاءَ الله أَبْغَضَ الله لِقَاءَهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**».

قُلْتُ: فَوَالله إِنَّا لَنَكْرَهُ المُوْتَ. فَقَالَ عليه السلام: «**لَيْسَ ذَلِكَ حَيْثُ تَذْهَبُ، إِنَّمَا ذَلِكَ عِنْدَ المُعَايَنَةِ، إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَقَدَّمَ والله تَعَالَى يُحِبُّ لِقَاءَهُ وَهُوَ يُحِبُّ لِقَاءَ الله حِينَئِذٍ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنْ لِقَاءِ الله، الله يُبْغِضُ لِقَاءَهُ**»)[1].

إن كانت حمولة الإنسان من الدنيا لا تؤهله للفوز في الآخرة، فسيكون مضطرباً خائفاً، مما انتهك من آثام، وبما تلوّثت يداه من الخطايا والذنوب، فسيكره لقاء الله لما سيرى من عواقب سيئة، ولذا فإن الذي يتزوّد بالتقوى لذلك اليوم، هو المفلح، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2].

نعم تتحقق الفرحة تلك، عندما يستجمع الإنسان في روحه حزم الإيمان، ويتحلّى بحلية التقوى، ويتجلبب بمخافة الله، حيث تسير نفسه في طريق الله تعالى، فتنفر من الخبائث التي حرّمها الله، وتنجذب إلى الطيبات التي أحلّها الله، وتتمسّك بما كتبه الله عليها، متزودة بزاد الآخرة من مزرعة رفل في ربوعها في الدنيا، وتزوّد منها لآخرته الباقية. في هذه الحال الإيمانية تشتعل جذوة الشوق في النفس فتكون: (مُشْتَاقَةً إِلَى فَرْحَةِ لِقَائِكَ، مُتَزَوِّدَةً التَّقْوَى لِيَوْمِ جَزَائِكَ).

---

(١) الكافي: ج٣، ص١٣٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

وقال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾[1].

ولأنه تزوّد بالتقوى، فهو متوقع للجزاء الأوفى من الله تعالى، لذلك ذكر يوم القيامة، الذي له أسماء عديدة، بيوم الجزاء.

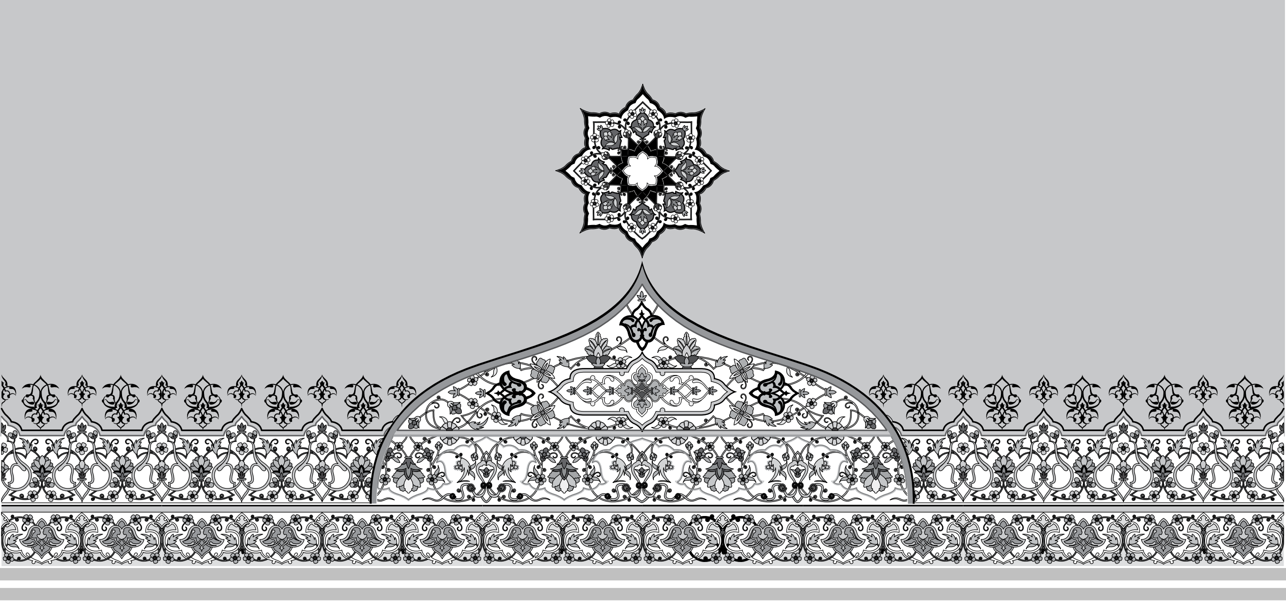
عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ فَقَالَ: لِأَنَّكُمْ عَمَرْتُمُ الدُّنْيَا وأَخْرَبْتُمُ الْآخِرَةَ، فَتَكْرَهُونَ أَنْ تُنْقَلُوا مِنْ عُمْرَانٍ إِلَى خَرَابٍ، فَقَالَ لَهُ: فَكَيْفَ تَرَى قُدُومَنَا عَلَى الله؟ فَقَالَ: أَمَّا الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ فَكَالْغَائِبِ يَقْدَمُ عَلَى أَهْلِهِ، وأَمَّا الْمُسِيءُ مِنْكُمْ فَكَالْآبِقِ يَرِدُ عَلَى مَوْلَاهُ، قال: فَكَيْفَ تَرَى حَالَنَا عِنْدَ الله؟ قال: اعْرِضُوا أَعْمَالَكُمْ عَلَى الْكِتَابِ، إِنَّ الله يَقُولُ:** ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾[2].

قال: فَقَالَ الرَّجُلُ: فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللهِ، قال: رَحْمَةُ الله قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ». قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «**وكَتَبَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ، يَا أَبَا ذَرٍّ، أَطْرِفْنِي بِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّ الْعِلْمَ كَثِيرٌ ولَكِنْ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ لَا تُسِيءَ إِلَى مَنْ تُحِبُّهُ فَافْعَلْ، قال: فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: وهَلْ رَأَيْتَ أَحَداً يُسِيءُ إِلَى مَنْ يُحِبُّهُ؟ فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، نَفْسُكَ أَحَبُّ الْأَنْفُسِ إِلَيْكَ، فَإِذَا أَنْتَ عَصَيْتَ الله فَقَدْ أَسَأْتَ إِلَيْهَا**»[3].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣-١٤.

(٣) الكافي: ج٢، ص٤٥٨.



(٧)

مُسْتَنَّةً بِسُنَنِ أَوْلِيَائِكَ [أَنْبِيَائِكَ] مُفَارِقَةً لِأَخْلَاقِ أَعْدَائِكَ

معادلة الحب لها في الدين أثر عظيم في النفس، وأثرها العملي الذي يبدو على الجوارح والجوانح هو اتباعها لسنن الأولياء والصديقين المرتبطين بالله تعالى، ومخاصمة كل صفة ذميمة تلبّس بها أعداء الله.

فاتباع أولياء الله الذين افترض الله طاعتهم هو البرهان البيّن على صدق ادعاء الإنسان بالإيمان، فإنه كما لا يقبل عمل بلا إيمان، فلا يقبل إيمان بلا عمل.

وهنا ينبغي للزائر أن يعقد العزم على القطيعة مع سلوك أعداء الله، ليكون بينه وبينهم فاصل واضح ومسافة شاسعة، فلا يتشبه بهم بقول أو فعل أو عادات ما أنزل الله بها من سلطان.

سنن الأولياء وأخلاق الأعداء

إن سنن الأولياء هي عينها سنن الدين، إلا أنه عندما تُنسب السنن إليهم، فإننا نلمح معنى إضافياً في هذه العبارة، وهو أننا ينبغي أن نعرف أن السنّة هي ما ينشئه الإنسان ليجري متتابعاً، وهي عبارة عن تأسيس لحالة أو لفكرة، أو لعادة من العادات، ولذلك فإن سنن أولياء الله تعالى، ستكون متكئة على القيم الإلهية، فسننهم هي جهودهم في التأسيس على قيم الدين، مع إضافة بعد الاستمرارية، وإضافة الاتساع في العمل من الفرد إلى دائرة أوسع منه، فلا تنحصر بوجوده في المكان أو الزمان.

فقد ورد عَنْ الإمام أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، سَنَ سُنَّةَ هُدًى، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَأَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، سَنَّ سُنَّةَ ضَلَالٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْء**»[1].

وهي كما الصدقات الجارية، التي يمكن أن تكون أفكاراً جديدة ولكنها تقوم على قيمة دينية ثابتة، فمن يؤسس روضة للطفولة، أو مدرسة للشباب، أو جامعة، أو حوزة علمية، أو داراً لتعليم القرآن الكريم، أو حتى معاهد تدريب وتثقيف، بما يتلاءم والحاجة المعاصرة للمجتمع، فإنّ كل ذلك قائم على قيمة العلم وضرورة تزكيته بالتعليم، وهكذا سائر السنن.

ومن السنن ما هو شخصي، أي هو عبارة عن الأخلاق، ولكن مع الاستمرار عليها والاعتياد على أدائها، فتكون له سنة من سننه التي يداوم عليها، كمن يحافظ

(١) وسائل الشيعة: ج١٦، ص١٧٤.

على تسبيح الزهراء عليها السلام في أوقات متعددة، وكمن يدّخر من ماله في شهر ليعين فقيراً أو يكفل يتيماً، أو من يخصّص من وقته لتعليم الناس وتثقيفهم، كفعل مستمر يداوم عليه، لذلك فإن الديمومة في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[1]، تعني ذات المعنى الذي نحن بصدد توضيحه في شأن السنة في بعدها الشخصي، كما قال القمي في تفسيره لهذه الآية: (يَقُولُ إِذَا فَرَضَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئاً مِنَ النَّوَافِلِ دَامَ عَلَيْه)[2]، وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عندما سئل عن الآية، قال: «**هِيَ النَّافِلَةُ**»[3].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ سَنَ عَلَى نَفْسِهِ سُنَّةً حَسَنَةً، أَوْ شَيْئاً مِنَ الْخَيْرِ، ثُمَّ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ حَائِلٌ، إِلَّا كَتَبَ الله لَهُ مَا أَجْرَى عَلَى نَفْسِهِ أَيَّامَ الدُّنْيَا**»[4].

فالمؤمن يتطلّع ليس إلى أخلاق الأولياء فحسب، بل إلى ما هو أرفع من ذلك، يتطلع إلى ما له ديمومة وسعة في التأثير، وهو بعد السنن.

أما أخلاق الأعداء فهي كل السلوكيات النابعة من الأعداء، فلم يقل سنن الأعداء، لأن المؤمن ينبغي أن يكون بينه وبين الأعداء بعد المشرقين، فلا يقترب منهم حتى بتشبّه في لفظ أو سلوك، كي لا يقترب من دائرتهم أيما اقتراب، ولذا نجد أن الشرع المقدّس قد نهى المؤمن أن يقترب من أخلاق الأعداء، ومنهم المنافقون، كالأكل على

(١) سورة المعارج، الآية: ٢٣.

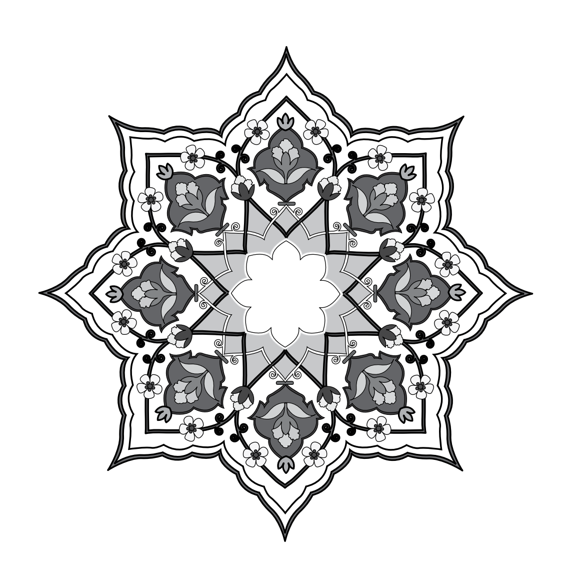
(٢) تفسير القمي: ج٢، ص٣٨٦.

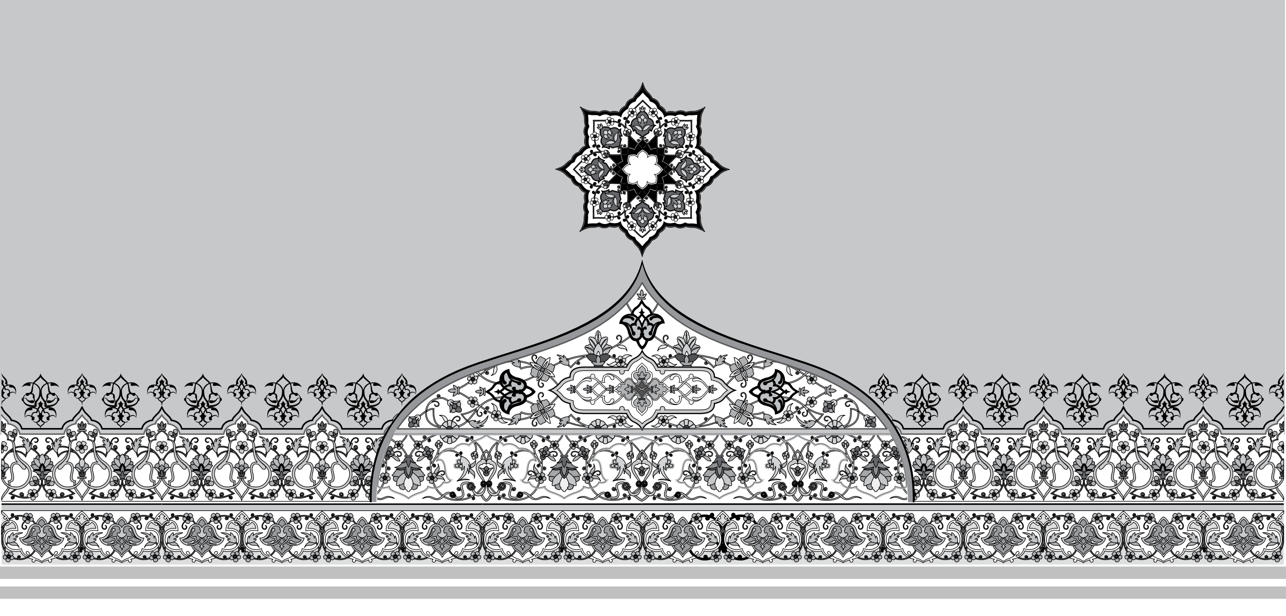
(٣) الكافي: ج٣، ص٢٧٠.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٦، ص ١٧٥.

الشبع، وكالإكثار من الأخطاء وكثرة الاعتذار، أو كالتسرّع في إبداء رد الفعل كمن يكون قلبه خلف لسانه، وما شابه ذلك.

وسنن أولياء الله من النبيين والوصيين تشمل كل أرجاء الحياة، ولا يسعنا عرضها في هذا المختصر، فقد تعرّضت كتب الآداب والسنن لها على تشعّبها.





(٨)

مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيَا بِحَمْدِكَ وَثَنَائِكَ.

الشغل الشاغل عند النفوس الكبيرة يتعدى مظاهر الدنيا واهتماماتها، لأنها منشغلة عن ذلك بالله تعالى، تحمده كما يستحق الحمد، وتثني عليه كما هو أهل لذلك، فتعلّق القلب أحد أهم الأمور التي ينبغي الحزم في إدارتها، فمن تعلّق قلبه بشؤون الدنيا، تلهّى عن أمر ربه وعن نعمائه، ومن تعلّق بشؤون الآخرة، انشغل عن الدنيا بما هو أهم منها.

وقد قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام في عمق هذا المعنى: «**إِنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وإِنَّ الْآخِرَةَ قَدِ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً، ولِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ولَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، أَلَا وكُونُوا مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي**

الْآخِرَةِ، أَلَا إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطاً والتُّرَابَ فِرَاشاً والْمَاءَ طِيباً، وقُرِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْرِيضاً، أَلَا ومَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ، ومَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، ومَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ، أَلَا إِنَّ لله عِبَاداً كَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ مُخَلَّدِينَ، وكَمَنْ رَأَى أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذَّبِينَ، شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، أَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ وحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّاماً قَلِيلَةً فَصَارُوا بِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ، أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ، وهُمْ يَجْأَرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ يَسْعَوْنَ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ، وأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ بَرَرَةٌ أَتْقِيَاءُ، كَأَنَّهُمُ الْقِدَاحُ قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ مِنَ الْعِبَادَةِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَقُولُ: مَرْضَى ومَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ أَمْ خُولِطُوا فَقَدْ خَالَطَ الْقَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ مِنْ ذِكْرِ النَّارِ ومَا فِيهَا»[١].

فالقاعدة هي أن الانشغال ضد الفراغ المدمّر، فالنفس المشغولة بالحمد والثناء لله تعالى هي تلك التي تعطيه الوقت الكافي من زمانها، والانشغال عن الدنيا، ليس انشغال تفريط في ما يحتاجه الإنسان من شؤون الدنيا، لأن الإنسان لا شك يحتاج إلى أمور الدنيا فيما يقيم حياته، ولذا نجد الدين يدفعه باتجاه تحصيل الرزق، وطلب الرزق من الله، وبالسعي للتزويج، وطلب الولد، والسعي لإعالتهم، والتوسعة عليهم، وكل ذلك يتطلب منه أن يصرف وقتاً في إدارة هذا الجانب من حياته، فليس المقصود من الدنيا هنا في هذه العبارة هو شؤون الدنيا، بل المقصود هو الدنيا كقيمة يتعلّق بها الإنسان، وعلى أساسها يحدّد سلوكه، وهو ما تسميه الروايات بـ(حب الدنيا)، الذي هو رأس كل خطيئة، وبداية الانهيار.

فيكون هنا الانشغال بالحمد والثناء على الله تعالى، هو رجوع إلى الله، وتوجه إليه،

---

(١) الكافي: ج٢، ص١٣٢.

وانشغال بمناجاته بما يستحق، وهو بذلك يشغل نفسه عن الدنيا التي تنسيه الذكر، فلا يكون من زمرة الغافلين.

بين الحمد والثناء

الحَمْدُ في اللغة: نَقِيضُ الذَّم، وفي الفرق بينه وبين الشكر، قيل: أن الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم، والحمد هو الذكر بالجميل على جهة التعظيم المذكور به أيضاً، ويصح على النعمة وغير النعمة، والشكر لا يصح إلا على النعمة.

وقيل الحمد لله، هو الشكر للنعم التي شملت الكل.

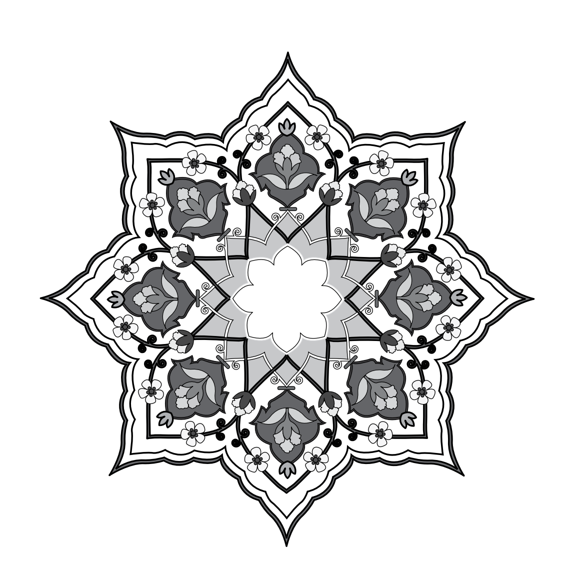
أما الثناء فقد قال أهل اللغة: هو مدح مكرر من قولك ثنيت الخيط إذا جعلته طاقين وثنيته بالتشديد إذا أضفت إليه خيطاً آخر.

فمقتضى أن يكون الإنسان راضياً بقدر الله وقضائه، هو الحمد لما يعلمه من أن كل فعل الله هو خير للإنسان، فهو تعالى الذي لا يحمد على مكروه سواه، ومقتضى أن يكون الإنسان شاكراً للنعم، أن يكرر الإطراء للفعل الإلهي، وهو الثناء على الله عزّ وجل، فالانشغال بالحمد والثناء هو في حقيقته تطبيق لما جاء في العبارات السابقة من الزيارة المختصة بالرضا بالقضاء والقدر، وشكر النعم، وهذا تسلسل موضوعي دقيق ومتكامل.

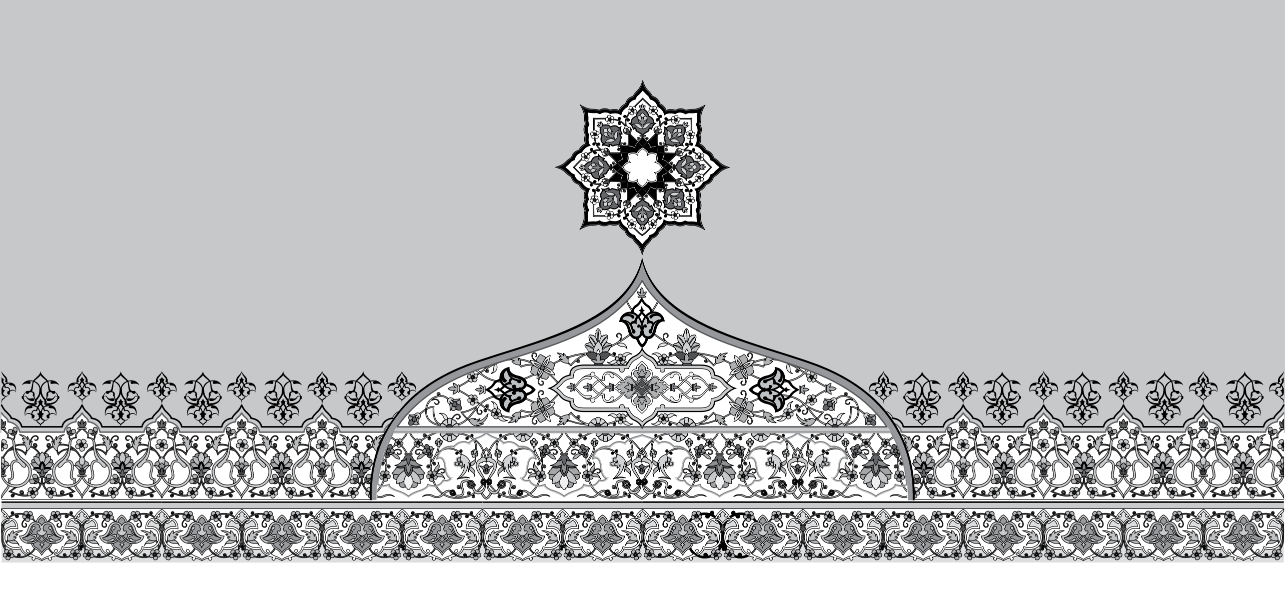
وفي كلمة رائعة للإمام علي عليه السلام في هذه المعاني المتكاملة للحمد، يقول في إحدى خطبه أنّه قال: «**الْحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ، وَعَظَمَتِهِ**»[1].

(١) نهج البلاغة، ص٢٢١

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**فَإِذَا قَالَ – العبد –: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ﴾، قَالَ الله جَلَّ جَلَالُهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَعَلِمَ أَنَّ النِّعَمَ الَّتِي لَهُ مِنْ عِنْدِي، وَأَنَّ الْبَلَايَا الَّتِي إِنْ دُفِعَتْ عَنْهُ فَبِتَطَوُّلِي، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي أُضِيفُ لَهُ إِلَى نِعَمِ الدُّنْيَا نِعَمَ الْآخِرَةِ، وَأَرْفَعُ عَنْهُ بَلَايَا الْآخِرَةِ كَمَا دَفَعْتُ عَنْهُ بَلَايَا الدُّنْيَا**»[1].



(١) الأمالي، للشيخ الصدوق، ١٧٤



استسقاء العارفين شرح الزيارة (قسم المناجاة)

استسقاء العارفين

وقال عليه السلام أيضاً في زيارة أمين الله: «ثُمَّ وَضَعَ خَدَّهُ عَلَى الْقَبْرِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتِينَ إِلَيْكَ وَالِهَةٌ، وَسُبُلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْكَ شَارِعَةٌ، وَأَعْلَامَ الْقَاصِدِينَ إِلَيْكَ وَاضِحَةٌ، وَأَفْئِدَةَ الْعَارِفِينَ مِنْكَ فَازِعَةٌ، وَأَصْوَاتَ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ صَاعِدَةٌ، وَأَبْوَابَ الْإِجَابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ، وَدَعْوَةَ مَنْ نَاجَاكَ مُسْتَجَابَةٌ، وَتَوْبَةَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْكَ مَقْبُولَةٌ، وَعَبْرَةَ مَنْ بَكَى مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةٌ، وَالْإِعَانَةَ لِمَنِ اسْتَعَانَ بِكَ مَوْجُودَةٌ، وَالْإِغَاثَةَ لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِكَ مَبْذُولَةٌ، وَعِدَاتِكَ لِعِبَادِكَ مُنْجَزَةٌ، وَزَلَلَ مَنِ اسْتَقَالَكَ مُقَالَةٌ، وَأَعْمَالَ الْعَامِلِينَ لَدَيْكَ مَحْفُوظَةٌ، وَأَرْزَاقَكَ إِلَى الْخَلَائِقِ مِنْ لَدُنْكَ نَازِلَةٌ، وَعَوَائِدَ الْمَزِيدِ لَهُمْ مُتَوَاتِرَةٌ، وَذُنُوبَ الْمُسْتَغْفِرِينَ مَغْفُورَةٌ، وَحَوَائِجَ خَلْقِكَ عِنْدَكَ مَقْضِيَّةٌ، وَجَوَائِزَ السَّائِلِينَ عِنْدَكَ مَوْفُورَةٌ وَعَوَائِدَ الْمَزِيدِ إِلَيْهِمْ وَاصِلَةٌ، وَمَوَائِدَ الْمُسْتَطْعِمِينَ مُعَدَّةٌ وَمَنَاهِلَ الظِّمَاءِ لَدَيْكَ مُتْرَعَةٌ»(١).

الرابط الموضوعي للقسم الثالث

العارفون بالله وبقدرته وبعطائه الذي لا ينضب، إنما يتقدّمون بتوسلهم لله تعالى بعد أن قدّموا أمير المؤمنين عليه السلام وولايته والإيمان بفضله بين أيدي دعائهم، وبعد أن تعلّقت نفوسهم بشمائل الأولياء ومواصفاتهم، ورفعوا أكفّهم لخالقهم سائلين منه أن تكون نفوسهم في الطريق ذاته، أصبحت نفوسهم الآن في سباق الاستسقاء، يسترفدون رحمة الله بقلوب قرّرت الاستعداد لذلك، فها هي تتوسد

---

(١) كامل الزيارات، ابن قولويه: النص، ص٤٠.

بخدها على مصدر إشعاع النور في مشهد المسكنة والحاجة التي تلبّى من خلال منفذ عظمة صاحب القبر الشريف.

جاء في نص الزيارة أن الإمام زين العابدين عليه السلام حال قراءته لهذا المقطع من الزيارة قد (وَضَعَ خَدَّهُ عَلَى الْقَبْرِ وَقَالَ:...)، فبدأ بتلاوة القابليات الربانية التي مهدها الخالق للمخلوقين.

وهذه الحقائق الربانية التي ينفذ من خلالها للوصول إلى الكمال البشري، هي المرحلة الثالثة من مراحل زيارة أمين الله، وهي من خصائصها العجيبة، فبعد التوجّه إلى الله بالدعاء، يتحوّل الزائر إلى صيغة أخرى من صيغ مخاطبة الله تعالى، وهي مناجاة متنوعة، عبارة عن سرد الثناء على الله تعالى، عبر الحقائق المعبرة عن كيفيات وقابليات نزول الرحمة الإلهية على العباد، فتوسّد الخدّ الذي هو موضع الكرامة والوجاهة للإنسان على القبر الشريف، يعبّر عن حالة التذلّل لله تعالى، لأنه في معرض الثناء والتعظيم، فلا بد أن تظهر على الزائر الداعي مظاهر الذلّ والمسكنة، كدلالة صدق منه إلى بارئه، وكلّما تحقق تعظيم الرب في نفس الداعي، كلما تصاغر الإنسان في نفسه، عندئذٍ يكون في حالة تمجيد حقيقية لله تعالى، وإذا وصل إلى هذه الحالة، فإنه لا يكون بينه وبين رحمة ربه حجاب.

وقد جاء فِيمَا أَوْحَى الله إِلَى مُوسَى عليه السلام: «**يَا مُوسَى، كُنْ إِذَا دَعَوْتَنِي خَائِفاً مُشْفِقاً وَجِلًا، وَعَفِّرْ وَجْهَكَ فِي التُّرَابِ، وَاسْجُدْ لِي بِمَكَارِمِ بَدَنِك**»[1].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله في ضرورة الثناء: «**إِنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَأَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله:**

(١) عدة الداعي: ص١٥٩.

أَعْجَلَ الْعَبْدُ رَبَّهُ. وَجَاءَ آخَرُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: سَلْ تُعْطَه»[1].

فللدعاء فنون ربانية، منها التمجيد والثناء على الله تعالى، ومنها أن يبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ومنها أن يقدّم توسّله بهم عليهم السلام بين يديه، وغير ذلك مما قد يُجمع أو يُفرّق، فالمِدحة والثناء هنا جاءت مقدّمة للسؤال المهم من الله في نهاية الزيارة، وهو الانضمام إلى زمرة أهل البيت عليهم السلام.

وروى محمد بن مسلم، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**إِنَّ فِي كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليهم السلام: أَنَ الْمَسْأَلَةَ بَعْدَ الْمِدْحَةِ، فَإِذَا دَعَوْتَ فَمَجِّدْهُ**».

قَالَ قُلْتُ: كَيْفَ نُمَجِّدُهُ؟ قَالَ: تَقُولُ: «**يَامَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، يَامَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، يَامَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، يَامَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء**»[2].

فلنمضِ مع هذه الحقائق القادمة من الزيارة، التي هي (ثناء) كما عبّرت الزيارة نفسها في الفصل الأخير منها، (اللَّهُمَّ فَاسْتَجِبْ دُعَائِي وَاقْبَلْ ثَنَائِي وَأَعْطِنِي رَجَائِي)، فالدعاء ما قد تقدّم وقد اختص بصياغة النفس، والثناء يبدأ بعده في هذا القسم (القسم الثالث)، ثم سيأتي بعده العطية المرجوة في الختام.

وقد هيّأ نفسه في قسم (الدعاء) في فصله الأخير حينما قال: «**فاجعل نفسي.. مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيَا بِحَمْدِكَ وَثَنَائِكَ**»، فها هو قائم بين يدي القبر الشريف في تطبيق عملي لاشتغال النفس عن الدنيا بالثناء في بقعة هي من أشرف بقاع الأرض يحب

---

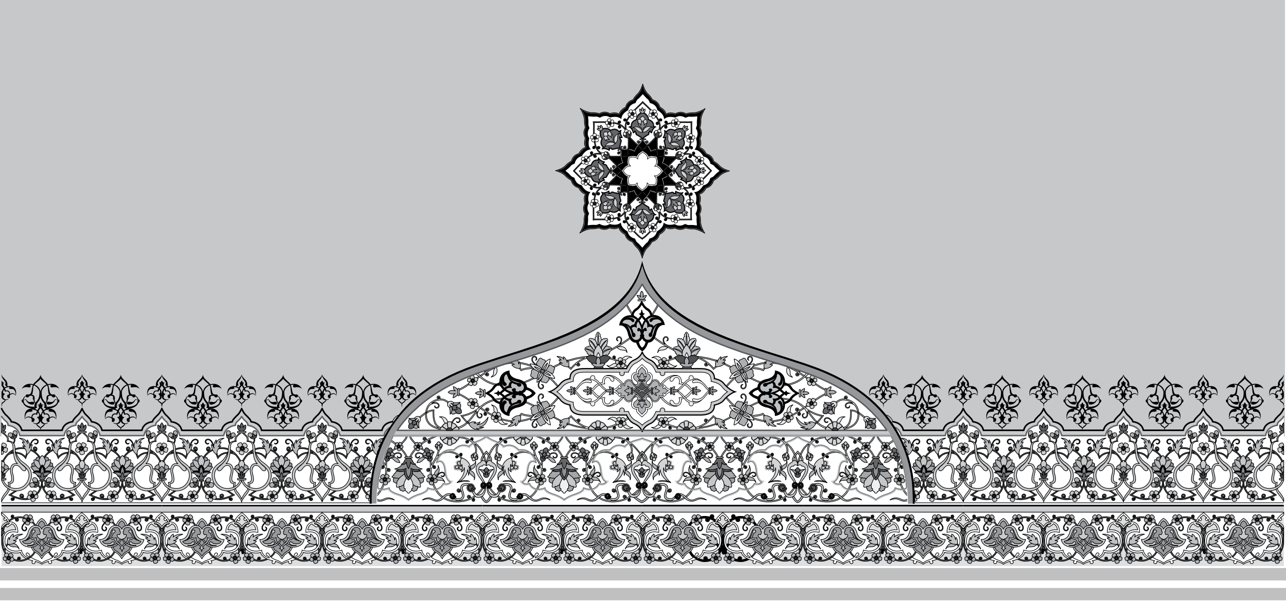
(١) عدّة الداعي: ص١٦٠.

(٢) المصدر نفسه.

الله أن يذكر فيها اسمه، فيناجي ربّه بثناء هو عبارة عن رحمة الله تعالى لخلقه في فتحه لأبواب السماء، لينفذ الطالبون منها إليه عز وجل.

وقد بيّنا أن تحديد هوية هذا القسم له أهمية فيما يتصل بالمعاني المستظهرة من العبارات، بل يمكن أن تحدّد العلاقة بالأقسام تحديداً موضوعياً دقيقاً، فيما إذا تم تحديد هوية القسم، فإذا تم تحديد هذا القسم على أنه ضمن الدعاء الذي مضى، أو هو دعاء ولكن بعد أن كان في القسم الثاني بصورة مباشرة، انتقل الخطاب إلى أن يكون الدعاء بعبارات أخرى غير مباشرة، وهذا التحديد ما رأيته ممن تحدّث عن زيارة أمين الله بصورة جزئية مكتوبة أو ملفوظة، وبعض لم يقم بتحديد هوية القسم أساساً واسترسل في الشرح دون بيان طبيعة هذه العبارات، بل أن ممن تحدّث حول هذا القسم جعل الثناء على المؤمنين في صفاتهم، وليس ثناء على الله تعالى في فتحه لأبواب الرحمة كما نراها.

إن الذي يبدو لي أن تحديد هوية القسم هو سرّ الدّقة في إبراز المعاني، وهو من مختصّات هذه الزيارة التي اشتملت على السلام والدعاء والمناجاة، والمناجاة هنا هو الثناء على الله تعالى، فهذه العبارات كما سترى هي ثناء على الله وحديث معه عز وجل فيما اختص به، ولكن موضوعها هو فتح الأبواب للعروج إليه، ولذلك فهي نافعة في أنها تمجيد وثناء على الله، وهي تطلّع إلى ما فتحه الله للعباد، وهذا التطلع بهذا الأسلوب هو استعطاف لله تعالى بآداب العارفين به المستسقين لرحمته عز وجل، فالمناجاة هي التخاطب بخفاء أو اسرار، ومن مستلزمات الاسرار الاختصاص بالكلام، فهي نوع من أنواع الخطاب مع الله تعالى، إما بنحو الاستتار، أو الاختصاص بالكلام، والذي يتضمّن المناجاة بشكل غير مباشر.



(١)

اللَّهُمَّ إِنَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتِينَ إِلَيْكَ وَالِهَةٌ

الْمُخْبِتِينَ: أَخْبَتَ إلى اللهَّ فهو مُخْبِتٌ: خاشِعٌ مُتَضَرِّع صالح. وهو الْمُطْرِق أيضاً.

وَالِهَةٌ: الوَلَهُ: الحزن، وقيل: هو ذهاب العقل والتحيّر من شدّة الوجد أَو الحزن أَو الخوف. والوَلَهُ: ذهاب العقل لِفِقْدانِ الحبيب.

يناجي الزائر ربه، بأن موضع الحبّ وقد وصل مدى تعلّق القلوب بك يارب أنها والهة، لا تفكّر إلا فيك، فإن فقدتك حزنت واضطربت، وإن وجدتك انشغلت بك في إخبات، والقلوب المخبتة، هي القلوب الخاشعة عن علم وبصيرة، وليس أي خشوع، هذا ما نستظهره من الآية الكريمة التي أوعزت إخبات القلوب إلى إولي العلم بعد أن اكتشفوا الحقائق الإلهية بنور علمهم، في قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ

أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

وكذلك بعد أن ذكرت الآيات الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم الصم العمي بتعبير القرآن، جعلت في مقابلهم المؤمنين المخبتين وهم أهل البصائر، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

ومن نتائج الإخبات التسليم لله تعالى ولأهل البيت عليهم السلام في كل صغيرة وكبيرة، لما عرف ببصيرته من أنهم معدن العلم الصافي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي هذا المعنى جاء عن زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له إن عندنا رجلاً يقال له كليب، فلا يجيء عنكم شيء إلاّ قال أنا أسلم، فسميناه كليب تسليم، قال: فترحم عليه ثم قال: «**أَتَدْرُونَ مَا التَّسْلِيمُ**»؟ فَسَكَتْنَا، فَقَالَ: «**هُوَ والله الْإِخْبَاتُ، قَوْلُ الله عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِم﴾»[3].

فحري بذلك الزائر الذي يثني على الله تعالى ويناجيه بأنه جعل قلوب المخبتين إليه والهة، عندما انفتحت بصيرتهم على الحقائق، أن يتطلّع إلى طريق المخبتين الذين آتاهم الله معرفته، التي هي أرقى درجات المعرفة وأهمها، ليتعلّق قلبه بالله تعلقاً واعياً، غير ساذج.

قال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ

(١) سورة الحج، الآية: ٥٤.

(٢) سورة هود، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٣) الكافي: ج١، ص٣٩١.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1].

القلوب الوالهة

إنّ الوله كما هي معانيه في اللّغة يتضمّن شدّة التحيّر بما قد يوجب ذهاب العقل من شدّة الوجد أو لفقد حبيب، وقد جعلت العبارة الوله هذا من خواص قلوب المخبتين، والمخبتون كما رأينا، هم العلماء الخاشعون عن وعي وعلم، بينما نجد أن الوله مقترن مع الحيرة وذهاب العقل، مما قد لا يتناسب مع صفة العلم، فكيف يكون ذلك؟

يبدو أنّ حقيقة الوله هي شدّة التعلّق بالشيء لدرجة الهيام فيه وعدم الإلتفات لغيره، ولذلك قد يوصف بذهاب العقل، لأنه يمكن أن يؤدي به فعلاً إلى ذلك أو يقوده إلى التصرّف بغير شعور منه، كونه مسكون برؤية من يحب دون سواه، وهذه الأفعال متصوّرة في الشؤون الدنيوية، وهذا شبيه من تعلّق بشأن الدنيا حباً فيها حتى أذهبت رؤيته للأمور بشكل صحيح، كما جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «**فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يُعْمِي ويُصِمُ، ويُبْكِمُ ويُذِلُّ الرِّقَاب**»[2].

وقد أفادت أقوال الإمام علي عليه السلام بذم الوله بالدنيا ومتعلقاتها، وقرنها بالمحن والشقاء والامتهان، كما في قوله عليه السلام: «**الْوَلَهُ بِالدُّنْيَا أَعْظَمُ فِتْنَةٍ، وطَلَبُ شَهَوَاتِهَا أَنْكَى مِحْنَةٍ**»[3].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) مكاتيب الأئمة، علي أحمد ميانجي: ج٢، ص٢٧٨.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، (الليثي): ص٤٦، ح١١٣٤.

وقوله عليه السلام: «**إِيَّاكَ والْوَلَهَ بِالدُّنْيَا، فَإِنَّهَا تُورِثُكَ الشَّقَاءَ والْبَلَاءَ، وتَحْدُوكَ عَلَى بَيْعِ الْبَقَاءِ بِالْفَنَاءِ**»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «**إِيَّاكَ وكَثْرَةَ الْوَلَهِ بِالنِّسَاءِ والْإِغْرَاءَ بِاللَّذَّاتِ، فَإِنَّ الْوَالِهَ بِالنِّسَاءِ مُمْتَحَنٌ والْمُغْرَى بِاللَّذَّاتِ مُمْتَهَنٌ**»[2].

فإن التعلّق بالدنيا وما فيها من مغريات وملذّات لدرجة الوله هو أمر مذموم قطعاً، لأنه يذهل الإنسان عن أمر آخرته، ويذهب ببصيرته وعقله، الذي يدعوه إلى اكتساب الجنان والتصرف بالحكمة والاتزان في كل شيء، وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**آفَةُ الْعَقْلِ الْوَلَهُ بِالدُّنْيَا**»[3].

ولذلك فإن من يولّه عقله بالدنيا ويذهل عن الخير في تصرفاته، فلا يعتدّ بتصرفاته وقراراته.

عن الإمامين أَبِي جَعْفَرٍ وأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: «**أَنَّ الْمُوَلَّهَ لَيْسَ لَهُ طَلَاقٌ ولَا عِتْقُهُ عِتْقٌ**»[4].

ولكن إذا أصبح ولَه القلوب في الله تعالى، فهو أمر مختلف تماماً، فهو يعدّ قمة العقل، وقمة الحكمة، كما قال الإمام علي عليه السلام: «**ثَمَرَةُ الْحِكْمَةِ التَّنَزُّهُ عَنِ الدُّنْيَا وَالْوَلَهُ بِجَنَّةِ الْمَأْوَى**»[5].

---

(١) المصدر نفسه: ص٩٩، ح٢٢٦٩.

(٢) المصدر نفسه: ص٩٩، ح٢٢٨٤.

(٣) المصدر نفسه: ص١٨٢، ح٣٧٣١.

(٤) الكافي: ج٦، ص١٢٥.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ص٢٠٨، ح٤١٨٠.

إذاً الوله بالآخرة وبكل ما يتعلّق بالله تعالى ليس فيه فقدان عقل، بل هو ثمرة الحكمة، وعين العقل، فمن لديه الحكمة فلديه العقل، لأنه ثمرته، والعقل كما عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ واكْتُسِبَ بِهِ الجِْنَان**»[1]، فكل شيء يقود للإخلاص في العبادة والتسليم لله عز وجل والتعلق بالآخرة أو حتى بمن هم أبواب الرحمة وهم أهل البيت عليهم السلام إلى حد الوله، فهو من الحكمة، وإن سمي وله، فهو إما أن يقصد به شبيه الوله الذي يفقد فيه العقل، أو هو وله عن شؤون الدينا وذهاب التعقّل لدنياه لما عرفته بصيرته بما عند الله تعالى مما هو أفضل وأحسن وأبقى، فمن يراه كذلك وهو لا يعي ما وعاه حقيقة، أسماه والهاً قد ذهب عقله، ولكنه في حقيقته يمثل قمّة العقل والحكمة.

والوله لله تعالى هي من خواص الملائكة، كما في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فكان من دعائه عليه السلام في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب: «**اللَّهُمَّ وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ الَّذِينَ لا يَفْتُرُونَ مِنْ تَسْبِيحِكَ، وَلا يَسْأَمُونَ مِنْ تَقْدِيسِكَ، وَلا يَسْتَحْسِرُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ، وَلَا يُؤْثِرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَى الجِْدِّ فِي أَمْرِكَ، وَلَا يَغْفُلُونَ عَنِ الْوَلَهِ إِلَيْك**»[2].

وقال أيضاً في صفة الملائكة بأن اليقين قادهم إلى الوله لله تعالى: «**قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ و[وَصَّلَتْ] وَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وقَطَعَهُمُ الْإِيقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ، ولَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ، قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ وشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وتَمَكَّنَتْ مِنْ [سُوَيْدَاوَاتِ]**

---

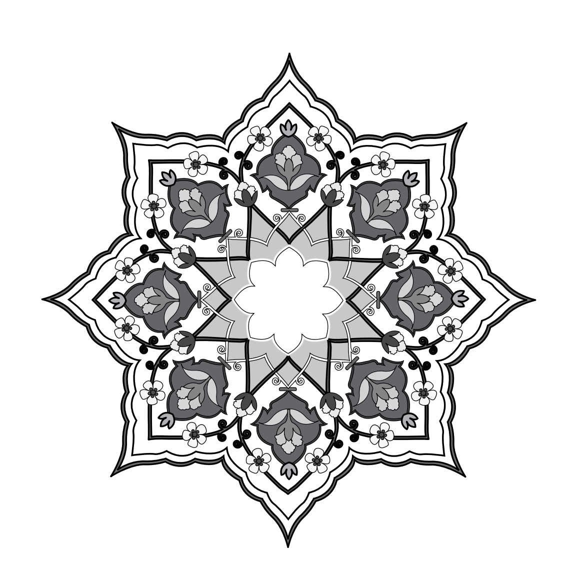
(١) الكافي، ج٢، ص١١.

(٢) الصحيفة السجادية، للإمام زين العابدين عليه السلام: دعاء٣.

سُـوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِـيجَةُ خِيفَتِـه...»[1].

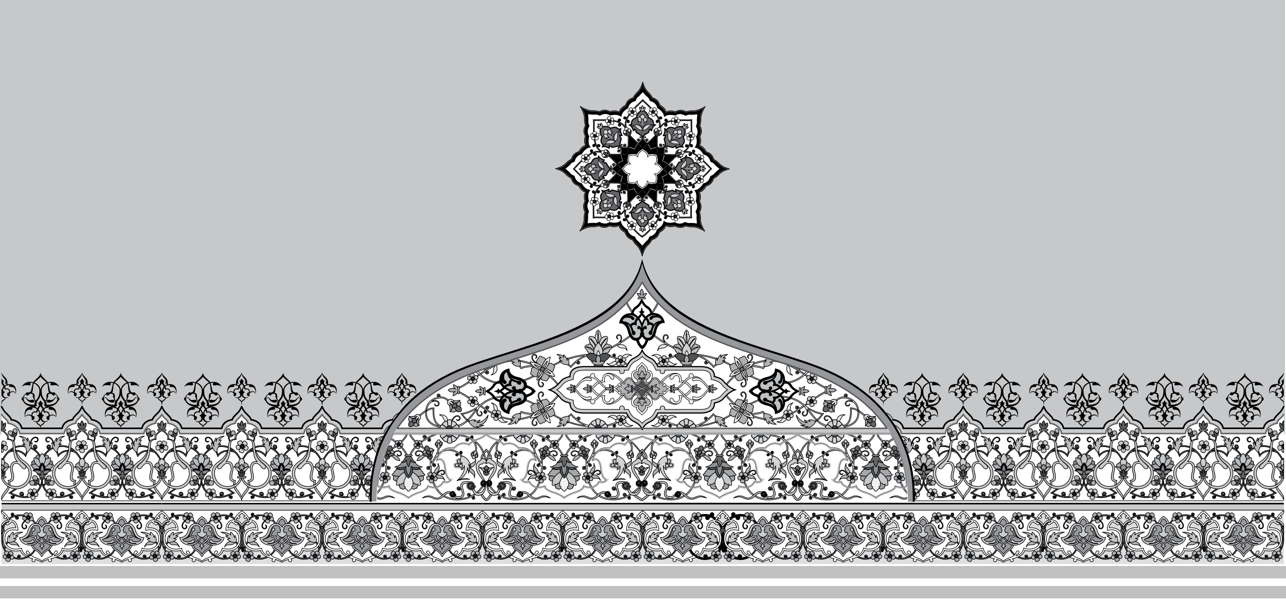
ومن قوله في خطبة له عن الشهادة والتقوى: «**وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ، فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ ووَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِد**»[2].

وبعد استجلاء هذه المعاني، نعي تماماً معنى عبارة الزيارة: «**اللَّهُمَّ إِنَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتِينَ إِلَيْكَ وَالِهَةٌ**».



(١) نهج البلاغة، في صفة الملائكة، صبحي الصالح: ص١٣٠.

(٢) نهج البلاغة: ص ٢٥٦.



(٢)

وَسُبُلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْكَ شَارِعَةٌ

الحقيقة التالية هي أن الله تعالى مهّد الطرق إليه، وجعلها شارعة مفتوحة غير مسدودة، وذلك من فيض رحمته وعطفه على عباده، فلم يسد الأبواب عليهم، بل جعلها مشرّعة كي يدخلها الراغبون أفواجاً.

وبعبارة أخرى أن الطريق إليك يا رب مشرّعة لكل الراغبين. فهذا مما يتسق مع المناجاة كثناء على الله تعالى فيما أفاض به على خلقه، في تسهيل الطرق إليه على خلقه، وهي في الحقيقة سبل الله تعالى وهو الذي مهدها وشرعها، ولكن نُسبت للراغبين لأن الله وضعها لهم ليسلكوها.

دافع الرغبة

في معنى الرغبة جاء في مجمع البحرين: «هو من قولك رَغِبَ في الشيء كسمع يَرْغَبُ رَغْبَةً: إذا حرص عليه وطمع فيه، والهاء في (رغبة) لتأنيث المصدر. فَالرَّغْبَةُ: هي السؤال والطلب، ورغبت عن الشيء إذا زهدت فيه، ولم ترده، وهو بخلاف الرغبة في الشيء[1].

إن الرغبة هي حالة انجذاب نفسي نحو المرغوب فيه، فمن يرغب في الشيء يحرص عليه ويطمع في الوصول إليه، والراغبين في سياق عبارة الزيارة هم الراغبون في الله تعالى وفيما عند الله، وقد دعا القرآن الكريم المؤمن أن يتوجّه لله تعالى رغبة فيه، وقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ. وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[2].

وهنا ينفتح لنا باب مهم من أبواب السير والسلوك إلى الله تعالى، فإن المنهج الصوفي وما شاكله، في النظر للإقبال على الله تعالى، يؤسّسون لرهبانيتهم لما يجدونه من حب ووله ورغبة في الله عز وجل وفي عبادته، فهو شأن شخصي بالنسبة لهم، فحسب رغبة المرء لابد أن يشتغل بالعبادة، ولذا وجدوا تبريراً لإجهاد أنفسهم في التفرّغ لها والإقبال عليها، ولكن هذا ليس صحيحاً بإطلاقه، فالمنهج الصحيح في التأسيس لنوع العبادة من خلال معطيات القرآن والعترة، هو أن الرغبة الشخصية ليست محوراً يحدّد قيمة الشيء، بل لابد أن تصاغ تلك الرغبة بما جاء به الدين من قيم.

إن الدين رغّب في العبادة، وجعل عبادة المحبين هي عبادة الأحرار، وهي أفضل

(١) مجمع البحرين: ج٢، ص٧١.

(٢) سورة الشرح ٧ – ٨

العبادة، وخصوصاً تلك التي تنطلق من رغبة جامحة وعشق كبير، كما قال الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ الْعِبَادَةَ فَعَانَقَهَا وأَحَبَّهَا بِقَلْبِهِ وبَاشَرَهَا بِجَسَدِهِ وتَفَرَّغَ لَهَا فَهُوَ لَا يُبَالِي عَلَى مَا أَصْبَحَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى عُسْرٍ أَمْ عَلَى يُسْرٍ**»(١).

ولكي لا يفهم من ذلك فتح الباب أمام إعطاء رغبات الإنسان التي تختلط فيها الذاتيات وتصنعها الظروف وتصيغها الصدمات وغيرها، فإن الدين وجّه المؤمنين للتوازن في الرؤية، لتكون الرغبة منسجمة مع ما يطلبه الله تعالى منهم، فمن يفهم أن الانقطاع للعبادة رغبة في الله فيترك ما خلاه، فقد ناقض توجيهات الدين وأهل الدين، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: أنّه نهى عن الترّهب، - الانقطاع للعبادة - قال: «**لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ، تَزَوَّجُوا، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**»، ونَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ، ونَهَى النِّسَاءَ أَنْ يَتَبَتَّلْنَ ويَقْطَعْنَ أَنْفُسَهُنَّ مِنَ الْأَزْوَاجِ(٢).

فبمقدار ما وجّه المؤمن أن يخلق في نفسه الرّغبة الجامحة في عبادته، وجّهه لموضوع الرّغبة وأهدافها، وحدّد له آلياتها الصّحيحة، ليرغبوا فيما رغّبهم الله فيه، كما هي دلالة ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام في رسالته لأصحابه، حيث قال: «**وَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُدْرِكُوا نَجَاحَ الْحَوَائِجِ عِنْدَ رَبِّهِمْ بِأَفْضَلَ مِنَ الدُّعَاءِ والرَّغْبَةِ إِلَيْهِ والتَّضَرُّعِ إِلَى الله والْمَسْأَلَةِ لَهُ، فَارْغَبُوا فِيمَا رَغَّبَكُمُ الله فِيهِ، وأَجِيبُوا الله إِلَى مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ، لِتُفْلِحُوا وتَنْجُوا مِنْ عَذَابِ الله**»(٣).

---

(١) الكافي: ج٢، ص٨٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ج٢٥، ص١٠٤.

(٣) الكافي، كتاب الروضة: ج٨، ص٤.

ومعرفة ما رغّب الله فيه تتم من خلال الانفتاح على القرآن الكريم وهدي النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، لا عبر تبرعات وابتداعات البشر في شأن عبادتهم، كما فعله أصحاب (الطريقة) من الصوفية ومن تبعهم من العرفاء، فالراغبون إلى الله تعالى هم الراغبون فيما أمر به في كتابه من الخلوص في العبادة، والعبادة هنها الخشوع في الصلاة، والإنفاق في سبيل الله، والجهاد في سبيله، وإغاثة الملهوف، والإحسان إلى الوالدين، والنفع لعباد الله، والعمل بأحكامه تعالى في كافة المجالات، هذه هي حقيقة العبادة بمفهومها القرآني وبمفهوم أهل البيت عليهم السلام.

فعندما يتفرّغ العابد للذكر بحسب الطريقة الصوفية من منطلق رغبته في الله، ويترك شؤونه من إعالة عياله، وحقوق الزوجة، وتبليغ الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، ونفع الناس، فإن هذا دليل صارخ على خطأ فكرته واعوجاج منهجه، فالراغب الحقيقي في الله تعالى هو ذلك الذي يقبل على ما عند الله من أجل الله تعالى، ومن السبل التي جعلها الله تعالى شارعة له.

ومن وصايا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لأبي ذر الغفاري رضوان الله عليه أنه قال: «**وَعَلَى الْعَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوباً عَلَى عَقْلِهِ، أَنْ يَكُونَ لَهُ أَرْبَعُ سَاعَاتٍ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وسَاعَةٌ يُفَكِّرُ فِي صُنْعِ الله تَعَالَى، وسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِي نَفْسِهِ فِيمَا قَدَّمَ وأَخَّرَ، وسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ الْحَلَالِ فِي الْمَطْعَمِ والْمَشْرَبِ. وعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لا يَكُونَ ظَاعِناً إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ، أَوْ سَعْيٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ ذَاتِ مُحَرَّمٍ. وعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيراً بِزَمَانِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظاً لِلِسَانِهِ، ومَنْ حَسَبَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ**»[1].

(١) إرشاد القلوب إلى الصواب: ج١، ص١٤٠.

السبل الشارعة

السبل: جمع سبيل وهو الطريق الواضح.

الشارعة: كما في معجم مقاييس اللغة: الشين والراء والعين أصلٌ واحد، وهو شيءٌ يُفتَح في امتدادٍ يكون فيه. من ذلك الشَّريعة، وهى مورد الشَّارِبة الماء. واشتُقّ من ذلك الشِّرْعة في الدِّين، والشَّريعة[1].

وفي لسان العرب: ودُورٌ شارِعةٌ إِذا كانت أَبوابها شارِعةً في الطريق. وقال ابن دريد: دُورٌ شَوارِعُ على نَهْجٍ واحد. وشَرَعَ المَنْزِلُ إِذا كان على طريق نافذ. وفي الحديث: كانت الأَبوابُ شارِعةً إِلى المَسْجِدِ، أَي مَفْتُوحةً إِليه. يقال: شَرَعْتُ البابَ إِلى الطريق أَي أَنْفَذْتُه إِليه. وشَرَعَ البابُ والدارُ شُرُوعاً أَفْضَى إِلى الطريقِ، وأَشْرَعَه إِليه. وهذا كله راجع إِلى شيء واحد، إِلى القُرْب من الشيء والإِشْرافِ عليه[2].

وعَنْ الإمام عَلِيٍّ عليه السلام، قال: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: سُدُّوا الْأَبْوَابَ الشَّارِعَةَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ**»[3].

إن السبل الشارعة إذاً هي سبل الله تعالى لكل الراغبين إليه عز وجل، وهي مفتوحة على طول طريق المؤمنين الراغبين، ففي كل مكان يكون فيه المؤمن وفي كل زمان وعند أي ظرف من الظروف، سيجد سبل الله تعالى مشرعة إليه، لينفذ منها إلى الله تعالى، فما عليه إلا أن يوفّر في نفسه الرغبة في الولوج.

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص٢٦٢.

(٢) لسان العرب: مادة شرع.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٣٣٤.

فالرغبة الحقيقية من شأنها أن تقود الإنسان إلى رؤية الحقائق، وإلى التوفيق للهدى والأعمال الصالحة، بخلاف التكبّر على ما عند الله تعالى، فمن يستكبر لا يجد إلا نفسه محوراً للكون، فلا ينتفع بشيء حتى لو كان واضحاً لغيره من الناس، وقد قال تعالى في ذلك: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[(١)].

أما الراغبين فهم الذين يشغلهم ذكر الله في كل حال، فهم يبصرون الحقائق بوضوح تام، فتنفذ إلى أعماقهم وتستقر في قلوبهم وعقولهم، وتترجم إلى إيمان حقيقي، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[(٢)].

والرغبة لها علاقة بالمسارعة، فهي تخلق إرادة المسارعة والسعي الحثيث نحو الخير في كل وقت.

قال تعالى عن زكريا وزوجته وابنه يحيى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[(٣)].

إنّ الله تعالى وضع القابليات في قلوب الراغبين في التوجّه إليه، وجعل له في السبل أبواباً شارعة مشرفة عليها ليلج فيها إلى الله تعالى، وذكر الله والثناء عليه بهذه الخاصية

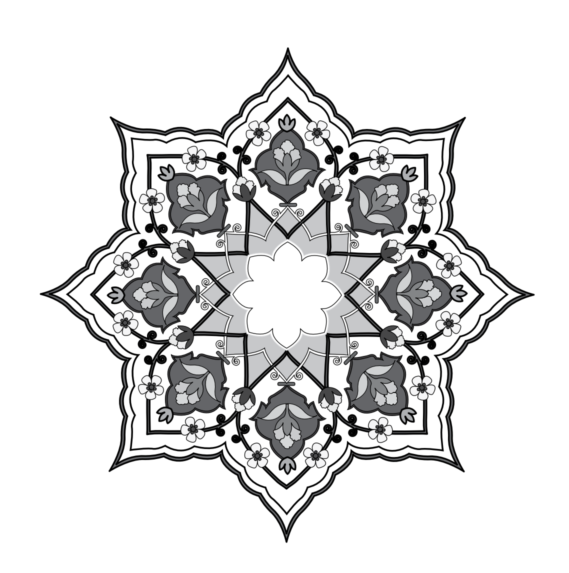
(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

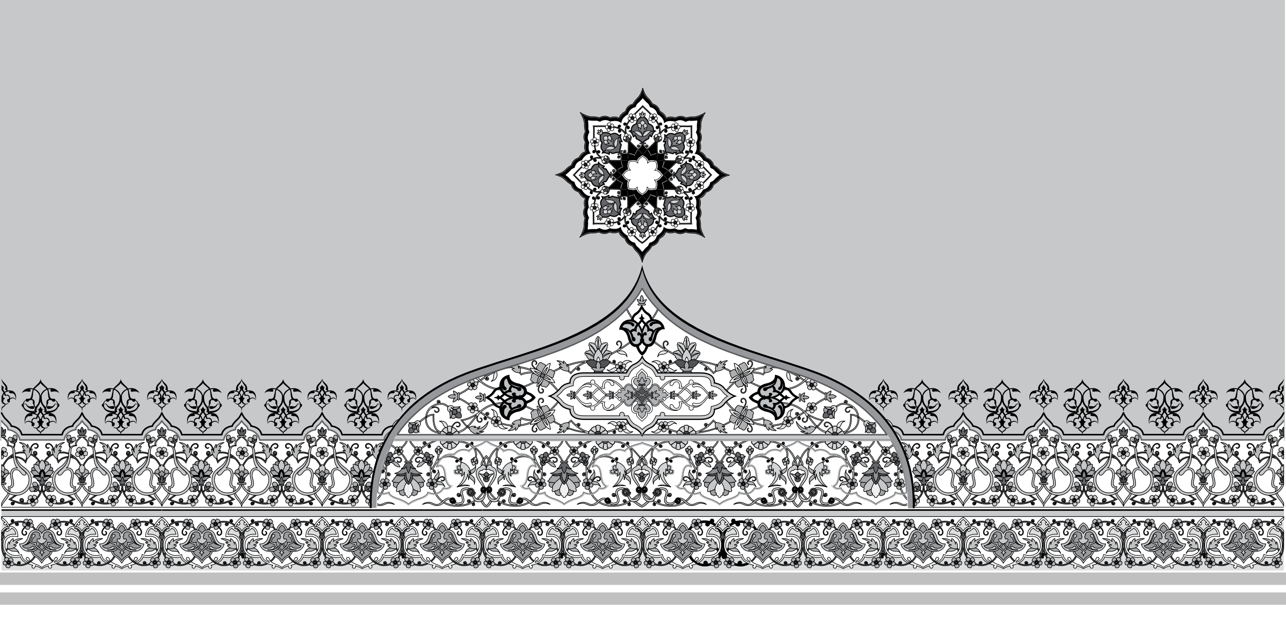
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٩-٩٠.

التي جعلها للراغبين، من شأنه أن يرغّب الزائر ويحفزه لاغتنام الفرصة الإلهية ليكون أحد مصاديقها.

والسبل الشارعة ليست مختصّة في من يرغب في العبادة الخاصّة، بل هي مفتوحة لكل المؤمنين في مختلف حاجاتهم، فهي تعبير عن أبواب الهدى التي فتحها الله تعالى لكافة الناس من أجل أن يبصروا الحق ويعملوا به، ففي الحكم سيجد السبل الشارعة ليحكم بالعدل، وفي السوق والتجارات سوف يبصر أحكام الله ليتعامل بالحق، وفي التعايش مع المجتمع سيرى الطريق لحسن الخلق والنصح والتعاون، وفي المعرفة سيجد أبواب الهدى مفتحة، وهكذا في كافة المجالات، نصب الله تعالى للمؤمن سبلاً شارعة، فما عليه إلا أن يوفّر في نفسه الرغبة إليه عز وجل.





(٣)

وَأَعْلَامَ الْقَاصِدِينَ إِلَيْكَ وَاضِحَةٌ

الأعلام: ما ينصب في الطريق للهداية، وهي مفرد علم بمعنى الرّاية، وقد يفهم من العبارة أن الله تعالى وضع الأعلام وهي العلامات التي يهتدي بها المهتدون، كالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وقد يفهم منها أن أعلام الهداية التي وضعها الله تعالى، بالنسبة للقاصدين واضحة لا لبس فيها.

والقاصدين: كما في معجم المقاييس: القاف والصاد والدال أصولٌ ثلاثة، يدلُّ أحدُها على إتيانِ شيءٍ وأَمِّه.

وفي لسان العرب: القصد: استقامة الطريق. قَصَد يَقْصِدُ قصداً، فهو قاصِد. وقوله

تعالى: ﴿وعَلَى الله قَصْدُ السَّبِيلِ﴾؛ أَي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاءُ إِليه بالحجج والبراهين الواضحة، ومِنْها جائِرٌ أَي ومنها طريق غير قاصد. وطريقٌ قاصد: سهل مستقيم.

إنّ القاصدين إلى الله هم المتوجّهون إليه بالعبادة بإخلاص نية، فإن الله تعالى جعل لكل من طلبه وقصده علامة تدله على الطريق إليه، ومن هذه العلامات أهل البيت عليهم السلام، الذين يهتدي بهديهم القاصدون.

عن داود الجصّاص قا: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿وَعَلامَاتٍ وبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، قَالَ: «**النَّجْمُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله والْعَلَامَاتُ هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام**»[1].

وهي واضحة وضوح الشّمس في رابعة النهار، ولأن (الحق أبلج) لا يحتاج فيه المرء إلا إلى الإخلاص في القصد، فيمكن لأي أحد أن يهتدي إلى الله عن طريق أعلامه، وهذا مصداق من مصاديق أن لله الحجة البالغة على خلقه، وما نجده من إنحراف عن الحق أو من عدم قبول الحق رغم وضوحه، فهو بسبب فقدان الإخلاص في القصد إلى الله تعالى، وبسبب الغشاوات المتراكمة على القلب جرّاء الذنوب والعصبيات.

ومن الحقائق الهامة التي تستفاد من عبارة (وأعلام القاصدين إليك واضحة) أن الحق لا يمكن أن يندرس أبداً، وأعلامه وبراهينه واضحة بشكل مستمر، وإذا ما اندرست الأعلام في حين ما أو في مكان ما، فإن ذلك ليس بسبب أنها انطمست، بل بسبب عمى القلوب وانحراف النوايا وانعدام القاصدين.

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج١، ص٢٠٦.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾(١).

إن الله عز وجل نصّب الآيات في الأنفس وفي الآفاق، وأكرم بني آدم بعقل يبصر به الحقائق من حوله، وأرسل الرسول صلى الله عليه وآله، والأئمة من بعده هداة وأعلاماً للدين.

ففي زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «**وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمَامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ، الْمُطَهَّرُ الزَّكِيُّ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَأَعْلَامُ الْهُدَى، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، والْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا**»(٢).

وفي زيارة جامعة لأهل البيت عليهم السلام: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةَ الْمُؤْمِنِينَ وسَادَةَ الْمُتَّقِينَ وكُبَرَاءَ الصِّدِّيقِينَ وأُمَرَاءَ الصَّالِحِينَ وقَادَةَ الْمُحْسِنِينَ وأَعْلَامَ الْمُهْتَدِينَ وأَنْوَارَ الْعَارِفِينَ**»(٣).

وفي دعاء الندبة لإمامنا الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف: «**يَا ابْنَ السُّبُلِ الْوَاضِحَةِ، يَا ابْنَ الْأَعْلَامِ اللَّائِحَةِ**»(٤).

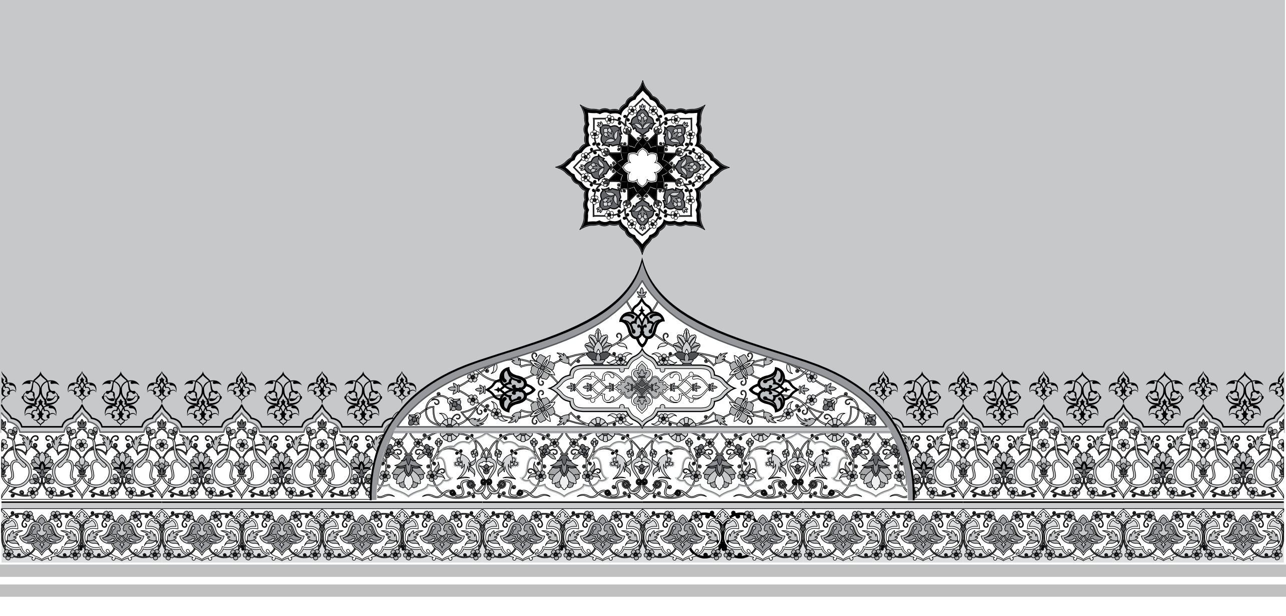
---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٦-١٨.

(٢) المزار الكبير لابن المشهدي: ص٤٣١.

(٣) المصدر نفسه: ص٢٩٣.

(٤) المصدر نفسه: ٥٨٠ص



(٤)

وَأَفْئِدَةَ الْعَارِفِينَ مِنْكَ فَازِعَةٌ

العارفون في لسان الروايات، هم العارفون بالله المخلصون في توحيده، أو هم المعترفون بالإمام المفترض الطاعة، ومن شروط التوحيد الخالص هو الاعتراف بالإمام، كما عن الإمام الرضا عليه السلام: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي ثم قال: بِشُرُوطِهَا وَأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا**»[١].

وما ينبغي الالتفات إليه أن العارف ليس هو كما يصوّره أهل التصوّف والعرفان المتلبّس به، من أنه حالة الرهبنة المبتدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان، رهبنة مبتدعة تعتزل الدين ومفاهيمه وقيمه، وتنزع من العبادة والمعرفة حيويتها لحياة الإنسان، كلا؛

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٢٥.

إن العرفاء والعارفين الحقيقيين هم أهل المعرفة الإيمانية بالتوحيد الخالص، المهتدين بهدي أهل البيت عليهم السلام في شؤنهم العبادية، وهم الذين يراقبون أنفسهم وهم يمارسون بناء الإنسان والحياة.

عَنْ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ عَنْ سَالِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ﴾، قال: «**السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الْإِمَامُ، والْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ لِلْإِمَامِ، والظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ**»[1].

عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ نِكَاحِ النَّاصِبِ. فَقَالَ: «**لَا والله مَا يَحِلُّ**». قَالَ فُضَيْلٌ: ثُمَّ سَأَلْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى، فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا تَقُولُ فِي نِكَاحِهِمْ؟ قال: «**والْمَرْأَةُ عَارِفَةٌ**»؟ قُلْتُ: عَارِفَةٌ. قال: «**إِنَّ الْعَارِفَةَ لَا تُوضَعُ إِلَّا عِنْدَ عَارِفٍ**»[2].

الفازعة: من الفزع، جاء في معجم مقاييس اللغة: "الفاء والزاء والعين أصلانِ صحيحان، أحدهما الذُّعر، والآخَر الإغاثة.

فأمّا الأوَّل فالفَزَع، يقال فَزِع يَفْزَع فَزَعاً، إذا ذُعِر. وأفزَعْتُه أنا. وهذا مَفْزَعُ القوم، إذا فَزِعوا إليه فيما يَدهَمُهم. فأمّا فَزَّعت [عنه] فمعناه كَشَّفت عنه الفَزَع. قال اللهُ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾. والمَفْزَعة: المكان يلتجئ إليه الفَزِع.

و الأصل الآخر الفَزَع: الإغاثة. قال رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وآله للأنصار: «**إنّكم**

(١) الكافي: ج١، ص٢١٤.

(٢) المصدر نفسه: ج٥، ص٣٥٠.

لتَكْثُرون عند الفَزَع، وتَقِلُّون عند الطَّمَع». يقولون: أفزَعْتُه إذا رَعَبتَه، وأفْزعتُه، إذا أغثتَه. وفَزِعتُ إليه فأفزَعَنى، أى لجَأتُ إليه فَزِعاً فأغاثَنى[1].

والفـزع مـن الله ليـس كأي فزع، فـكل فزع يسـتلزم الابتعـاد عن المُفـزع منه، كما تفـر الظبيـة مـن الأسـد، إلا الفزع مـن الله عزّ وجـل، فإنه يسـتلزم القرب منـه أكثر، بـل الفـزع منـه إليـه جلّ وعـلا، كـما قَـالَ أَمِـيرُ الْمُؤْمِنِـينَ عليه السـلام: «**فَـإِذَا اشْـتَدَّ الْفَـزَعُ فَـإِلَى الله الْمَفْزَعُ**»[2].

وكما عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء السحر، مخاطباً الله: «**وَأَنَا يَاسَيِّدِي عَائِذٌ بِفَضْلِكَ، هَارِبٌ مِنْكَ إِلَيْك**»[3].

فالعارفون بالله تعالى كما أن أفئدتهم وهي إشارة إلى أعماق قلوبهم، تعيش حالة الرجاء في ثواب الله تعالى، فيدفعها نحو المزيد من العمل، فإنها أيضاً تخاف وتفزع من عذابه الشديد، كي تبتعد عن المعاصي والذنوب.

وبمقدار ما هي فازعة من عذاب الله، فهي في الآخرة آمنة لا خوف عليها، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾[4].

فكما أن قلوب المخبتين والهة، وسبل الراغبين شارعة، وأعلام القاصدين واضحة باتجاه الإنجذاب إلى الله تعالى، حيث سهل لها بارئها الطريق لذلك، فإن القلوب التي تعيش نفوراً تاماً عن المحرّمات بسبب آثارها الدنيوية والأخروية، فهي تستشعر

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة فزع.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٤٦٨.

(٣) مصباح المتهجد: ج٢، ص٥٨٤.

(٤) سورة النمل، الآية: ٨٩.

الفزع من أعماق قلبها، تفزع إلى الله تعالى ليؤمنها يوم الفزع الأكبر، وهذا ثناء على الله تعالى، كونه فتح باباً لتفزع إليه قلوب العارفين، وهو عز وجل قد سطر لنا حقيقة قرآنية معبّرة عن إرتباط المعرفة بالخشية من الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1].

فما لم تكن قلوبهم فازعة من الله سيختل ميزانهم، وتسوّل لهم أنفسهم بارتكاب الإثم، فينهدم بنيانهم.

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام، عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً﴾؟ قَالَ: «**أَمَا وَاللهِ إِنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ الْقَبَاطِيِ**[2]**، وَلَكِنْ كَانُوا إِذَا عَرَضَ لَهُمُ الْحَرَامُ لَمْ يَدَعُوهُ**»[3].

وجاء التعبير بالأفئدة في مقام بيان الفزع، وهو أمر يعبّر عن أعلى درجات الإحساس لأنه نابع من الفؤاد، وقد سمّي القلب بالفؤاد، لتفأؤده أي توقّده وحرارته، لذلك قيل إن الفؤاد هو وسط القلب، أو غشاؤه، كدلالة على رقّة الحس الصادر عنه.

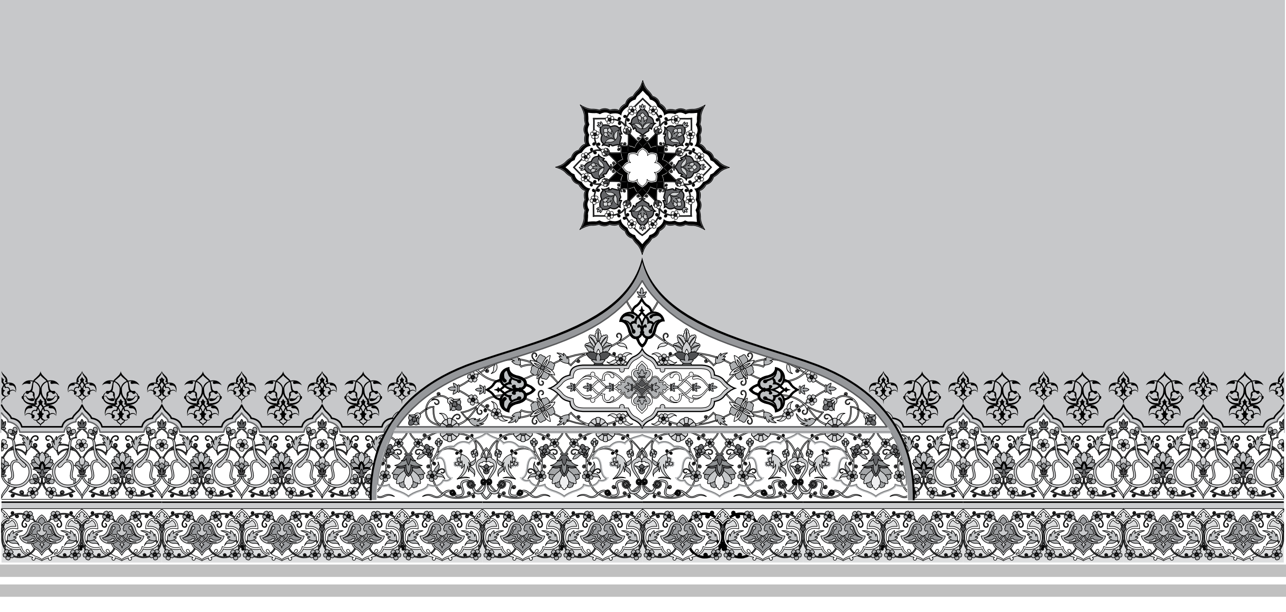
فالزائر هنا يعمّق معنى الإقبال على الله تعالى، بتكامل السير إليه تعالى، فعندما يناجي ربّه بمشهد يعبّر عن أن عمق المعرفة، من شأنه أن يحوّل القلوب إلى مؤشّر حسّاس من الخوف والوجل فتفزع، ولا تفزع منه إلا إليه، فيخلق في نفسه عندئذ الخوف والفزع من الله، لعيش التكامل في سيره إلى الله تعالى.

---

(١) سورة فاطر ٢٨.

(٢) القباطى- بالفتح - الثياب البيض الرقاق المصرية والقبط بالكسر يقال لأهل مصر.

(٣) الكافي، ج٢، ص٨١.



(٥)

وَ أَصْوَاتَ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ صَاعِدَةٌ، وَأَبْوَابَ الْإِجَابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ

المتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء لله الخالص، أصواتهم تصعد إلى الله، كناية عن استجابة دعواتهم وبلوغها مقصدها، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[1]، وانتشار أصوات الداعين في آفاق السماء من الكلم الطيب الذي يحمل خاصية الصعود إلى الله ليتقبّله بقبول حسن.

فقد هيأ الله لعباده الدعاء، وضمن لهم الإجابة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

وعَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَيُّ الْعِبَادَةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَفْضَلَ عِنْدَ الله عَزَّ وجَلَّ مِنْ أَنْ يُسْئَلَ ويُطْلَبَ مِمَّا عِنْدَهُ، ومَا أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَى الله عَزَّ وجَلَّ مِمَّنْ يَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ ولَا يَسْأَلُ مَا عِنْدَهُ**»)[1].

وهذه قاعدة عامة، تحتوي على دعامتين أساسيتين:

الأولى: هي توفّر الشّروط عند الإنسان، ليكون داعياً إلى الله تعالى متوجهاً إليه في طلباته، وهذه الدعامة متحقّقة بأن جعل الله تعالى القابلية في الإنسان ليتوجّه بها إلى أبواب الله، ولولاه سبحانه لما صعد الدعاء إليه.

الثانية: هي أن الله تعالى فتح أبواب رحمته لاستقبال تلك الدعوات من الإنسان بقبول حسن، فإن أبوابه مفتّحة، يستقبلها بإجابتها وتحقيقها، ولترسيخ هذه الدعامة، ستكون الفقرات التالية مفصلة لها.

صعود الأصوات

الصعود كما في معجم مقاييس اللغة: (الصاد والعين والدال أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ارتفاعٍ ومشقّة. من ذلك الصَّعُود خلاف الحَدُور. ويقال صَعِد يَصْعَد. والإصعاد: مقابلة الحَدُور من مكانٍ أرفع). وفي مجمع البحرين وغيره، صعود الكلم الطيب قبوله.

يمكن أن يفهم من صعود الأصوات بحسب اللغة أنها ترتفع إلى الله تعالى، وإرتفاعها إما أن يكون في الجهة المادية من العلو بخلاف الإنحدار إلى الأسف، ولكن

(١) الكافي: ج٢، ص٤٦٦.

هي لا ترتفع باتجاه الله كموضع مكاني، لأن الله عزّ شأنه، تعالى عن أن يحدّه مكان أو يتواجد في مكان بمعناه المادي أو الجهتي، بل يمكن أن يتصوّر أن العلو هو الجهة التي حدّدها الله للطلب وكافة الأرزاق، كما ترفع أكف الداعين إلى السماء.

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ الصَّلَاةِ، فَلْيَرْفَعْ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ولْيَنْصَبْ فِي الدُّعَاءِ**» فَقَالَ ابْنُ سَبَإٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيْسَ الله عَزَّ وجَلَّ بِكُلِّ مَكَانٍ؟ قال: **بَلَى**. قال: فَلِمَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ؟ فَقَالَ: «**أَومَا تَقْرَأُ**: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وما تُوعَدُونَ﴾، **فَمِنْ أَيْنَ يُطْلَبُ الرِّزْقُ إِلَّا مِنْ مَوْضِعِهِ، ومَوْضِعُ الرِّزْقِ ومَا وَعَدَ الله عَزَّ وجَلَّ السَّمَاءُ**»[1].

ويمكن أن يكون الصّعود لجهة معنوية، فمقابل انحدار الإنسان ودنوه ودنو عمله، يصعد للعلي الأعلى جلّت قدرته.

ويمكن أن يكون الصعود بمعنى القبول كما يستفاد من بعض الأخبار التي جاءت في تفسير آية ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وإذا كان الصعود بمعنى القبول فهذا يعني أن هناك مغايرة بين القبول وبين الإجابة، لأنهما جاءا في مقابلة واحدة فالأصوات صاعدة أي مقبولة، ثم الأبواب مفتحة للإجابة، وهذا يستلزم المغايرة، وهي كذلك فعلاً، وتكمن المغايرة في أن القبول هو أعم من الإجابة، فيمكن أن يقبل دعاء الداعي كعمل يثاب عليه في الآخرة، ولكنه لا يحصل على الإجابة، إما أنها تتأخر لوقت بعيد، أو أنها لا تتحقق، ولكن الله تعالى يثيبه على دعائه، لأن الدعاء هو عمل عبادي.

كما عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قَالَ: «**إِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ**: ﴿إِنَّ

(١) من لا يحضره الفقيه: ج١، ص٣٢٥.

الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ ﴾، قال: هُوَ الدُّعَاءُ، وأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاء»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: رَحِمَ الله عَبْداً طَلَبَ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ حَاجَةً فَأَلَحَّ فِي الدُّعَاءِ اسْتُجِيبَ لَهُ أَوْ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ، وتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وأَدْعُوا رَبِّي عَسى أَلَّا أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾**»[2].

هذه الفقرة هي ملخّص لمشهد غاية في السمو، حيث تتجلّى فيه رحمة الله تعالى على خلقه، فهو عز وجل الذي أتاح نعمة الدعاء لعباده، كي يضجّوا إليه بأصواتهم، ليصل ذلك الصوت إلى الله تعالى، فلا يحتاج المرء إلى تكلّف وتعب ولا يحتاج إلى أن يبذل الأموال ليصل إلى الله، فإن صوته هو أداته التي تنقل خلجات نفسه إلى بارئها، فترتفع الكلمات صاعدة في السماء، لتجد أمامها أبواب الإجابة مفتحة لها، لتلجها وتجد ما وعدها ربها حقاً، حيث قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[3].

ما الأصوات؟

والأصوات كما في معناها اللغوي قال في مقاييس اللغة: الصاد و الواو و التاء أصلٌ صحيح، و هو الصَّوت، و هو جنسٌ لكلِّ ما وقَرَ فى أُذُن السَّامع. يقال هذا صوتُ زَيد. و رجل صيِّت. وقال في المجمع: (وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) [١٧/

(١) الكافي: ج٢، ص٤٦٦.

(٢) المصدر نفسه: ج٢، ص٤٧٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

٦٤]، أي بوسوستك، والصَّوْتُ الوسوسة. وفي المصباح المنير: الصَّوْتُ: فِي العُرْفِ جَرْسُ الْكَلَام[١].

وقد ذكر المصطفوي في التحقيق في كلمات القرآن: "الصَّوْتُ هو ارتعاش يحصل لجسم يوجب تموّجا في الهواء المتوسّط بين الجسم و القوّة السامعة، فوجود الصَّوْتِ يتوقّف على تحقّق ارتعاش و حركة مخصوصة في جسم، ثمّ إيجابه اهتزازا و تموّجا في الهواء المجاور لينتقل الصوت و يحسّ به، و إذا فقد واحد من هذين الأمرين لا يوجد صوت في الخارج"[٢].

والذي يبدو لي من معطيات اللغة ومفاد الاستعمال في الروايات، أن الصوت هو أصل الترددات التي تخرج من الشيء، وهي قد تحدث جرساً مسموعاً لعامة الناس بمستويات الاستماع من الانخفاض إلى الارتفاع، وقد تخفى تلك الترددات على عامة الناس، كما هو الحال عند بعض الحيوانات التي تسمع بعضها بعضاً عبر ترددات تخفى على البشر.

هذا بالنسبة للمخلوقين، أما إذا كان المستمع هو الله عز وجل وهو الذي ترتفع إليه الأصوات، فلا فرق لديه من أن تكون أصواتاً مرتفعة أو خفية، كما أنها صاعدة بمختلف اللغات، لأن الله سميع عليم لا كما يسمع المخلوق، ومن ذلك فإن اختلاف اللغات أو ما يخرج من الأبكم من ترددات يطلق عليها صوت.

وما يؤيد ذلك ما ورد عن الرضا عليه السلام: «**وَسُمِّيَ رَبُّنَا سَمِيعاً لَا بِخَرْتٍ فِيهِ يَسْمَعُ بِهِ الصَّوْتَ، وَلَا يُبْصِرُ بِهِ كَمَا أَنَّ خَرْتَنَا الَّذِي بِهِ نَسْمَعُ لَا نَقْوَى بِهِ عَلَى الْبَصَرِ،**

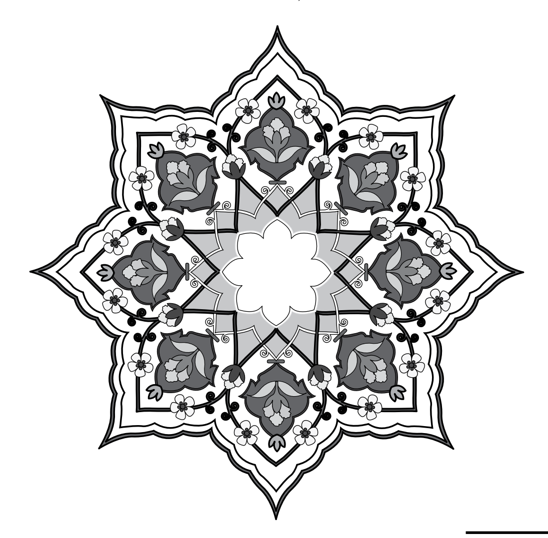
(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، مادة صوت.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن: ج٦، ص٢٩٦، حسن المصطفوي.

وَلكِنَّهُ أَخْبرَ أَنَّهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَصْوَاتِ لَيْسَ عَلَى حَدِّ مَا سُمِّينَا نَحْنُ، فَقَدْ جَمَعَنَا الِاسْمُ بِالسَّمْعِ وَاخْتَلَفَ الْمَعْنَى»[1].

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَمَعَ الله النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَ هُمْ حُفَاةٌ عُرَاةٌ، فَيُوقَفُونَ فِي الْمَحْشَرِ حَتَّى يَعْرَقُوا عَرَقاً شَدِيداً، وَتَشْتَدُّ أَنْفَاسُهُمْ فَيَمْكُثُونَ فِي ذَلِكَ خَمْسِينَ عَاماً، وَهُوَ قَوْلُ الله: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾»**[2].

وفي الدعاء في الصحيفة السجادية: «**الَّذِي عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ فَجَلَّتْ، وَأَدْبَرَتْ أَيَّامُهُ فَوَلَّتْ، حَتَّى إِذَا رَأَى مُدَّةَ الْعَمَلِ قَدِ انْقَضَتْ، وَغَايَةَ الْعُمُرِ قَدِ انْتَهَتْ، وَأَيْقَنَ أَنَّهُ لَا مَحِيصَ لَهُ مِنْكَ، وَلَا مَهْرَبَ لَهُ عَنْكَ، تَلَقَّاكَ بِالْإِنَابَةِ، وَأَخْلَصَ لَكَ التَّوْبَةَ، فَقَامَ إِلَيْكَ بِقَلْبٍ طَاهِرٍ نَقِيٍّ، ثُمَّ دَعَاكَ بِصَوْتٍ حَائِلٍ خَفِيٍّ»**[3].

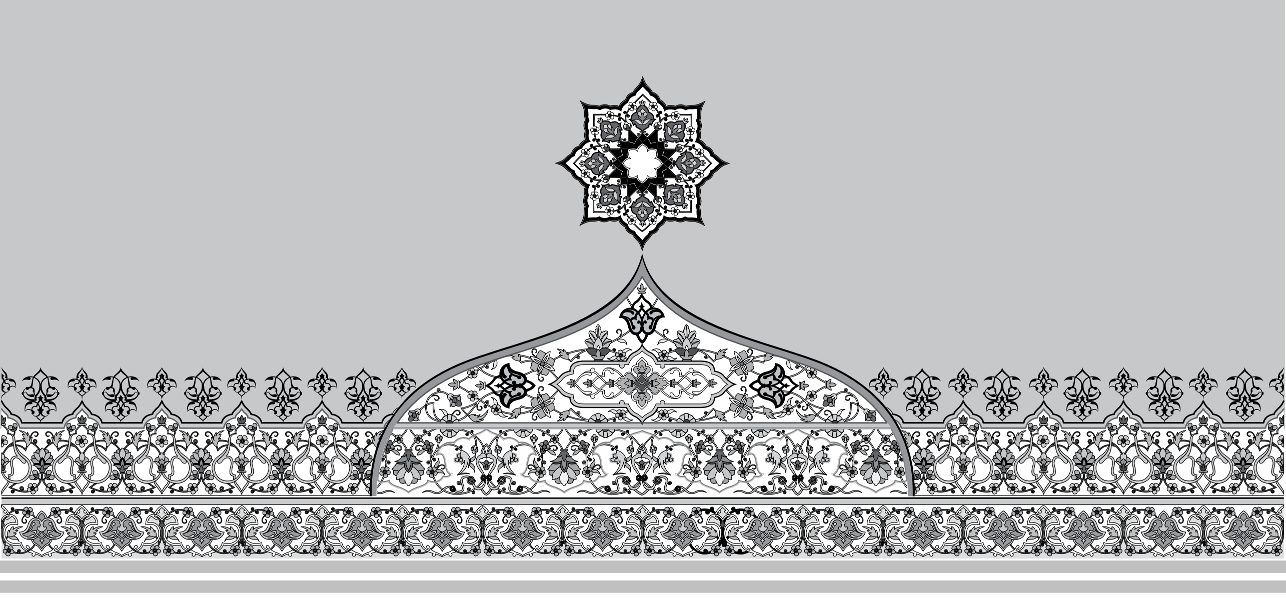


---

(١) الكافي: ج١، ص١٢١.

(٢) تفسير القمي: ج٢، ص ٦٥.

(٣) الصحيفة السجادية، ص ٦٦.



(٦)

وَدَعْوَةَ مَنْ نَاجَاكَ مُسْتَجَابَةٌ

المناجاة كما في اللغة هي الإسرار واختصاص بالكلام لآخر ليميّزه عن غيره، ومنه الحديث الخفي، فالمناجاة تستلزم القرب والأثرة عند المناجاة، فمن اقترب من الله قرّبه الله تعالى إليه، وأصبحت دعوته عند الله مجابة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[١].

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «**الدُّعَاءُ مَفَاتِيحُ النَّجَاحِ وَمَقَالِيدُ الْفَلَاحِ، وَخَيْرُ الدُّعَاءِ مَا صَدَرَ عَنْ صَدْرٍ نَقِيٍّ وَقَلْبٍ تَقِيٍّ، وَفِي الْمُنَاجَاةِ سَبَبُ النَّجَاةِ**»[٢].

---

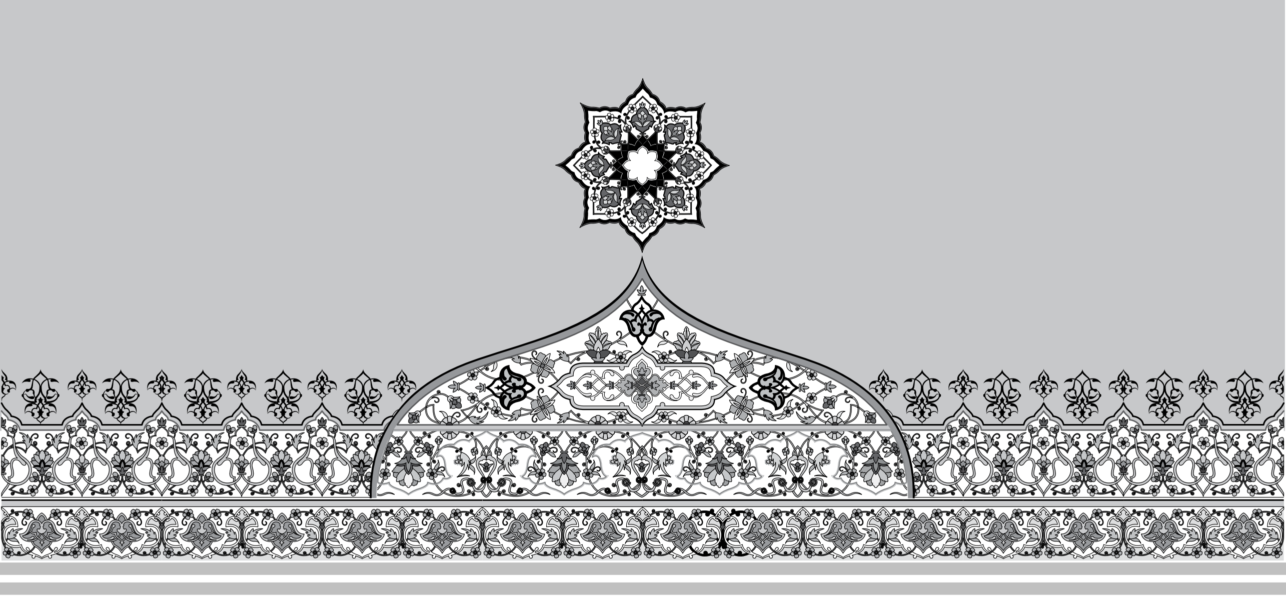
(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) الكافي: ج٢، ص٤٦٨.

فمـن الأبـواب المفتحـة للداعـين، هي تلـك التـي تطرقها مناجـاة العبـد، وتتميّز المناجـاة بأنها نـوع مـن أنـواع الدعـاء الخفـي، الـذي يتضمـن الاختصـاص بالثناء عـلى الله تعـالى بـما هو أهلـه، في حديث بـين الداعي وبـين ربـه، وعند الثنـاء على الله والتمجيـد تسـتجاب الدعوات.

رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «**إِنَّ فِي كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَنَ الْمُسْأَلَةَ بَعْدَ الْمِدْحَةِ. فَإِذَا دَعَوْتَ فَمَجِّدْهُ**». قَالَ قُلْتُ: كَيْفَ نُمَجِّدُهُ؟ قَالَ تَقُولُ: «**يَامَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، يَامَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، يَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، يَامَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**».

فمحصل معنى العبارة أن الدعاء بعد المناجاة هو دعاء مستجاب، لأن من المناجاة تمجيد وثناء، والدعاء بعدها مجاب بحسب ما أفادته الروايات الشريفة، ويمكن أن يكون المعنى أن الدعاء الذي جاء على شكل مناجاة، يقبل عند الله عز وجل، والدعاء في شكل المناجاة يمكن تصوّره على أنحاء، منها أنه دعاء في الخلوة كأن يدعو الداعي ربه في الليل والناس نيام دون أن يطلع عليه أحد، ومنها أن يكون الدعاء خفياً في الثناء على الله، فيطلب بأسلوب غير مباشر كالاستعطاف والإشارة، كمن يقال للكريم (أنت الذي لا يجوع زائرك) ويكتفى بذلك عن الطلب المباشر، فيَفهم الكريمُ تلك الإشارة، فيقوم بإكرامه، وهذا الأسلوب نجده في هذا القسم من الزيارة، وهو القسم الثالث، حيث لم يطلب طلباً مباشرة، بل ذكر ما منّ الله به على عباده من استجابة دعواتهم وقبول مناجاتهم وفتحه أبوابه للعارفين وغير ذلك، وهو بهذا يشير إلى أنه إن دعوت فاستجب لي دعائي، إضافة لذلك كله أنه يتطلّع إلى الوصول إلى تلك المقامات التي منّ الله عليها بما عنده من رحمة وبركات.



(٧)

وَتَوْبَةَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْكَ مَقْبُولَةٌ

التوبة هي الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة إليها، والإنابة هي الرجوع إلى الطاعة، بل هي الرجوع إلى الله تعالى، فتدخل التوبة دائرة القبول كباب من الأبواب المفتحة من الله، إذا كان العبد منيباً إلى الله، متبرئاً من ذنوبه التي اقترفتها يده.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[١].

برغم أن الله تعالى مطّلع على كل ما يفعل الإنسان من جهالة وسوء، وما يقترفه من ذنوب، إلا أنه عز وجل لم يغلق باب التوبة في وجه العاصين المذنبين، وقد ورد في الروايات أن الله يفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه.

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «**إِنَّ الله تَعَالَى أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ وَزَادَهُ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ فَوَجَدَهَا، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ حِينَ وَجَدَهَا**»(1).

وباب التوبة لا يحدّه زمن، فلا يغلق في وجه من أراد أن يدخله، ولو كان قبل نهاية عمره، فما لم يعاين الموت فالتوبة منه مقبولة، أما أولئك الذين استمروا على خطاياهم، وقد عاينوا الموت وتابوا عندها، فهذا دليل على أنهم لم يتوبوا.

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ قَبِلَ الله تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ السَّنَةَ لَكَثِيرَةٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ قَبِلَ الله تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّهْرَ لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِجُمْعَةٍ، قَبِلَ الله تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْجُمْعَةَ لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ قَبِلَ الله تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ يَوْماً لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يُعَايِنَ، قَبِلَ الله تَوْبَتَهُ**»(2).

فحري بالمرء أن يدخل باب التوبة قبل حلول أجله، ليجد أنها مقبولة، وقبولها يعني أن سيئاته تمحى من سجلاته، ويكون كمن لا ذنب له.

وقبول توبة المنيب إلى الله تعالى، هي منهجية تربوية لإصلاح ما فسد من الإنسان، فمهما أسرف على نفسه بارتكاب الآثام، فإن باب التوبة مفتوح، ويمكن أن يظن المرء أن هذا مما يساعد في الإصرار على الخطأ والتمادي فيه، ولكن هذا غير صحيح، فباب التوبة هو دعوة مفتوحة لكل من هو مخطئ، كي يرمم خطأه ويصلح ما أفسده، وكلمة الإنابة تكمل هذا المنهج، لأنها تعني الرجوع إلى الله تعالى والالتزام بطاعته، ليمحو

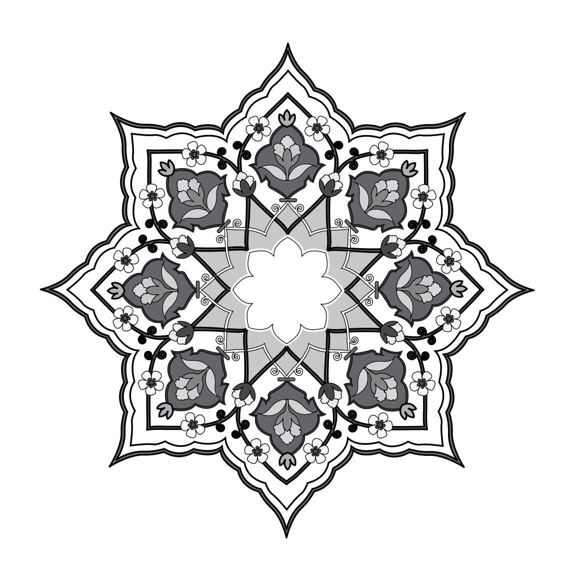
(1) الكافي: ج2، ص435.

(2) المصدر نفسه: ج2، ص440.

ما سلف، فليست أي توبة تحظى بالقبول، إنها توبة من أناب إلى الله، وأخذ بما أمره، وانتهى عن ما نهاه، إنابة طاعة وعمل.

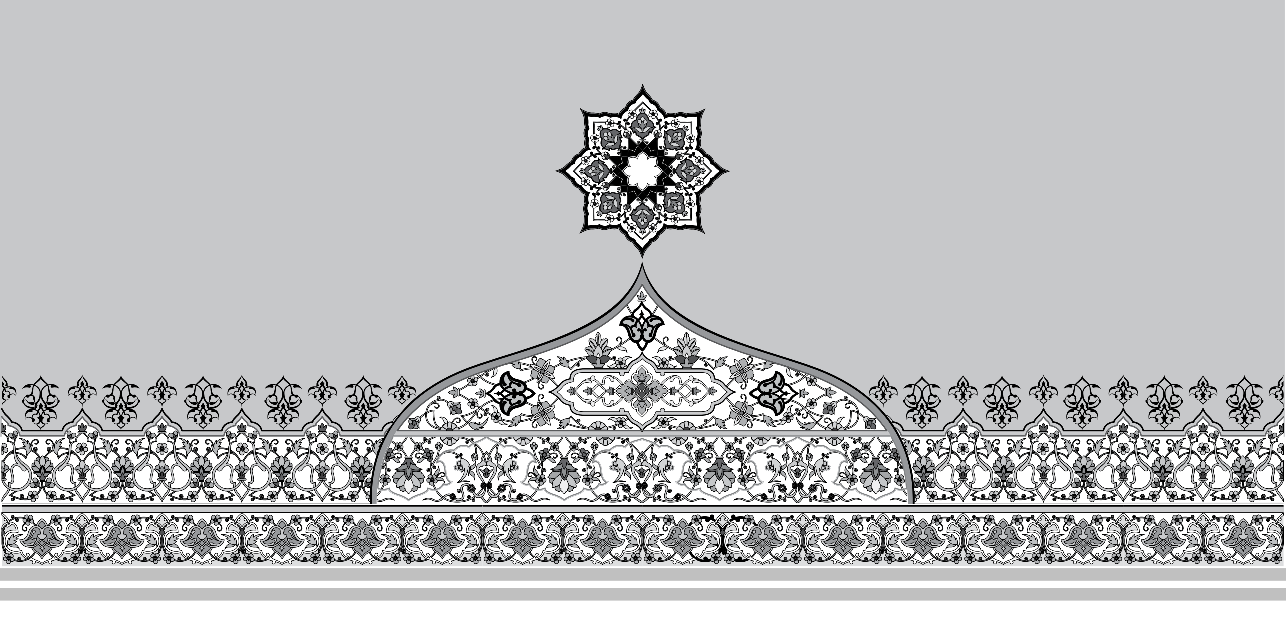
قال تعالى: ﴿**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1].

وقال عز من قال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾[2].



(١) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٧.



(٨)

وَعبْرَةَ مَنْ بَكى مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةٌ

عندما يبكي الباكي خوفاً من الله عزّ شأنه، فقد يكون ذلك خشية من عقابه وخشية أن يمسّه نصب الآخرة وعذابها المرهق الأليم، وهذه العبادة إحدى أنواع العبادة التي سمّيت في لسان الكثير من الروايات أنها عبادة العبيد، لأنهم عبدوا الله خوفاً أو رهبة، وفي الحديث عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ قَالَ: قَالَ الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليه السلام: «**إِنَّ النَّاسَ يَعْبُدُونَ الله عَزَّ وجَلَّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ، فَطَبَقَةٌ يَعْبُدُونَهُ رَغْبَةً فِي ثَوَابِهِ، فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْحُرَصَاءِ وهُوَ الطَّمَعُ، وآخَرُونَ يَعْبُدُونَهُ خَوْفاً مِنَ النَّارِ، فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ وهِيَ رَهْبَةٌ، ولَكِنِّي أَعْبُدُهُ حُبّاً لَهُ عَزَّ وجَلَّ، فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْكِرَامِ وهُوَ الْأَمْنُ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وجَلَ:** ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾، **ولِقَوْلِهِ عَزَّ وجَلَ:** ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، **فَمَنْ أَحَبَّ الله عَزَّ وجَلَّ أَحَبَّهُ الله،**

ومَنْ أَحَبَّهُ الله تَعَالَى كَانَ مِنَ الْآمِنِينَ»[1].

وإن كانت عبادة الكرام أو عبادة الأحرار بحسب روايات أخرى، هي أفضل العبادة، إلا أن عبادة الخوف من النار، هي عبادة منطلقها صحيح، ولهذا فقد خوّف الله عز وجل عباده من النار وأهوالها، وحذّرهم من أن تحرقهم بلهيبها الذي لا يتوقف ولا يخفف على أهل النار، بل تبدل الجلود كلما احترقت، وقد مدح الله عز وجل النبي زكريا وأهله بانهم يسارعون إلى الخيرات، ويدعون الله رغباً ورهباً، أي طمعاً في جنته، وخوفاً من ناره، حيث قال: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[2].

وهذا يعني أن المرء قد يجمع بين كل أنواع العبادة، أي عبادة الخائفين، وعبادة الراجين، وعبادة المحبين، فلا تضاد بينها.

ويمكن أن يقال أن منطوق العبارة في الزيارة جاءت بذكر أن الخوف من الله وليس من ناره (من خوفك)، ولهذا ستندرج هذه العبادة ضمن عبادة الأحرار والمحبين، لأن عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة، منطلقها المعرفة بالله تعالى، وقد عبده لأنه أهل للعبادة، ولهذا قرن الله تعالى بين العلم والخشية من الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[3].

وسواء كان المعنى أن نزول العبرة من خشية الله أو خشية من ناره، فإن العبرة

(١) وسائل الشيعة: ج١، ص٦٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٩-٩٠.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

النازلة جرّاء ذلك الشعور، مشمولة بالرحمة الإلهية.

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وسَيِّدُ الْمُوَحِّدِينَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ: «**مَا عَبَدْتُكَ خَوْفاً مِنْ نَارِكَ ولَا طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ، لَكِنْ وَجَدْتُكَ أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُك، ومَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ الله سِوَى كَوْنِهِ إِلَهاً صَانِعاً لِلْعَالَمِ قَادِراً قَاهِراً عَالِماً، وأَنَّ لَهُ جَنَّةً يُنْعِمُ بِهَا الْمُطِيعِينَ ونَاراً يُعَذِّبُ بِهَا الْعَاصِينَ، فَعَبَدَهُ لِيَفُوزَ بِجَنَّتِهِ أَوْ يَكُونَ لَهُ النَّجَاةُ مِنْ نَارِهِ، أَدْخَلَهُ الله تَعَالَى بِعِبَادَتِهِ وطَاعَتِهِ الْجَنَّةَ، وأَنْجَاهُ مِنَ النَّارِ لَا مَحَالَةَ**»[1].

العبرة المرحومة

إن الله تعالى جعل الجوارح تحكي حال الإنسان، بل أعطاه في جسده علامات على صدق عمله ونيته، فمن يخشى الله عزّ وجل، ويتوجّه إليه طلباً للرحمة، بحاجة إلى علامة لمعرفة أن الرحمة الإلهية تتنزل عليه وتشمله، والدموع هي العلامة، لذلك توجّهت الرحمة لتلك العبرة باعتبارها حاكية عن حال الحزن والتأثر القلبي للداعي، فإن الله تعالى يتلطّف به ويشمله برحمته.

والعبرة هي الدمعة، وهي (مرحومة) ليست كالرحمة الرحمانية الشاملة لكل المخلوقات، فكما هو ثابت أن رحمة الله وسعت كل شيء. إن العبرة مرحومة بمعنى أن الإنسان الذي جرت دموعه من خشية الله، مرحوم بسبب دمعته تلك، وهو مرحوم بالرحمة الرحيمية الخاصة بالمؤمنين، فنسيم هذه الرحمة إذا هبّ على العبد فسيكون في مأمن من كل سوء في حياته، بل وفي أهم حياة خلق من أجلها، وهي الآخرة، فهناك يحتاج المرء إلى رحمة الله لتنتشله من كل هم وخوف، وذلك امتياز لا يحصل عليه كل

(١) بحار الأنوار: ج٦٧، ١٨٦.

أحد، وممن يحصل عليه هو الباكون من خشية الله.

فباب الدمعة خشية من الله، هو باب مفتوح لمن تطلّع إلى الرحمة الرحيمية الخاصة بالمؤمنين.

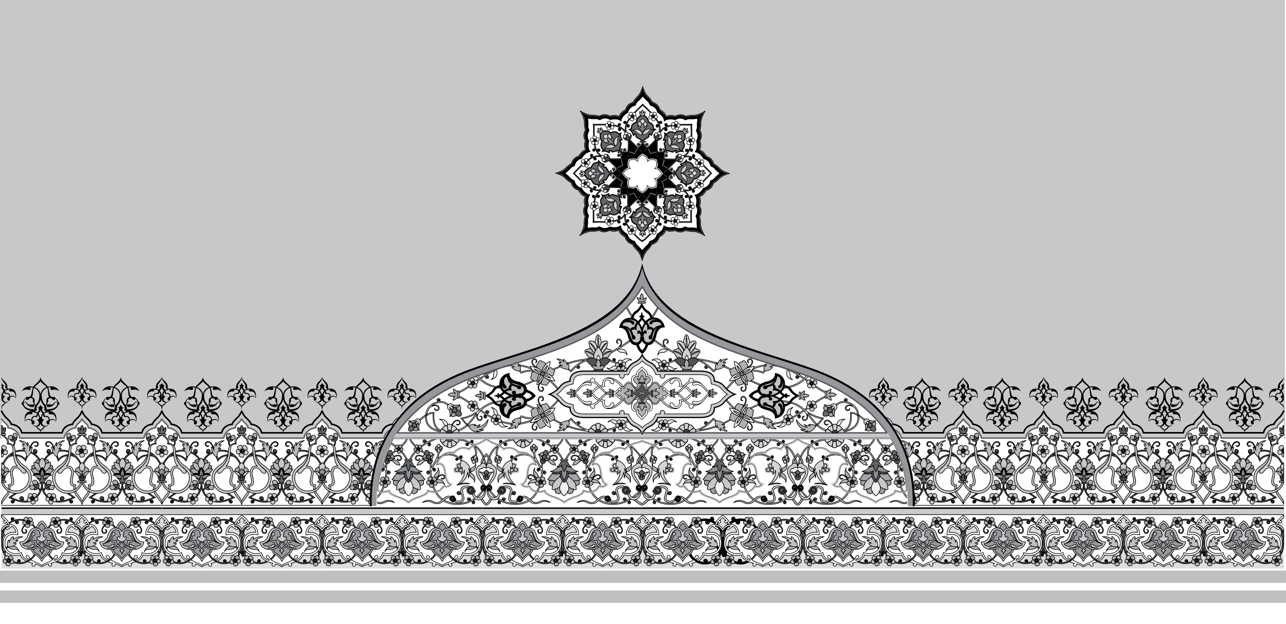
عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**مَا مِنْ عَيْنٍ إِلَّا وَهِيَ بَاكِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا عَيْناً بَكَتْ مِنْ خَوْفِ اللهِ، وَمَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنٌ بِمَائِهَا مِنْ خَشْيَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا حَرَّمَ الله عَزَّ وَجَلَّ سَائِرَ جَسَدِهِ عَلَى النَّارِ، وَلَا فَاضَتْ عَلَى خَدِّهِ فَرَهِقَ ذَلِكَ الْوَجْهَ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلَهُ كَيْلٌ وَوَزْنٌ، إِلَّا الدَّمْعَةُ، فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُطْفِئُ بِالْيَسِيرِ مِنْهَا الْبِحَارَ مِنَ النَّارِ، فَلَوْ أَنَّ عَبْداً بَكَى فِي أُمَّةٍ، لَرَحِمَ الله عَزَّ وَجَلَّ تِلْكَ الْأُمَّةَ بِبُكَاءِ ذَلِكَ الْعَبْدِ**»[1].

وعنه عليه السلام قَالَ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا ولَهُ كَيْلٌ ووَزْنٌ، إِلَّا الدُّمُوعُ، فَإِنَّ الْقَطْرَةَ تُطْفِئُ بِحَاراً مِنْ نَارٍ، فَإِذَا اغْرَوْرَقَتِ الْعَيْنُ بِمَائِهَا لَمْ يَرْهَقْ وَجْهاً قَتَرٌ ولَا ذِلَّةٌ، فَإِذَا فَاضَتْ حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ ولَوْ أَنَّ بَاكِياً بَكَى فِي أُمَّةٍ لَرُحِمُوا**»[2].

---

(١) الكافي: ج٢، ص٤٨٢.

(٢) المصدر نفسه.



(٩)

وَالْإِعَانَةَ لِمَنِ اسْتَعَانَ بِكَ مَوْجُودَةٌ

العَوْنُ: في لسان العرب: الظَّهير على الأَمر، الواحد والاثنان والجمع والمؤنث فيه سواء، وتقول: أَعَنْتُه إعانة واسْتَعَنْتُه واستَعَنْتُ به فأَعانَني.

من الأبواب المفتحة عند الله تعالى، أن باب الاستعانة مفتوح، فمن يستعين بالله تعالى يعان، والإعانة موجودة أي أنه يظفر بمطلوبه ويجده.

ولا شك أن الإنسان أضعف من أن يؤدي ما عليه من واجبات، أو ينجز ما يرومه من أهداف بنفسه ودون الحاجة إلى الإعانة من خالقه، فإن القوة لله جميعاً، فهو محتاج ومفتقر في كل شؤونه إلى الله، لذا يتوجّه بطلب الإعانة من خالقه.

عن النبي صلى الله عليه وآله: «**فَإِذَا قَالَ – العبد –:** ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، **قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: بِيَ اسْتَعَانَ وَالْتَجَأَ، أُشْهِدُكُمْ لَأُعِينَنَّهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَأُغِيثَنَّهُ فِي شَدَائِدِهِ، وَلَآخُذَنَّ بِيَدِهِ يَوْمَ نَوَائِبِهِ**»(١).

إذا كانت الإعانة من الله تعالى من الأبواب المفتحة للولوج إلى رحمة الله تعالى، فهذا يعني أن على الإنسان المؤمن أن يستشعر الحاجة الفعلية إلى خالقه، كما عليه أن يعي تماماً أن الله تعالى على كل شيء قدير، ومن جهة أخرى عليه أن يستشعر في نفسه الافتقار إلى خالقه، فمتى ما استشعر الحاجة ووعى افتقاره إلى الله حقيقة، فإنه سيجد الإعانة في شؤونه موجودة حاضرة أمامه.

ويمكن تصوّر الإعانة في كافة الأعمال، وبمختلف الأساليب، فالإعانة من الله تعالى إما عبر التوفيق والتيسير للأمور، أو أن يهبه الله قوة أو مالاً أو عزيمة، أو يعينه بمن يعينه من أهل وأصدقاء وغير ذلك، فكل هذه الأشكال هي إعانة من الله، سواء أعانه مباشرة أو أنه وفّر له من يعينه على أموره، ونجد بعض هذه المعاني في دعاء الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية، حيث يدعو الله أن يعينه بولده على حاجته، ثم يدعو أن يعينه الله على تربيتهم، ثم الدعاء بأن يعينوه على سؤال الله تعالى.

فقد جاء في دعائه عليه السلام: «**اللَّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدِي، وأَقِمْ بِهِمْ أَوَدِي، وكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدِي، وزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَرِي، وأَحْيِ بِهِمْ ذِكْرِي، واكْفِنِي بِهِمْ فِي غَيْبَتِي، وأَعِنِّي بِهِمْ عَلَى حَاجَتِي، واجْعَلْهُمْ لِي مُحِبِّينَ، وعَلَيَّ حَدِبِينَ مُقْبِلِينَ مُسْتَقِيمِينَ لِي، مُطِيعِينَ، غَيْرَ**

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص١٧٥.

عَاصِينَ ولَا عَاقِّينَ ولَا مُخَالِفِينَ ولَا خَاطِئِينَ. وأَعِنِّي عَلَى تَرْبِيَتِهِمْ وتَأْدِيبِهِمْ، وبِرِّهِمْ، وهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلَاداً ذُكُوراً، واجْعَلْ ذَلِكَ خَيْراً لِي، واجْعَلْهُمْ لِي عَوْناً عَلَى مَا سَأَلْتُكَ»[1].

ومن دعاء الإمام السجاد في يوم عرفة بهذا المعنى: «**وأَيِّدْنِي بِتَوْفِيقِكَ وتَسْدِيدِكَ، وأَعِنِّي عَلَى صَالِحِ النِّيَّةِ، ومَرْضِيِّ الْقَوْلِ، ومُسْتَحْسَنِ الْعَمَلِ**».

وعندما يدعو بدعاء الرزق أو يسعى لتحصيله، فلأن المال خير معين على التقوى، فعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، قال: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى تَقْوَى الله الْغِنَى**»[2].

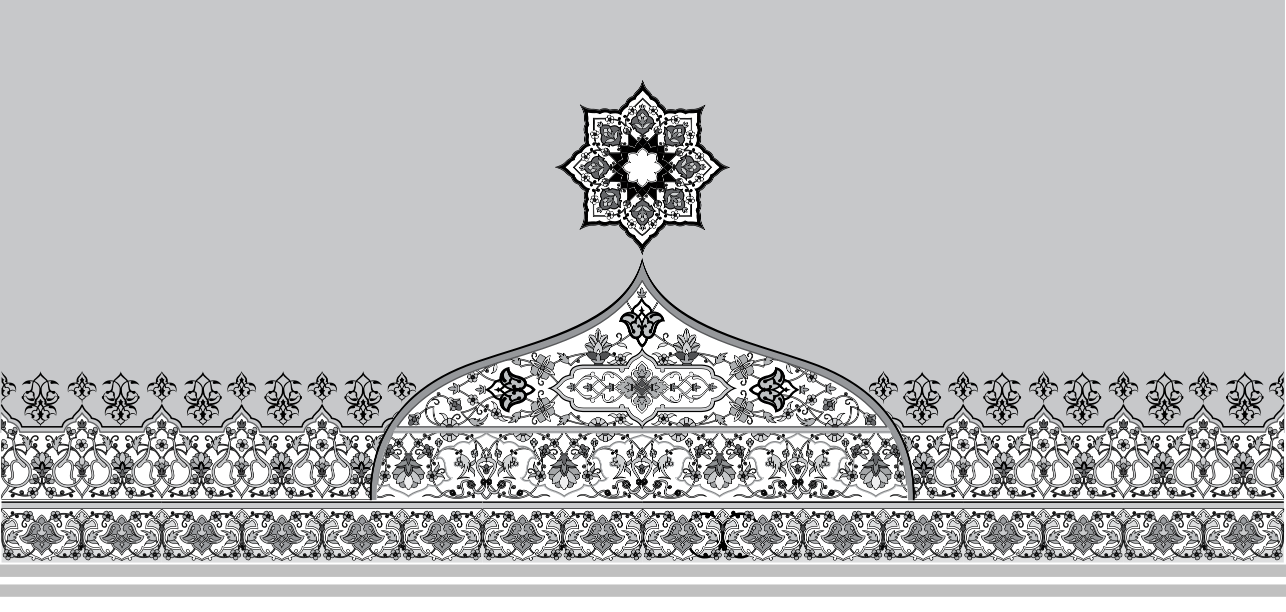
والإمام زين العابدين عندما ذكر خمسين حقاً على الإنسان أن يراعيها في دنياه، ابتداء من حقوق نفسه وأعضائه، وعبادته، وأهله، والمحيطين حوله، وحتى حقوق أهل الملة وأهل الذمة، فإنه يذكر في نهاية المطاف ضرورة الإستعانة على كل ذلك بالله تعالى، إذ قال عليه السلام: «**فَهَذِهِ خَمْسُونَ حَقّاً مُحِيطاً بِكَ، لَا تَخْرُجْ مِنْهَا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، يَجِبُ عَلَيْكَ رِعَايَتُهَا والْعَمَلُ فِي تَأْدِيَتِهَا، والِاسْتِعَانَةُ بِالله جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى ذَلِك**»[3].

---

(١) الصحيفة السجادية: دعاء رقم ٢٥.

(٢) الكافي: ج٥، ص٧١.

(٣) تحف العقول عن آل الرسول: ص٢٧١.



(١٠)

وَالْإِغَاثَةَ لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِكَ مَبْذُولَةٌ

الإغاثـة هـي النصرة عند الشـدّة، والاسـتغاثة طلبهـا، وهي أعلى من الاسـتعانة، لمـا يستشـعر السـائل من شـدّة مـا ألمّ به، فهو كمن يوشـك عـلى الغـرق في بحر لجي، فيجـأر إلى الله بالاسـتغاثة، لذلـك في دعـاء مـكارم الأخـلاق للإمـام زيـن العابدين عليـه السـلام يقـول: «**وَبِـكَ اسْـتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْـتُ**»[1]، أي إننـي اسـتغيث بـالله إن حلّـت بي الكارثـة التي تشـقيني.

والمستغيث لا يجد غير الله قادراً على الأخذ بيده وإنقاذه، لذلك فإن الإغاثة من الله مبذولة له، وبذلها أي لا يمنعها الله تعالى عنه، ولعل التعبير ببذلها لأن المستغيث عندما

(١) الصحيفة السجادية: دعاء مكارم الأخلاق.

يصل إلى حد الحرج في وضعه، يدور في خلده أن لا أحد يغيثه، ولكي لا تأخذه الهواجس السلبية بأن يُمنع الإغاثة، جاء التعبير بأنها مبذولة لك ما دمت مستغيثاً بالله حقاً.

وموضوعات الاستغاثة كثيرة، ومنها الشؤون المعنوية التي تحتاج إلى مجاهدة النفس، فعندما يغرق الإنسان في بحر ذنوبه، وتجرّه أمواج الفتن والأهواء لطاعة الأعداء، عندها يأمل أن تنتشله يد الرحمة يوم القيامة وهو أهم موقف يحتاج فيه المرء إلى الإغاثة، لقد جاء في دعاء الغريق هذه المعاني: «**يَا مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ حَتَّى مَتَى وإِلَى مَتَى أَقُولُ لَكَ الْعُتْبَى مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، ثُمَّ لَا تَجِدُ عِنْدِي صِدْقاً ولَا وَفَاءً، فَيَا غَوْثَاهُ ثُمَّ وَا غَوْثَاهُ بِكَ يَا الله مِنْ هَوًى قَدْ غَلَبَنِي، ومِنْ عَدُوٍّ قَدِ اسْتَكْلَبَ عَلَيَّ، ومِنْ دُنْيَا قَدْ تَزَيَّنَتْ لِي، ومِنْ نَفْسٍ أَمَّارَةٍ بِالسُّوءِ إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّي، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ، إِنْ كُنْتَ رَحِمْتَ مِثْلِي فَارْحَمْنِي، وإِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ مِثْلِي فَاقْبَلْنِي، يَا قَابِلَ السَّحَرَةِ اقْبَلْنِي، يَا مَنْ لَمْ أَزَلْ أَتَعَرَّفُ مِنْهُ الْحُسْنَى يَا مَنْ يُغَذِّينِي بِالنِّعَمِ صَبَاحاً ومَسَاءً، ارْحَمْنِي يَوْمَ آتِيكَ فَرْداً شَاخِصاً إِلَيْكَ بَصَرِي، مُقَلَّداً عَمَلِي، قَدْ تَبَرَّأَ جَمِيعُ الْخَلْقِ مِنِّي نَعَمْ وأَبِي وأُمِّي، ومَنْ كَانَ لَهُ كَدِّي وسَعْيِي، فَإِنْ لَمْ تَرْحَمْنِي فَمَنْ يَرْحَمُنِي، ومَنْ يُونِسُ فِي الْقَبْرِ وَحْشَتِي، ومَنْ يُنْطِقُ لِسَانِي إِذَا خَلَوْتُ بِعَمَلِي وسَاءَلْتَنِي عَمَّا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ قُلْتُ نَعَمْ، فَأَيْنَ الْمَهْرَبُ مِنْ عَدْلِكَ، وإِنْ قُلْتُ لَمْ أَفْعَلْ، قُلْتَ: أَلَمْ أَكُنِ الشَّاهِدَ عَلَيْكَ، فَعَفْوَكَ عَفْوَكَ يَا مَوْلَايَ قَبْلَ سَرَابِيلِ الْقَطِرَانِ، عَفْوَكَ عَفْوَكَ يَا مَوْلَايَ قَبْلَ أَنْ تُغَلَّ الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وخَيْرَ الْغَافِرِين**»[(١)].

وقد جعل الله تعالى أبواب البذل بالإغاثة عديدة، فتوجّه القلب إلى الله تعالى بإخلاص، واتباع السبل التي عبّدها الله للمستغيثين به، كالأذكار والأدعية

(١) مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: ج١، ص١٦٣.

الـواردة عـن أهـل البيـت عليهم السـلام، وكأسـماء الله الحسـنى التي أمـر أن يدعوه بهـا، حيث قال: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[1]، ومن أسـمائه التي يسـتغاث بهـا تـأوه الرجل وقولـه (آه).

عن جعفر بن يحيى الخزاعي عن أبيه، قال: دخلت مع أبي عبد الله عليه السلام على بعض مواليه يعوده، فرأيت الرجل يكثر من قول آه، فقلت: يا أخي، اذكر ربك واستغث به، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**إِنَّ آهِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله عَزَّ وجَلَ، فَمَنْ قَالَ آهِ، فَقَدِ اسْتَغَاثَ بِاللهِّ تَبَارَكَ وتَعَالَى**»[2].

ومن أبواب الإغاثة الصلوات المخصوصة، والتوسلات الخاصة بالاستغاثة، كلها سبل لبذل الاستغاثة من الله، وإن من أوسع أبواب الإغاثة هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وقد ورد العديد من الاستغاثات بهم، كونها استغاثات بالله عز وجل، لأن أهل البيت عليهم السلام هم مظهر الرحمة الإلهية، فالاستمساك بعروتهم منجاة من الظلمات والجهالات، ومنجاة من بلاءات الدنيا ومصاعبها.

عَـنْ أَبِي عَبْـدِ الله عليه السـلام، قَـالَ: «**إِذَا كَانَتْ لِأَحَدِكُـمُ اسْـتِغَاثَةٌ إِلَى الله تَعَالَى، فَلْيُصَـلِ رَكْعَتَـيْنِ، ثُـمَّ يَسْـجُدُ وَيَقُولُ: يَـا مُحَمَّدُ يَارَسُـولَ اللهَّ، يَاعَـلِيُّ يَاسَـيِّدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُؤْمِنَـاتِ، بِكُـمَا أَسْـتَغِيثُ إِلَى الله تَعَالَى، يَامُحَمَّدُ يَاعَلِيُّ، أَسْـتَغِيثُ بِكُـمَا، يَاغَوْثَاهْ بِاللهَّ، وَبِمُحَمَّـدٍ وَعَـلِيٍّ وَفَاطِمَـةَ، وَ(تَعُـدُّ الْأَئِمَّةَ)، بِكُـمْ أَتَوَسَّـلُ إِلَى الله تَعَالَى، فَإِنَّـكَ تُغَاثُ مِـنْ سَـاعَتِكَ إِنْ شَـاءَ الله تَعَالَى**»[3].

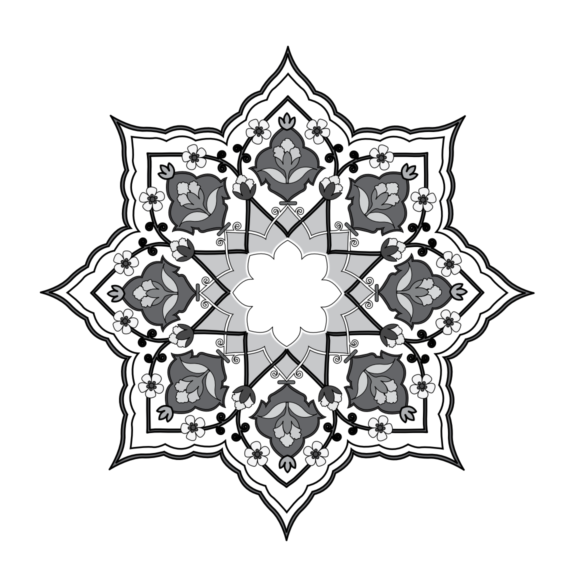
---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

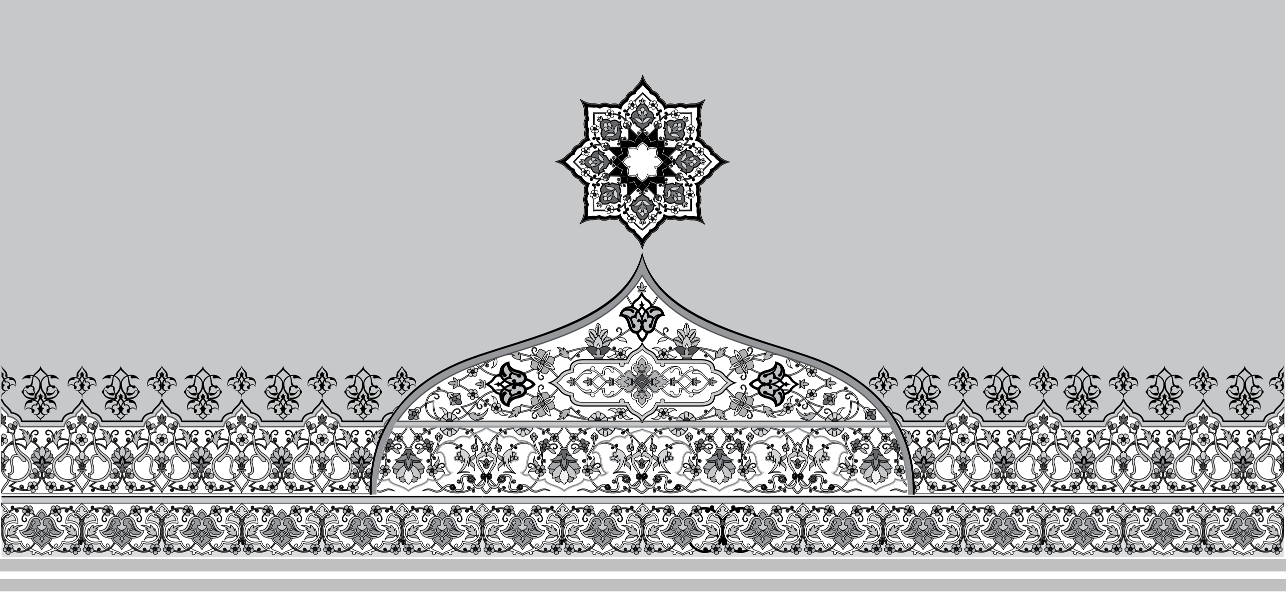
(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٢٢٢.

(٣) مكارم الأخلاق: ص٣٢٩.

ومما جاء الإستغاثة بالإمام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف، والإستغاثة بالزهراء عليها السلام، فقد ورد عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ إِلَى الله وضِقْتَ بِهَا ذَرْعاً فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ فَإِذَا سَلَّمْتَ كَبِّرِ الله ثَلَاثاً وسَبِّحْ تَسْبِيحَ فَاطِمَةَ عليها السلام ثُمَّ اسْجُدْ وقُلْ مِائَةَ مَرَّةٍ يَا مَوْلَاتِي فَاطِمَةُ أَغِيثِينِي ثُمَّ ضَعْ خَدَّكَ الْأَيْمَنَ عَلَى الْأَرْضِ وقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ عُدْ إِلَى السُّجُودِ وقُلْ ذَلِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ وعَشْرَ مَرَّاتٍ واذْكُرْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ الله يَقْضِيهَا**»[1].



(١) بحار الأنوار: ج٩١، ص٣١.



(١١)

وَعِدَاتِكَ لِعِبَادِكَ مُنْجَزَةٌ

العِدة هي الموعد والوعد، ويمكن أن يكون شراً أو خيراً، ولكن وعد الله لا يكون إلا خيراً، وفي سياق العبارة يتحدّد المقصود منها، وهي أن الوعود هي لعباد الله تعالى، بل أن سياق فقرات الدعاء هذه، جميعها تصب في مجرى الثناء بأن لله تعالى أبواب رحمة لعباده، فالعِدات هي ما وعدهم به من ثواب في الآخرة، وما وعدهم به من آثار دنيوية في صالحهم نتيجة أعمالهم، فهي كلها منجزة، أي موفى بها، وهو دليل تحققها.

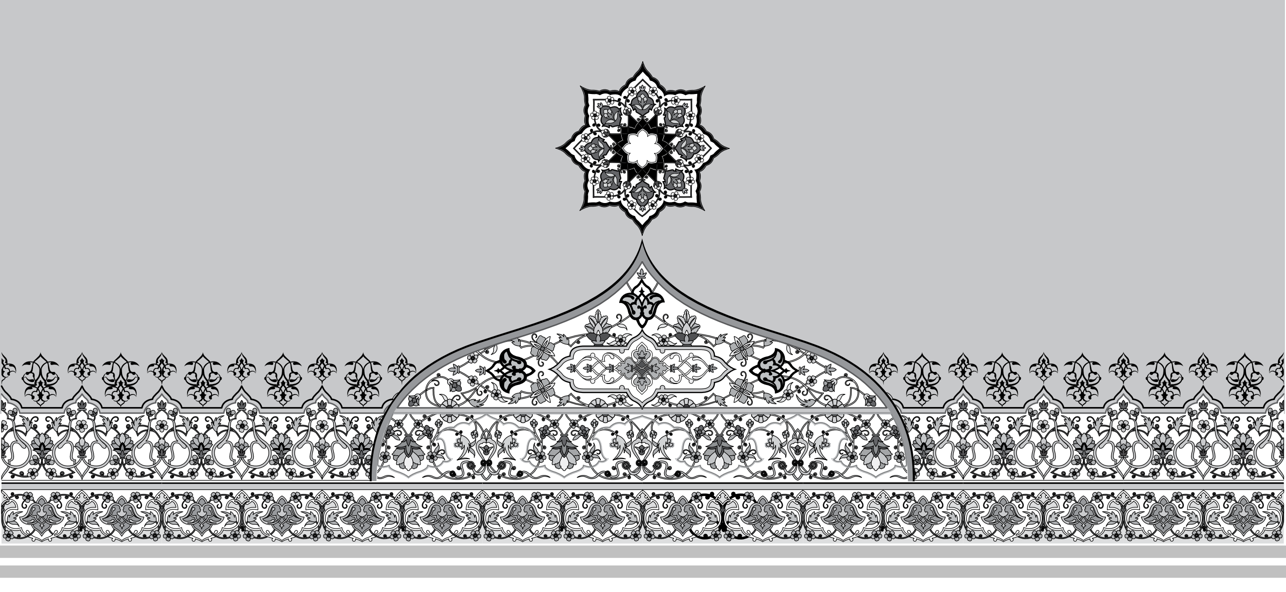
قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾[1].

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٠.

ومن العدات أن الله تعالى يفتح أبواب الرزق للمتقين، وأنهم إذا سألوه استجاب لهم، وإذا توسّلوا بأهل بيت نبيه حقّق آمالهم، وأنهم إن صبروا أعطاهم، وإن شكروا زادهم من فضله، وإن اتبعوا الهدى زادهم هدى، وإن جاهدوا أورثهم عزاً وهداهم لسبيل الرشاد، وغير ذلك الكثير مما هو مبسوط في كتابه العزيز، وما ذكرته السنة المطهّرة للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

إن من الوعود التي وعدها الله تعالى ماهي لعباده أي لمصلحة عبادة ولهم لا عليهم، فهذه هي الوعود المنجزة لا محالة، فهي مثل أن يعد الله تعالى عبده بثواب إن عمل عملاً ما، فإنه يوفيه له، سواء في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً، وهذه الوعود هي موضوع الزيارة، لأنها جاءت في سياق ذكر ما تفضّل به الله تعالى على عباده من أبواب رحمانية تفتح لهم، ليلجوا فيها. أما الوعود التي هي نتيجة أعمال السوء للعبد، كأن يستوجب العقاب والمؤاخذة، فإن هذه الوعود ليست بالضرورة منجزة، فهي لله تعالى يختار ما يقدّمه للعبد، إن شاء أنجزها وعاقبه، وإن شاء محاها عنه، وهذا المعنى نجده فيما ذكره الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: **«قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: مَنْ وَعَدَهُ الله عَلَى عَمَلٍ ثَوَاباً، فَهُوَ مُنْجِزُهُ لَهُ، ومَنْ أَوْعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَاباً، فَهُوَ فِيهِ بِالْخِيَارِ»**[1].

(١) توحيد، الشيخ الصدوق: ص٤٠٦.



(١٢)

وَزَلَل مَنِ اسْتَقَالَكَ مُقَالَةٌ

الزلل هو الانزلاق عن ما كان عليه من هدى وصواب، فالمؤمن في طريقه الإيماني يلقى الكثير من التحديات والإغراءات التي تجرّه نحو الانزلاق عن الجادة، وقد توعّد الشيطان أنه سوف يغري ويسوس لأهل الإيمان في طريق إيمانهم، كي ينحرفوا عنه، في قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[١].

ولكن المؤمن إن زلّت قدماه، فإن ذلك ليس نهاية الطريق، فمازال الباب مفتوحاً عند الله تعالى عن طريق إقالة الزلات.

---

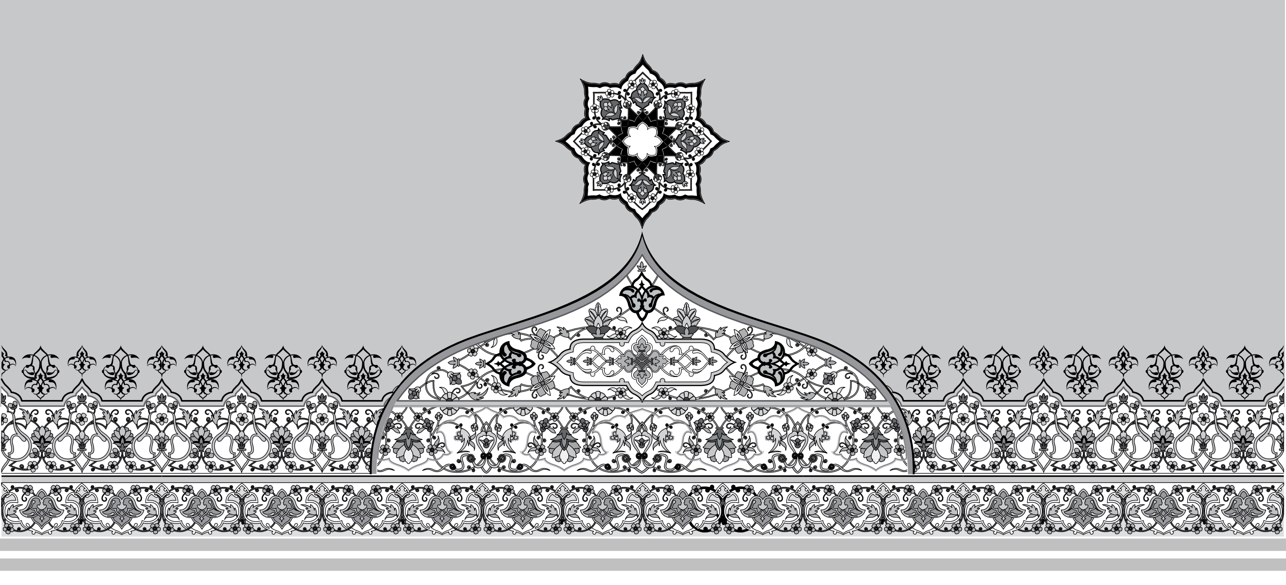
(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦-١٧.

والاستقالة هي طلب الإقالة، وهي في البيع أن يطلب من البائع أن يرد البضاعة عليه ويرفع العقد بينهما، وهي أمام الله تعالى، التجاوز عن الذنب، ولكن بحيث لا يترتب عليه أي أثر، لأن للذنوب آثاراً دنيوية وأخروية، وهو بهذا الطلب، يتوجّه إلى خالقه بأن يوقف أثر الذنب الذي أذنبه.

فالاستقالة باب من الرحمة، فتحه الله تعالى لمن زلّت قدماه وخالف أمر مولاه، لذلك فمن يتوجّه لله بالاستقالة، فإن الله تعالى يقيل عثرته، فلا يعتقد أن ما وعد الله به سيفوته بمجرد مخالفته، فلقد وضع الله له باباً آخر يمكنه أن يتابع التقدّم في التوجه إلى الله واستنزال رحمته وتحقيق الآمال من لدنه، وهو باب الإقالة.

ومن دعاء للإمام السجاد عليه السلام الصحيفة السجادية، حول الاستقالة، جاء فيه تذكير بالزلات التي أقالها الله تعالى: «**يَا إِلَهِي، فَلَكَ الْحَمْدُ فَكَمْ مِنْ عَائِبَةٍ سَتَرْتَهَا عَلَيَّ فَلَمْ تَفْضَحْنِي، وكَمْ مِنْ ذَنْبٍ غَطَّيْتَهُ عَلَيَّ فَلَمْ تَشْهَرْنِي، وكَمْ مِنْ شَائِبَةٍ أَلْمَمْتُ بِهَا فَلَمْ تَهْتِكْ عَنِّي سِتْرَهَا، ولَمْ تُقَلِّدْنِي مَكْرُوهَ شَنَارِهَا، ولَمْ تُبْدِ سَوْءَاتِهَا لِمَنْ يَلْتَمِسُ مَعَايِبِي مِنْ جِيرَتِي، وحَسَدَةِ نِعْمَتِكَ عِنْدِي. ثُمَّ لَمْ يَنْهَنِي ذَلِكَ عَنْ أَنْ جَرَيْتُ إِلَى سُوءِ مَا عَهِدْتَ مِنِّي**»[1].

(١) الصحيفة السجادية: دعاء رقم (١٦) في الإقالة.



(١٣)

وَ أَعْمَالَ الْعَامِلِينَ لَدَيْكَ مَحْفُوظَةٌ

نقيض الحفظ الإضاعة، لذا فإن كل عمل من العاملين لدى الله وفي مقرراته لعباده، وهم الذين يعملون لله تعالى كجنود، هي محفوظة، وإذا كانت محفوظة فهذا يعني أن أجرها غير ضائع على العبد، فكل ما يقوم به سواء كان صغيراً أو كبيراً، وكل ما يصيبه في جنب الله مهما عظم، فهو بعين الله تعالى، سيجزيه به خير الجزاء.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١].

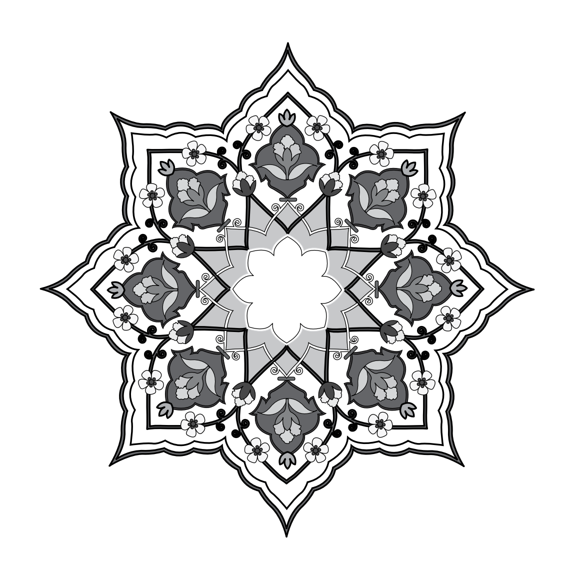
(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

ومن دلالة حفظ الأعمال أنها تبقى، تبقى بآثارها في الدنيا، فمن عمل بها عادت عليه حسناتها ولو كان بعد الموت.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله سَنَّ سُنَّةَ هُدًى، كَانَ لَهُ أَجْرُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**»(1).

أو تبقى الأعمال ليرى حصيلتها في الآخرة، كما أن الله جعل كلماته في كتاب محفوظ، فقد جعل في الآخرة كتاباً جمع بين دفتيه أعمال العباد لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وقد قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(2).

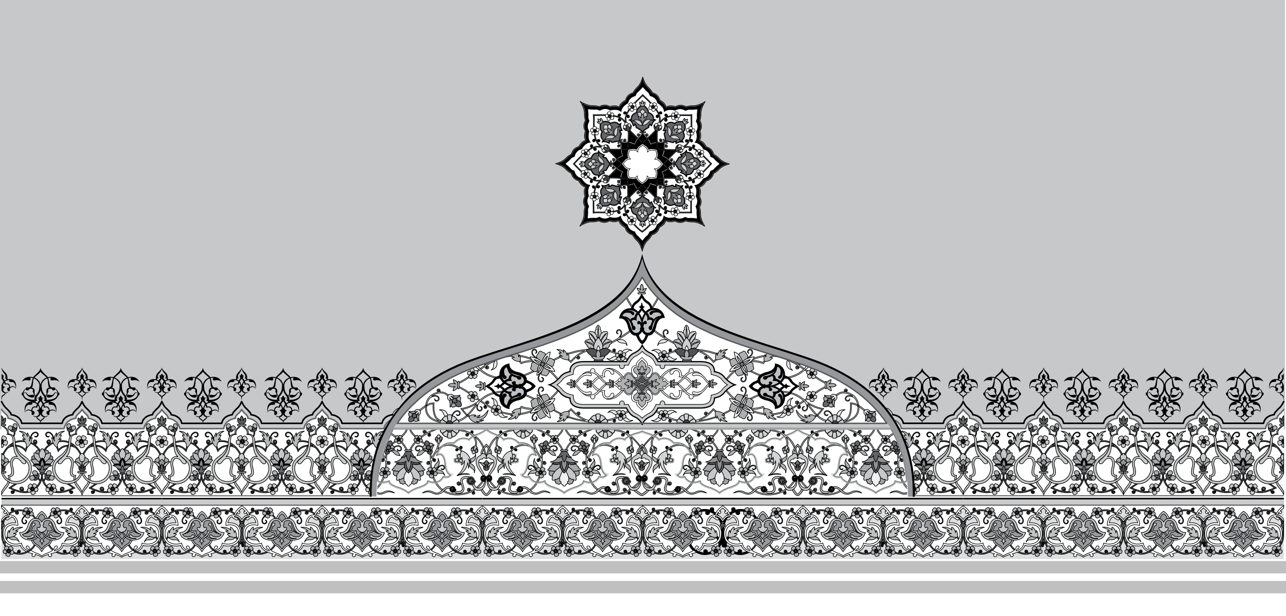
وقال تعالى: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(3).



(1) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص١٣٢.

(2) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(3) سورة سبأ، الآية: ١١.



(١٤)

وَأَرْزَاقَكَ إِلَى الْخَلَائِقِ مِنْ لَدُنْكَ نَازِلَةٌ، وَعَوائِدَ الْمَزِيدِ لَهُمْ مُتَواتِرَةٌ

إن الله تعالى هو الرزاق لكل خلقه، فلا يخلق خلقاً إلا ورزقه مضمون مقدّر له، (من لدنه نازلة) لا من غيره حتى لو كان سبباً من أسبابه، والخلائق هم خلق الله، وهم الخليقة بأجمعها، من الأنس والجن والحيوان وسائر الكائنات، ما نعلمها وما لا نعلمها.

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾[(١)].

وقال عزّ وجل: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[(٢)].

(١) سورة هود، الآية: ٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**مِنْ صِحَّةِ يَقِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، ولَا يَلُومَهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ، فَإِنَّ الرِّزْقَ لَا يَسُوقُهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، ولَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ، ولَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الله بِعَدْلِهِ وقِسْطِهِ جَعَلَ الرَّوْحَ والرَّاحَةَ فِي الْيَقِينِ والرِّضَا، وجَعَلَ الْهَمَّ والْحَزَنَ فِي الشَّكِّ والسَّخَطِ**»[1].

وتعبير (من لدنك نازلة) أي نازلة من فوق إلى أسفل، ونزولها من السماء، وهي موضع الرزق وليس موضع الرب، جل وعلا عن أن يكون له مكان يحدّه، وحيث أن الله جعل السماء موضوع الرزق، فلذلك هي نازلة منها، وباعتبار أن الرزق أصله من الله وهو الذي يملكه ويليه، قال: (من لدنك)، تعبيراً عن ملكية الله وتصرّفه في ملكه، قال في المجمع: (اللَّدُنُ: أقرب من عند، تقول: عندي مال لما غاب عنك، ولا تقول لَدُنِّي إلا لما يليك)[2].

وقال تعالى عن موضع الرزق: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[3].

والحقيقة الثانية في الرزق، مع ضمان الرزق الأساسي للخلق، فإن هناك تنامياً في ذلك الرزق، فهو ليس محدوداً بحيث لا يزيد، إنما باب الإنماء مفتوح عند الله تعالى.

فالعوائد جمع عائدة، وهي ما يعود على المرء من فضل أو خير، فبحسب عمل الإنسان الذي يدر عليه المزيد من الرزق، كالسعي، وطلب الخير من الله، أو بسبب آثار أعماله الصالحة التي تعود عليه بالرزق، كالتزوج، واليقظة بين الطلوعين، والتقوى

---

(١) الكافي: ج٢، ص٥٧.

(٢) مجمع البحرين: ج٦، ص٣٠٨.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

التي ينزل بسببها الرزق من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب، مما جاءت به الكثير من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، فالمزيد من الأرزاق عن الحد الأساسي متواترة عوائده، أي متتابعة عليه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1].

الثناء بضمان الأرزاق

وهذا باب فتحه الله تعالى لخلقه، فعندما يذكره الزائر في محضر أمير المؤمنين عليه السلام، فإنه يثني على الله بهذا الفضل منه لعباده، مقرّاً أنه مؤمن به واثق بأن الله تعالى لن يتركه، والنتيجة أن الله عند حسن ظن عبده به، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهو نوع من الطلب، حيث ذكر الفضل الذي يأمل أن يشمله.

وحول هذا المضمون والفهم الذي أشرنا إليه من أن العبارة في الزيارة هي ثناء على الله بما هو أهله، وهذا الثناء موجب لنزول الرزق، وخلافه أي عدم الاعتراف بأن الرزق من الله مضمونة لخلقه، يحكي لنا الإمام السجاد عليه السلام، دعاء بأكمله حول ثقافة التعاطي مع هذه الرؤية، تحت مسمى (دعاء يدعو به الداعي إذا قُتّر عليه الرزق): «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنَا فِي أَرْزَاقِنَا بِسُوءِ الظَّنِّ، وفِي آجَالِنَا بِطُولِ الْأَمَلِ حَتَّى الْتَمَسْنَا أَرْزَاقَكَ مِنْ عِنْدِ الْمَرْزُوقِينَ، وطَمِعْنَا بِآمَالِنَا فِي أَعْمَارِ الْمُعَمَّرِينَ. فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وهَبْ لَنَا يَقِيناً صَادِقاً تَكْفِينَا بِهِ مِنْ مَئُونَةِ الطَّلَبِ، وأَلْهِمْنَا ثِقَةً خَالِصَةً تُعْفِينَا بِهَا مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ واجْعَلْ مَا صَرَّحْتَ بِهِ مِنْ عِدَتِكَ فِي وَحْيِكَ، وأَتْبَعْتَهُ مِنْ قَسَمِكَ فِي كِتَابِكَ، قَاطِعاً لِاهْتِمَامِنَا بِالرِّزْقِ الَّذِي تَكَفَّلْتَ بِهِ، وحَسْماً لِلاشْتِغَالِ بِمَا ضَمِنْتَ الْكِفَايَةَ**

(١) سورة الطَّلاَق، الآيتان: ٢-٣.

لَهُ فَقُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الْأَصْدَقُ، وأَقْسَمْتَ وقَسَمُكَ الْأَبَرُّ الْأَوْفَى: ﴿وفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وما تُوعَدُونَ﴾»[1].

الرزق بمفهومه الأعم

وكلمة (أرزاقك) جاءت بالجمع، فهي تشمل كل ما ينطبق عليه مسمّى الرزق عند الله تعالى، فأرزاق الله بمفهومه الأعم من المال والطعام وما يقوم به البدن، يشمل أيضاً الإيمان والمعرفة، فالإيمان الصحيح والهداية من الله تعالى رزق للإنسان، منّ الله به على المؤمنين الذين هداهم وبحسب فاعليتهم يزيدهم هدى على هداهم، وكذلك العلم، وهو النور الذي يستضيء به في الأرض هو أيضاً رزق، لأنه غذاء للعقل والنفس.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ﴾، قَالَ قُلْتُ: مَا طَعَامُهُ؟ قَالَ: «**عِلْمُهُ الَّذِي يَأْخُذُهُ عَمَّنْ يَأْخُذُهُ**»[2].

وقد جعلت الآيات استحقاق العبادة لله تعالى دون الأوثان بأن الله هو الذي يملك الرزق للإنسان، ويبدو أنه عموم ما يرزق للإنسان، مما يقوم به حياته المادية والمعنوية، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

وكذا من الرزق هو رزق الآخرة، أي ثواب الله تعالى وعطاياه، قال تعالى: ﴿إِلَّا

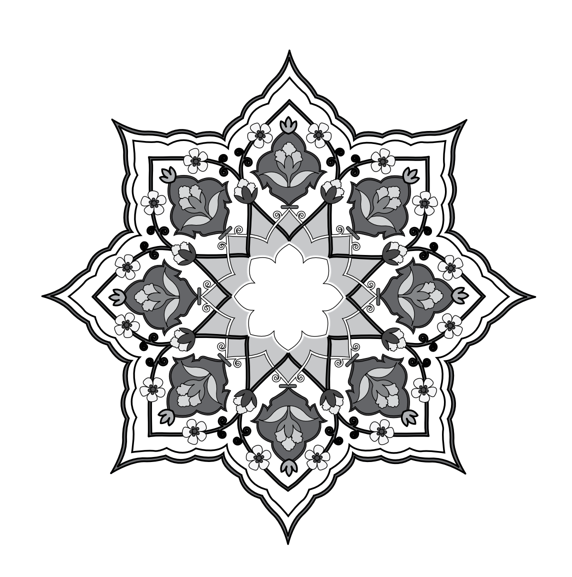
---

(١) الصحيفة السجادية: دعاء ٢٩.

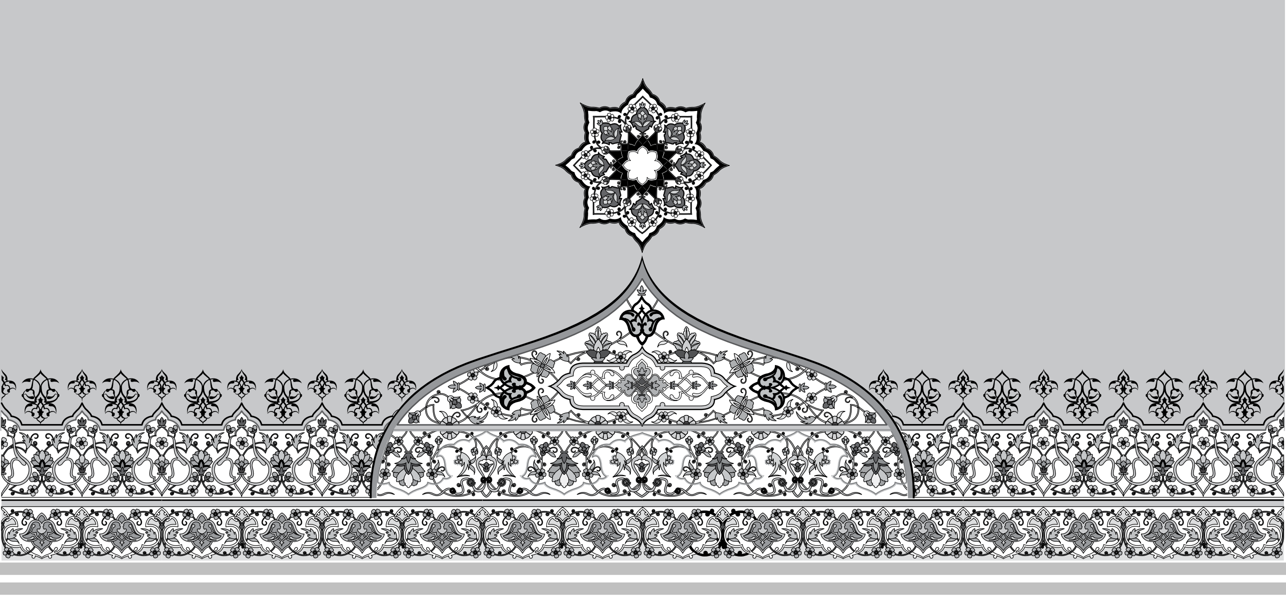
(٢) الكافي: ج١، ص٥٠.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾[١].



(١) سورة الصافات، الآيات: ٤٠-٤٩.



(١٥)

وَذُنُوبَ المُسْتَغْفِرِينَ مَغْفُورَةٌ

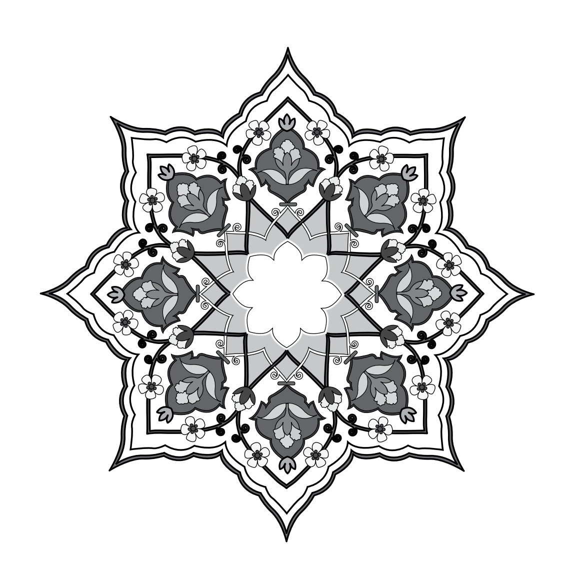
الذنوب تمحق الخير وتمحق الرزق، ولكن الله تعالى جعل باب الاستغفار مفتوحاً، فالذنوب عنده مغفورة، والغفران هو التغطية والستر، والاستغفار طلب الستر والتجاوز عن الذنب، فالتجاوز عن الذنب في حد ذاته عطاء من الله، وباب من أبواب العطاء، إلا أن ما يزيد في المعنى ليناسب السياق، هو أن تلك الذنوب التي غفرها الله تعالى بعد أن دخل في دائرة المستغفرين حقاً، سيقلبها الله عزّ وجلّ عطاءً وطاعة وعملاً صالحاً.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١].

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

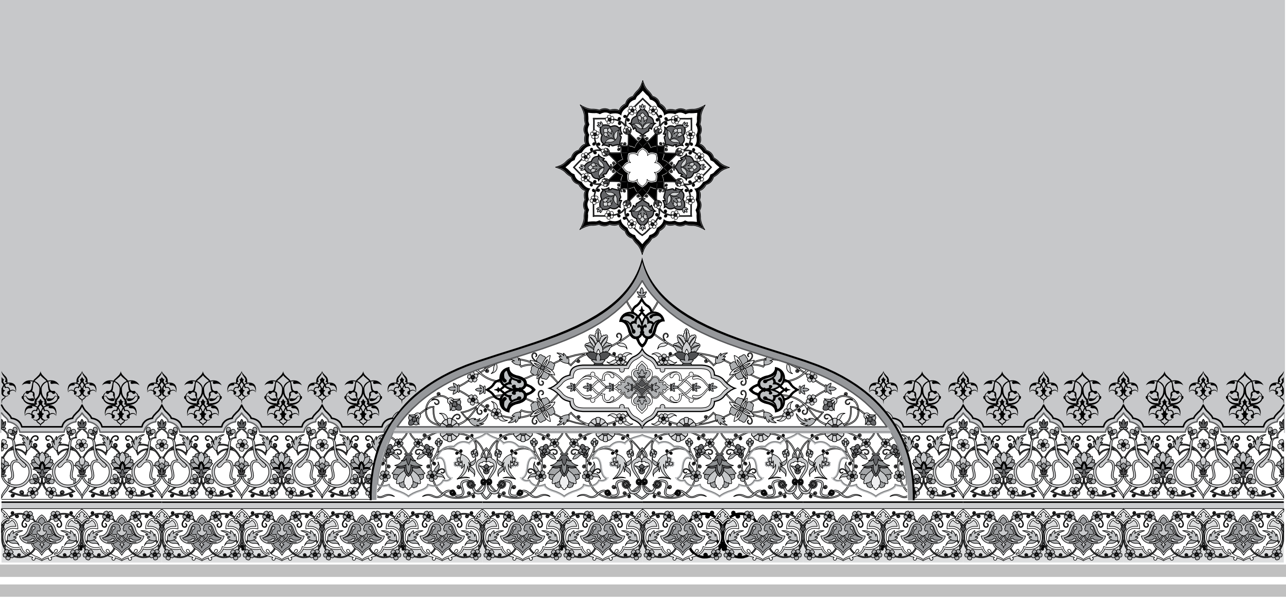
وعَنْ زُرَارَةَ، قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً أُجِّلَ مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى اللَّيْلِ فَإِنِ اسْتَغْفَرَ الله لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ**»[1].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً أَجَّلَهُ الله سَبْعَ سَاعَاتٍ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ الله لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وإِنْ مَضَتِ السَّاعَاتُ ولَمْ يَسْتَغْفِرْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ، وإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ بَعْدَ عِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى يَسْتَغْفِرَ رَبَّهُ فَيَغْفِرَ لَهُ، وإِنَّ الْكَافِرَ لَيَنْسَاهُ مِنْ سَاعَتِهِ**»[2].



(١) الكافي: ج٢، ص٤٣٧.

(٢) المصدر نفسه.



(١٦)

وَحَوائِجَ خَلْقِكَ عِنْدَكَ مَقْضِيَّةٌ

من عطاء الله تعالى لخلقه، أنه لا يترك حوائجهم التي استشعروا ضرورتها في حياتهم، دون تحقق، بل هي متحققة مقضية عند الله، أي أن الله فتح باباً لأصحاب الحوائج لتنقضي من خلاله.

فمن قصد غير الله تعالى في بلوغ حوائجه، فهو يطلبها ممن ليس بيده شيء، إن الله تعالى هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، فلا مانع لفضله، ومهما تكوّنت الأسباب التي أجرى من خلالها الله أمور خلقه، إلا أن المرجع كله لله عزّ وجلّ، فعندما نرى في الواقع أن العديد من الناس يتبعون نفس الأسباب، ولكنهم لا يحققون نفس النتائج، فلا بد أن يعطينا هذا بصيرة هامة في أن الله هو الذي يقضي حوائج الإنسان، ولكن قد يقضيها بشكل مباشر ودون مقدمات، وقد يقضيها عبر تيسير الأسباب،

والتوفيق للمقدمات، وهذا تجلّ لاسم من أسماء الله الحسنى وهو (قاضي الحاجات)، وفي كثير من الأدعية ينادى به ويتوسّل به لقضاء الحوائج ونجحها.

وإذا تفحّصنا أدعية أهل البيت عليهم السلام في مجامع الأدعية، سنجد العديد من الأدعية مهمتها فتح أبواب السماء لقضاء الحاجات من الله تعالى، وذلك لمختلف الأمور التي يحتاجها الإنسان، صغيرها أو كبيرها، للدنيا أو للآخرة، فنرى مثلاً: دعاء لقضاء الدين، وللأمن من السباع، والعثور على الضائع، وعند المطالعة، وللحفظ، ولدفع النسيان، ولقوة الذاكرة، وللسفر، وأدعية لمختلف الأوجاع، مثل: وجع الظهر، ووجع الخاصرة، ووجع البطن والقولنج، وغيرها.

فإن فضل الله كبير، فلابد أن يغتنم المؤمن فتح الباب بالدعاء والطلب، فعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**مَنْ لَمْ يَسْأَلِ الله عَزَّ وجَلَ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدِ افْتَقَرَ**»[1].

وعن طلب الحاجات من الله في كل صغيرة وكبيرة ورد عَنْ سَيْفٍ التَّمَّارِ، قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: «**عَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَقَرَّبُونَ بِمِثْلِهِ، ولَا تَتْرُكُوا صَغِيرَةً لِصِغَرِهَا أَنْ تَدْعُوا بِهَا، إِنَّ صَاحِبَ الصِّغَارِ هُوَ صَاحِبُ الْكِبَارِ**»[2].

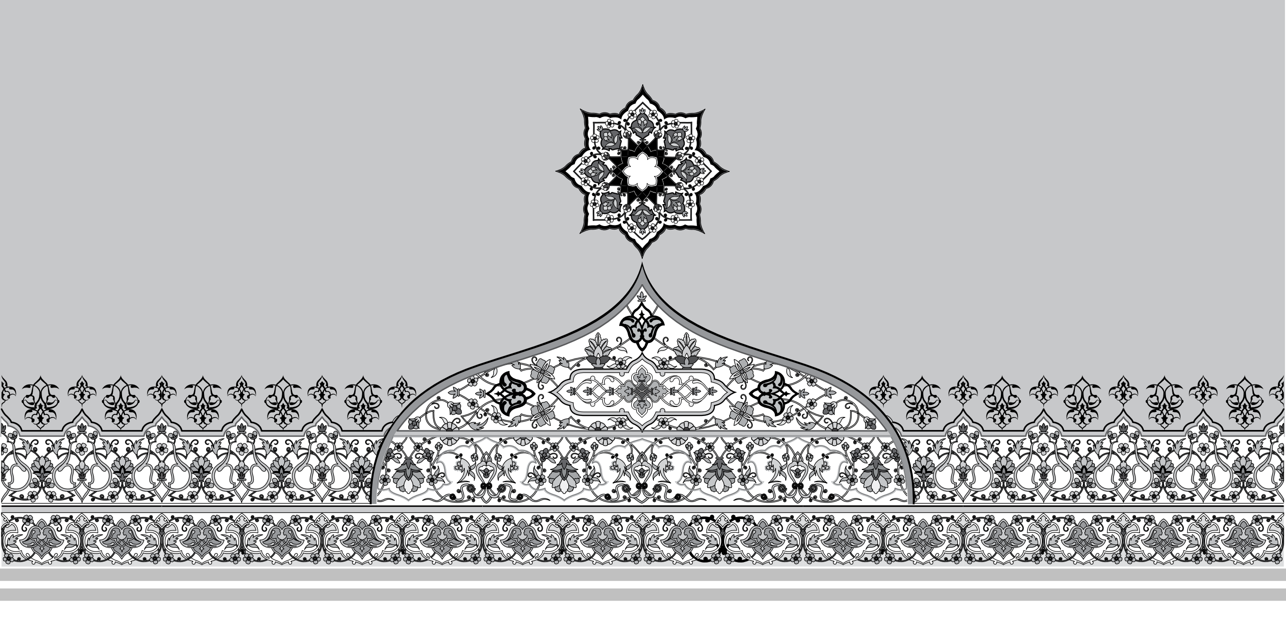
وفي الحديث القدسي: «**يَا مُوسَى، سَلْنِي كُلَّمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، حَتَّى عَلَفَ شَاتِكَ ومِلْحَ عَجِينِكَ**»[3].

---

(١) الكافي: ج٢، ص٤٦٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) عدّة الداعي ونجاح الساعي: ص١٣٤.



(١٧)

وَجوائِزَ السَّائِلِينَ عِنْدَكَ مَوْفُورَةٌ، وَعوائِدَ الْمَزِيدِ إِلَيْهِمْ واصِلَةٌ

إنّ عطاء الله تعالى لا ينضب، فلا يزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، فالجوائز وهي التي يعطيها المُكرم على سبيل الإكرام، صفتها (عند) الله تعالى عز وجل، أي في قانونه الإلهي أنها موفورة، والموفور هو الكثير التامّ الذي لم يتنقص منه شيء، فلا يحدّد العبد لنفسه من الله العطاء، فيظلم نفسه، ولا يعرف عطاء ربه غير المجذوذ الذي لا ينقطع إلا من عرف كرم الله تعالى وجوده على عباده، فعطاء الله لا يحكمه ميزان العدل، لأن العدل يعني أن السائل لابد أن يفي بمقدار العطاء، والمخلوق مقصّر أمام إنعام الله عليه، فعطاء الله موفور للسائلين كجوائز ضمن فضل الله تعالى.

فإن المزيد من فضل الله تعالى (عوائد) إلى السائلين، بحسب ما يسألونه، كلها إليهم واصلة.

عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام، قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: إِنَّ الرِّزْقَ لَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى عَدَدِ كُلِّ قَطْرٍ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُدِّرَ لَهَا، وَلَكِنْ للهِ فُضُولٌ، فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ**»[1].

أما جوائز الله الكثيرة الموفورة، فهي أعظم من عطايا الدنيا الفانية، ومما يصدق عليه من الجوائز لكثرة ثوابه، هو ثواب صيام شهر رمضان، فالعطاء فيه واسع، فحتى نوم الصائم فيه عباده، ونفسه تسبيح، حتى سمي يوم الأول من شوال بعد انتهاء شهر رمضان بيوم الجوائز.

عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قال: «**قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: إِذَا كَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ شَوَّالٍ، نَادَى مُنَادٍ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، اغْدُوا إِلَى جَوَائِزِكُمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرُ جَوَائِزُ اللهِ لَيَسَتْ بِجَوَائِزِ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ، ثُمَّ قَالَ هُوَ يَوْمُ الْجَوَائِزِ**»[2].

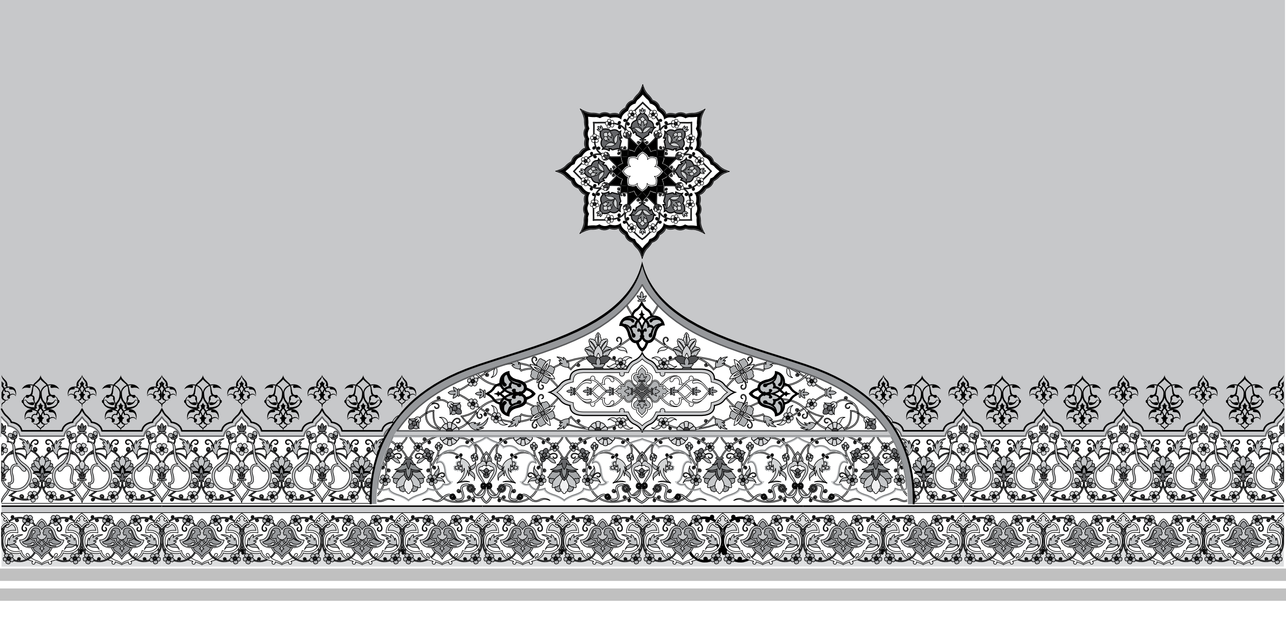
ومن أعظم جوائز الآخرة هي شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وشفاعة أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، لأنها أعظم العطاء وأفضل النفع في أصعب المواقف، فمن دعاء الإمام السجاد عليه السلام في يوم الأضحى ويوم الجمعة، يعبّر عن هذه الحقيقة بقوله: «**اللَّهُمَّ مَنْ تَهَيَّأَ وتَعَبَّأَ وأَعَدَّ واسْتَعَدَّ لِوِفَادَةٍ إِلَى مَخْلُوقٍ رَجَاءَ رِفْدِهِ ونَوَافِلِهِ وطَلَبَ نَيْلِهِ وجَائِزَتِهِ، فَإِلَيْكَ يَا مَوْلَايَ كَانَتِ الْيَوْمَ تَهْيِئَتِي وتَعْبِئَتِي وإِعْدَادِي واسْتِعْدَادِي رَجَاءَ عَفْوِكَ ورِفْدِكَ وطَلَبَ نَيْلِكَ وجَائِزَتِكَ. اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، ولَا تُخَيِّبِ الْيَوْمَ ذَلِكَ مِنْ رَجَائِي، يَا مَنْ لَا يُحْفِيهِ سَائِلٌ ولَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ، فَإِنِّي لَمْ آتِكَ ثِقَةً مِنِّي بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمْتُهُ، ولَا شَفَاعَةِ مَخْلُوقٍ رَجَوْتُهُ إِلَّا شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ وأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ سَلَامُكَ**»[3].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٥، ص١٦٠.

(٢) الكافي: ج٤، ١٦٨.

(٣) الصحيفة السجادية: دعاء رقم ٤٨.



(١٨)

وَمَوائِدَ الْمُسْتَطْعِمِينَ مُعَدَّةٌ، وَمَناهِلَ الظِّمَاءِ لَدَيْكَ مُتْرَعَةٌ

المستطعِم هو الذي يسأل الطعام من الله، والظِماء جمع ظمآن، وهو العطشان، فإن العطاء الإلهي الذي يتبع قانون التفضّل من الله عزّ وجلّ، لا يقتصر على حاجات الإنسان الأساسية، بل الإنعام منه تاماً على عباده، فالذي يطلب من الله الطعام، لا يسد جوعه فحسب، بل إن الموائد معدّة، أي مهيأةً له.

وكذلك الظمآن، وهو العطشان المحتاج للماء، فلا يعطى حد الإرواء وحسب، بل إن المناهل التي هي موارد نبع الماء وجريانه، مترعة، أي مملوءة، فما عليه إلا أن يقبل عليها ويستزيد منها.

وفي كل الحاجات يجري هذا القانون الإلهي، في الاستطعام للأكل أو العلم أو التقوى أو أي خير من الله، فإن الله يعطيه العبد ويغدق عليه من نعمه.

بذلك يكون منطق الداعي المتوجه لله تعالى، منطق العارف بالله وبفضله، كما يعلمنا الإمام الصادق عليه السلام الدعاء الذي علّمه معاوية بن عمار، ففيه هذه المعاني والآفاق.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام أَنْ يُعَلِّمَنِي دُعَاءً لِلرِّزْقِ، فَعَلَّمَنِي دُعَاءً مَا رَأَيْتُ أَجْلَبَ مِنْهُ لِلرِّزْقِ، قَالَ قُلِ: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، رِزْقاً وَاسِعاً حَلَالًا طَيِّباً بَلَاغاً لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، صَبّاً صَبّاً، هَنِيئاً مَرِيئاً، مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا مَنٍّ مِنْ أَحَدِ خَلْقِكَ، إِلَّا سَعَةً مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ، فَإِنَّكَ قُلْتَ:** ﴿وَسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾، **فَمِنْ فَضْلِكَ أَسْأَلُ، وَمِنْ عَطِيَّتِكَ أَسْأَلُ، وَمِنْ يَدِكَ الْمَلْأَى أَسْأَلُ**»(1).

وكذلك في الجانب المعنوي في العقيدة والعلم والأخلاق، عندما يستطعم المؤمن الله سيجد موائده معدّة ومهيئة، وسيجد مناهل العلم الصافي مترعة مستوعبة لكل حاجاته في الدنيا والآخرة، يقول تعالى عن هذا القانون: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾(2).

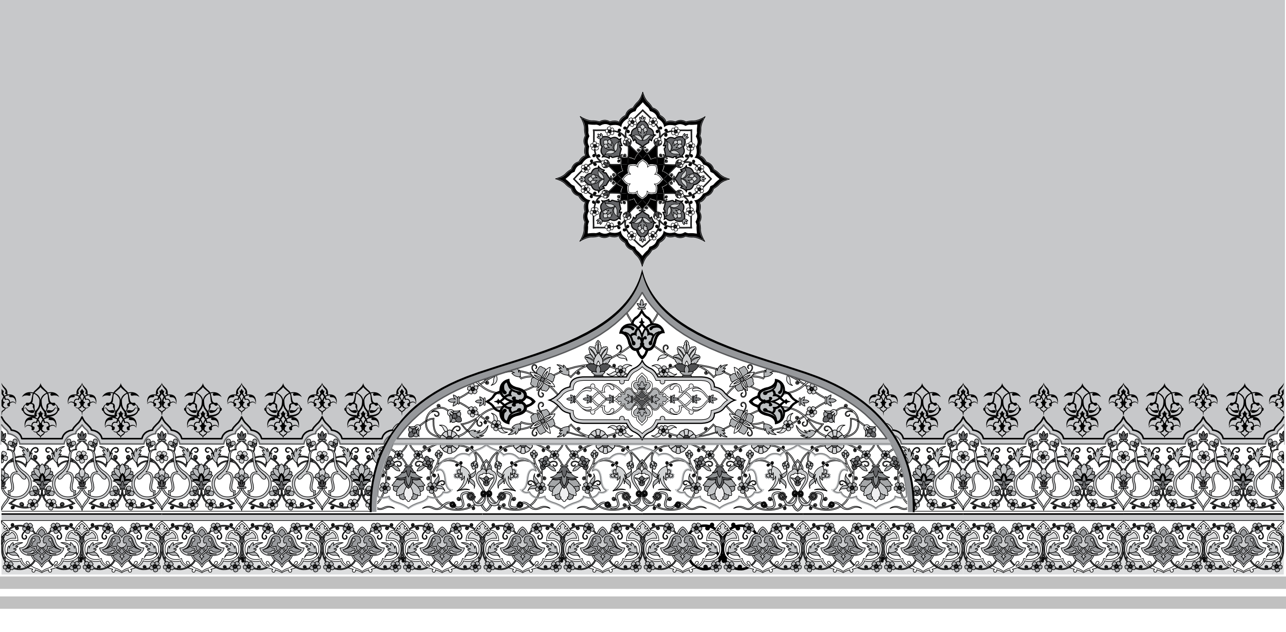
إنّ الغدق يعني المطر والماء الكثير، وعن تبيين هذه الآية في الجانب المعنوي، جاء عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾، قال: «**يَعْنِي لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى وَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ وُلْدِهِ عليهم السلام، وَقَبِلُوا طَاعَتَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ، لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً، يَقُولُ لَأَشْرَبْنَا قُلُوبَهُمُ الْإِيمَانَ، وَالطَّرِيقَةُ هِيَ الْإِيمَانُ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ وَالْأَوْصِيَاءِ**»(3).

---

(1) الكافي: ج2، ص551.

(2) سورة الجن: 16.

(3) الكافي: ج1، ص220.



تحليل موضوعي لقسم المناجاة

في القسم الثالث من زيارة أمين الله، الخاص بالثناء على الله تعالى، بما يختص بعطاء الله وفضله، والأبواب التي فتحها لخلقه، نحاول أن نجد الترابط بين العبارات فيه، فإن كلام أهل البيت عليهم السلام متصل في معناه، دقيق في تتابعه وترتيبه، وإننا من الصعب أن ندّعي الإمساك بالرابط الأكيد بين الفقرات، إلا أننا نحاول أن نحلل اعتماداً على المعاني المستظهرة منها.

ونلخّصها في التّالي:

١- الفقرة الأولى إلى الرابعة: التهيئة في قلوب المخبتين والراغبين والقاصدين والعارفين، وهي جانب القابليات في الإنسان المتوجه لله تعالى، فلقد وفّر الله للإنسان القدرة على الانفتاح عليه والتوجه نحو رحمته، وأوضح الآثار الظاهرة لتلك الأحوال.

وحيث تبدأ الفقرات الأربع بالمخبتين وهم الخاشعون عن معرفة، ثم بالراغبين، أي

بالتقدّم خطوة زائدة على الإخبات وهي كسوتها بالرغبة وحب الإقبال، ثم القاصدين الذين وطّنوا أنفسهم ونياتهم لله، ليجدوا أعلام الهداية واضحة أمامهم، وهم أهل البيت عليهم السلام، ثم الختام بالفقرة الرابعة بالتعبير عنهم بالعارفين، وهم أهل الولاية الذين أصبحت قولبهم فازعة إلى الله حقاً مما عرفوه وذاقوه من الحق.

٢- الفقرة الخامسة: تأتي القاعدة الكلية في هذه الفقرة: «**وَأَصْوَاتَ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ صَاعِدَةٌ، وَأَبْوَابَ الْإِجَابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ**»، لتقرّر أن القابليات إذا توفّرت وكانت لله خالصة، فإن الأبواب الإلهية تفتح أمامها بإجابة على ما سألوا من فضل الله.

٣- من الفقرة السادسة إلى الفقرة العاشرة: هي التفصيل في أحوال الداعين، وبيان كيفية تفتح الأبواب الإلهية بالإجابة أمامهم، (فعند المناجاة تستجاب الدعوة، وعند التوبة إلى الله تقبل منه، وحال انهمال العبرة من البكاء خوفاً من الله، تتنزل الرحمة، وعندما يطلب العون من الله يعينه، بل وعندما يزداد الطلب فيستغيثه، فإنه يغاث).

٤- من الفقرة الحادية عشرة إلى الفقرة الثالثة عشرة: المجال الذي يتأرجح فيه الإنسان أمام كل ما ذكرته الفقرات السابقة من أبواب، في ثلاث جهات:

أ- أن (وعود الله لعباده منجزة).

ب- وفي مقابلها (الزلل والنقص من المستقيل معفو عنه).

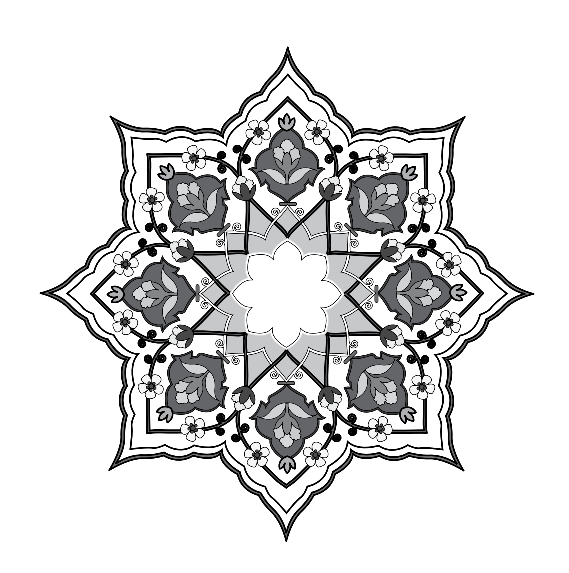
ج- والنتيجة هي أن (أعماله يثاب عليها كلها دون نقص).

إذاً فإن الله ينجز وعده، ولا يخلفه مع الزلل إذا سدّه بالاستقالة، ولا يضيع من وعده شيء حتى لو كان العمل خفياً أو قليلاً مادام العمل لله عزّ وجلّ.

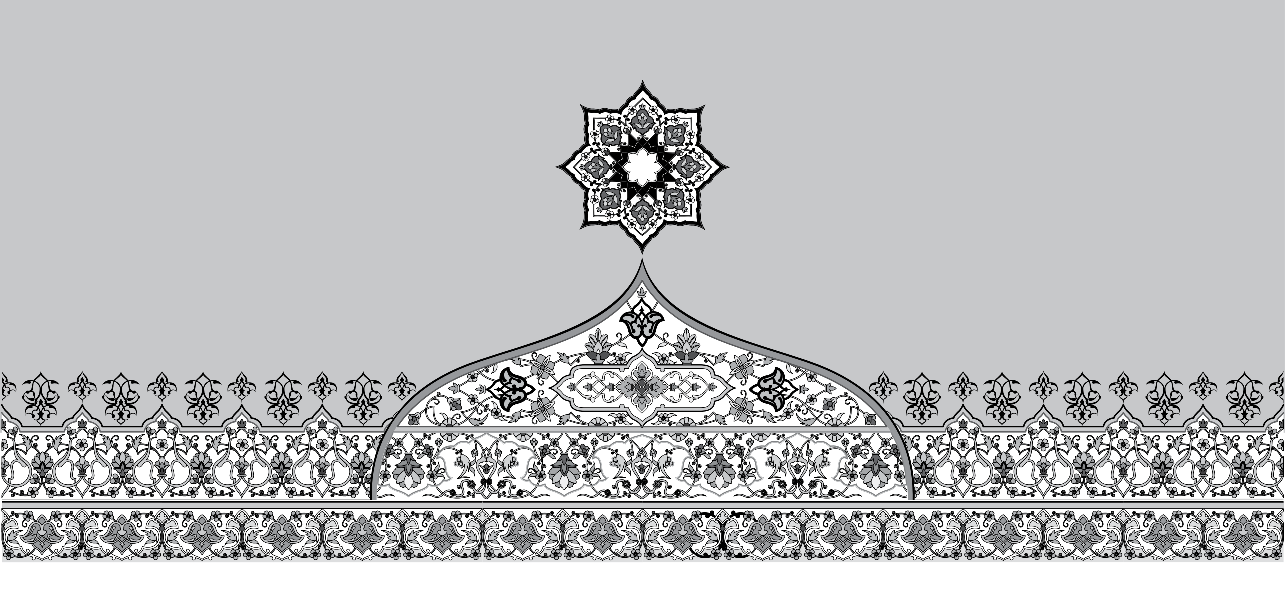
٥- من الفقرة الرابعة عشرة إلى الفقرة الثامنة عشرة: العطاء الإلهي لا يقتصر

على سد الحاجات، بل ما عند الله أوسع، ولا يعطي على قدر العمل، فإن لله الفضل كله، فميزان الله تعالى هو الإعطاء الوافر، (فالرزق نازل للجميع بل متواتر)، والحوائج بحسب شعور الإنسان لحاجاته مقضية، بل وأكثر، فإن جوائز الله متتابعة، فلا يسد الجوع أو يروي الظمأ وحسب، بل يعطي فوق ذلك، بحيث يجد الموائد معدّة، والمناهل مترعة.

ولعل وجود عبارة «**وَذُنُوبَ الْمُسْتَغْفِرِينَ مَغْفُورَةٌ**» بين هذه الفقرات الأخيرة، لما ينظر لها من جانب العطاء، أي أن الله تعالى يغفر الذنب، وإذا غفره بدّله إلى عمل صالح، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1]. أو أنه لبيان أن الذنب لا يمنع العطاء المتواتر، لأنه مغفور، فلم يعد له أثر، وهذا من تهيئة الطريق للعطاء، وهو موضوع الفقرات الأخيرة.

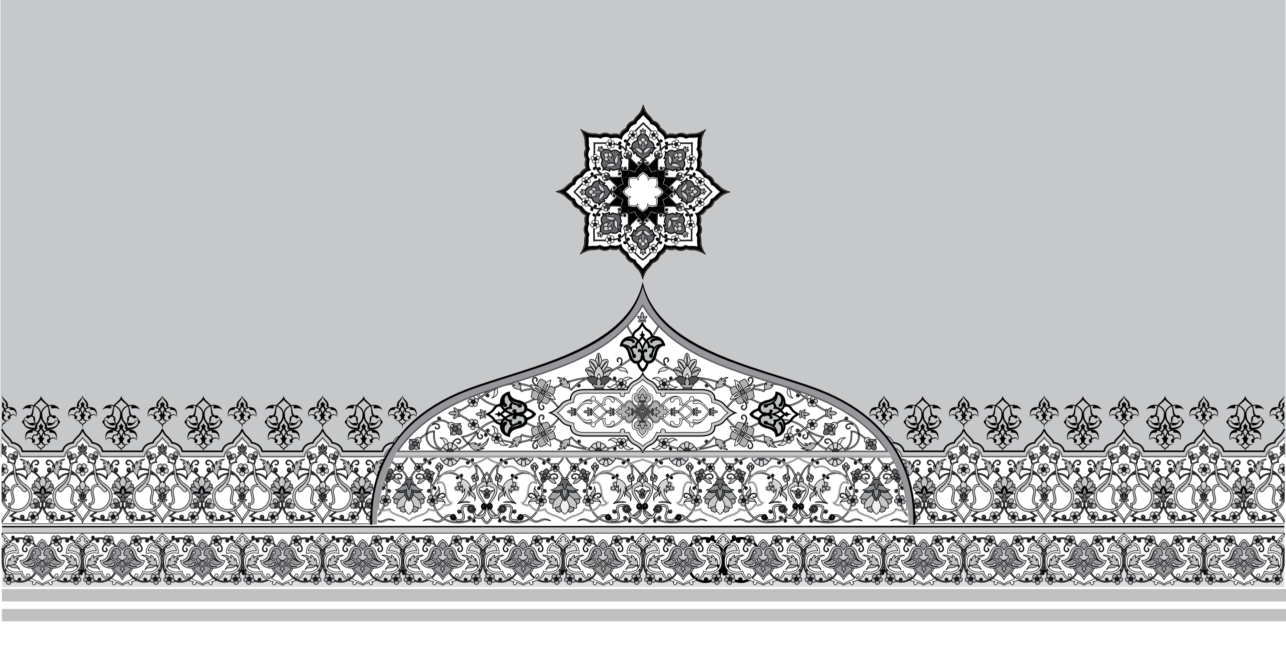


(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.



غاية المأمول

شرح الزيارة (قسم الطلب)

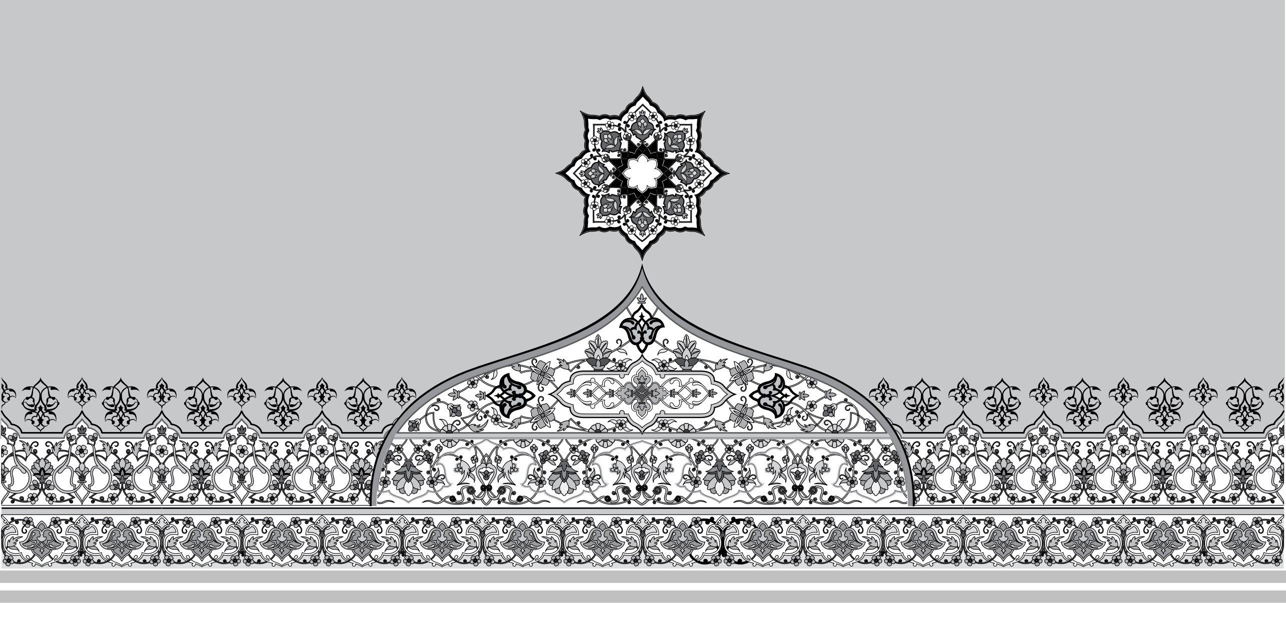


غاية المأمول

وفي الزيارة: «اللَّهُمَّ فَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وَاقْبَلْ ثَنَائِي، وأَعْطِنِي رَجَائِي [جَزَائِي]، واجْمَعْ بَيْنِي وبَيْنَ أَوْلِيَائِي، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وعَلِيٍّ وفَاطِمَةَ والْحَسَنِ والْحُسَيْنِ عليه السلام، إِنَّكَ وَلِيُّ نَعْمَائِي ومُنْتَهَى رَجَائِي وغَايَةُ مُنَايَ فِي مُنْقَلَبِي ومَثْوَايَ، أَنْتَ إِلَهِي وسَيِّدِي ومَوْلَايَ، اغْفِرْ لِي ولِأَوْلِيَائِنَا وكُفَّ عَنَّا أَعْدَاءَنَا واشْغَلْهُمْ عَنْ أَذَانَا، وأَظْهِرْ كَلِمَةَ الْحَقِّ واجْعَلْهَا الْعُلْيَا، وأَدْحِضْ كَلِمَةَ الْبَاطِلِ واجْعَلْهَا السُّفْلَى، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[1].

---

(١) كامل الزيارات: ص ٤٠.



١

اللَّهُمَّ فَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وَاقْبَلْ ثَنَائِي، وَأَعْطِنِي رَجَائِي، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَوْلِيَائِي

بعد أن قدّم الزائر سلامه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم تحوّل بالدعاء ليحقّق الله له بناء شخصيته المقتفية أثر الإمام عليه السلام، فهو يطلب هنا أن يستجيب الله ذلك الدعاء، وبعد أن انتهى من الدعاء جاءت فقرة الثناء على الله تعالى، فهو يسأل الله هنا أن يقبل ذلك الثناء الجميل، فإن الدعاء الذي يطلب أن يستجاب هو ما جاء بعد السلام، الذي ابتدأ بـ«**اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك**»، والثناء الذي يطلب قبوله هو ما جاء في قسم المناجاة، والذي بدأ بـ«**اللهم إن قلوب المخبتين إليك والهة**».

ثم أردف بكلمة «**وأعطني رجائي**»، وهنا تنبهنا كلمات الزيارة إلى أن هنالك رجاءً ومقصداً كبيراً، لعل كل ما مر هي مقدّمة له، نعم هو مخلص في سلامه، ومخلص في

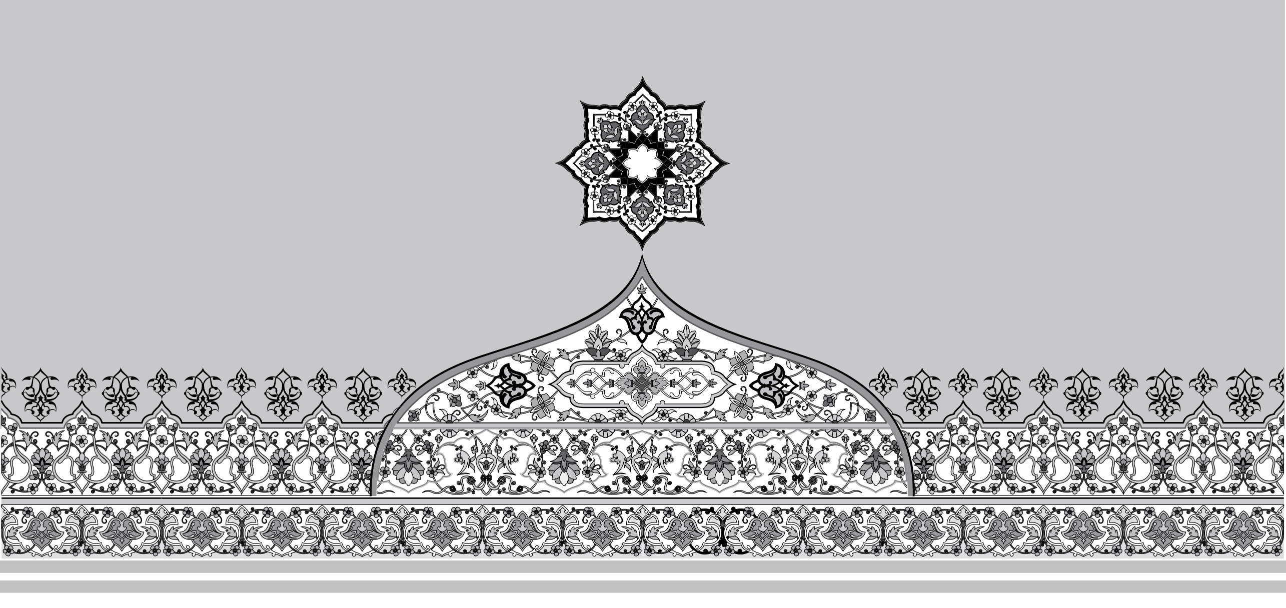
دعائه، ومخلص في ثنائه، إلا أن ذلك الإخلاص له غاية كبرى، ورجاء عظيم من الله تعالى، ولعل هذا ما يبين لنا سرّ مقصد زيارة أمين الله التي تنطلق من شخصية أمير المؤمنين عليه السلام بل وسائر أهل البيت عليهم السلام الذين انتهجوا نهجه.

فما هو ذلك الرجاء؟

فالرجاء يمكن أن نستفيده من أصل الهدفية التي سارت عليها الزيارة، والأهداف الأساسية لزيارات المعصومين عليهم السلام، والتي تحقّق معنى السلامة في العلاقة بين الزائر وبين أوليائه الطاهرين، وكما رأينا تطبيقياً أن الزيارة تعرض السلام على أمير المؤمنين عليه السلام، كأنموذج، ثم تسرد الدعاء في بناء الشخصية الإسلامية، وما يتبع ذلك من ثناء على الله لتعزيز السلام الأول، فيكون الرجاء هو العلاقة السليمة مع الإمام عليه السلام في الدنيا والآخرة.

ويمكن أن نستفيد موضوع الرجاء من الدعاء الذي يلي فقرة الرجاء وهو «**وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَوْلِيَائِي**» الذي سيأتي ذكره، أي اعطني رجائي بأن تجمع بيني وبين أوليائي، جمعاً في الصفات في الدنيا، وبالنصرة عند ظهور الحجة عجل الله فرجه بالرجعة، كما هي فائدة قراءة هذه الزيارة كما بيّنا سابقاً، وجمعاً في الآخرة في زمرتهم في الجنّة، وكل تلك المعاني مطلوبة وقد تواترت بها الروايات عن أهل البيت عليهم السلام.

كما ونشير إلى أن عبارة (وأعطني رجائي) ليست مذكورة في بعض المزارات، كمزار ابن المشهدي، فيكون أيضاً سؤال الله بأن يستجيب دعاءه الذي مر، ثم يقبل ثناءه، ثم يجمع بينه وبين أوليائه، كغايات متكاملة.



٢

بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وعَلِيٍّ وفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام

الدعاء المهم بحاجة إلى توسل مهم، وبمقدار ما يتطلع الإنسان إلى سؤاله من الله، لابد أن يقدّم توسله بحجم تطلّعه، فلا يوجد أعظم من حق النبي محمد صلى الله عليه وآله وحق أهل بيته عليهم السلام في التوسّل، ولا أعظم من شخصية أمير المؤمنين عليه السلام التي سلّم عليها وأراد اقتفاء أثرها في هذه الزيارة، فهذه الكلمات التي تلقّاها آدم عليه السلام من ربه فتاب عليه، فقد ورد عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله عَنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ فَتابَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**سَأَلَهُ بِحَقِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ إِلَّا تُبْتَ عَلَيَّ، فَتَابَ عَلَيْهِ**»[1].

---

(١) الخصال: ج١، ص٢٧٠.

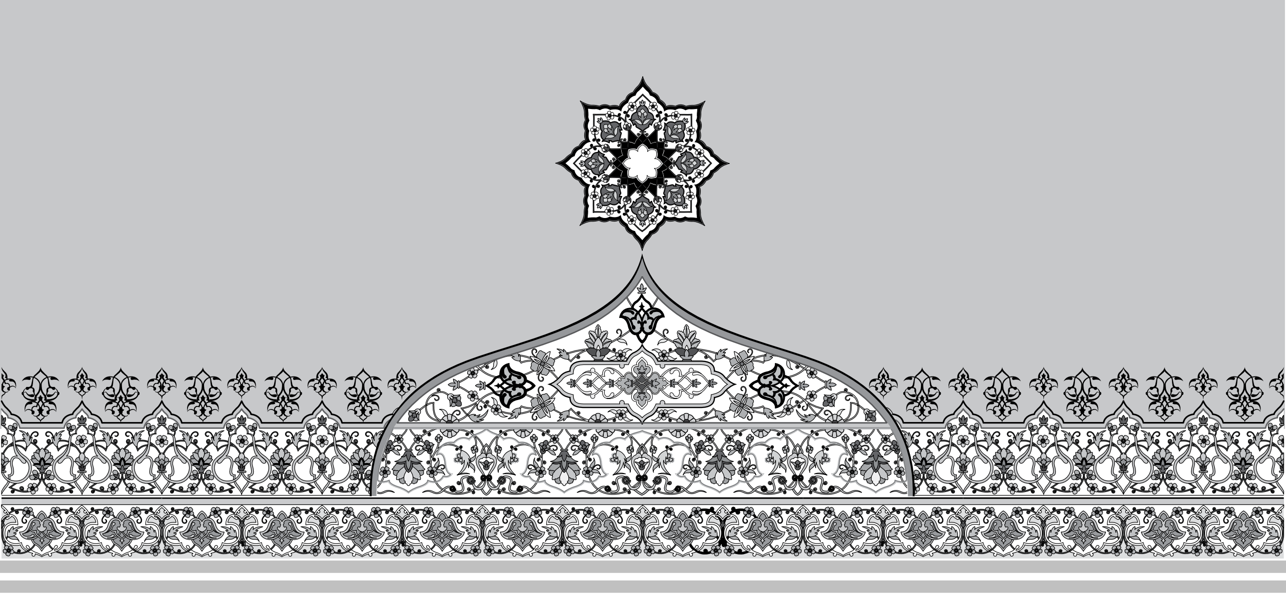
عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال – الراوي –: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ؟ قال: «**هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ فَتَابَ عَلَيْهِ، وهُوَ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِ مُحَمَّدٍ وعَلِي وفَاطِمَةَ والْحَسَنِ والْحُسَيْنِ إِلَّا تُبْتَ عَلَيَّ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**». فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، فَمَا يَعْنِي عَزَّ وجَلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾، قال: «**يَعْنِي فَأَتَمَّهُنَّ إِلَى الْقَائِمِ عليه السلام اثْنَيْ عَشَرَ إِمَاماً، تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ**»[1].

فالدعاء بحق النبي محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين هو دعاء الأنبياء في المهمات الصعبة، آدم ونوح ويعقوب وإبراهيم الخليل، وفي الآخرة لا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرّب ولا مؤمن ممتحن إلا وهو محتاج إليهم.

عن سماعة، قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «**إِذَا كَانَ لَكَ يَا سَمَاعَةُ إِلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ حَاجَةٌ، فَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِ مُحَمَّدٍ وعَلِي، فَإِنَّ لَهُمَا عِنْدَكَ شَأْناً مِنَ الشَّأْنِ، وقَدْراً مِنَ الْقَدْرِ، فَبِحَقِّ ذَلِكَ الشَّأْنِ وبِحَقِّ ذَلِكَ الْقَدْرِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وكَذَا، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَمْ يَبْقَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ولَا مُؤْمِنٌ مُمْتَحَنٌ، إِلَّا وهُوَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ**»[2].

(١) المصدر نفسه: ج١، ص٣٠٤.

(٢) الكافي: ج٢، ص٥٦٢.



٣

إِنَّكَ وَلِيُّ نَعْمَائِي، وَمُنْتَهى رَجَائِي، وَغَايَةُ مُنَايَ، فِي مُنْقَلَبِي وَمَثْوَايَ

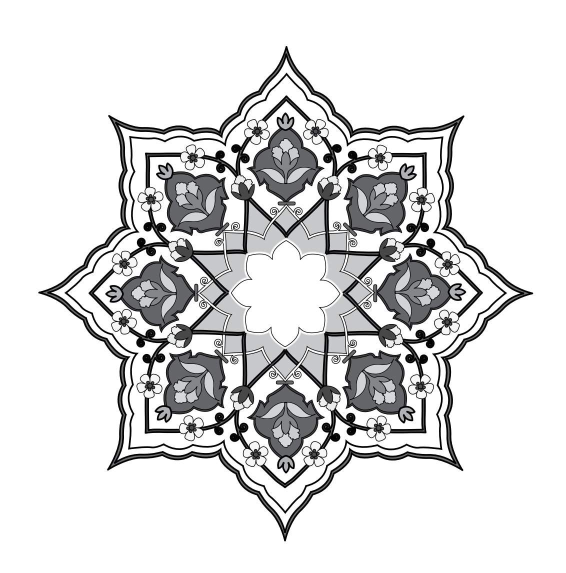
الولي هنا قد يكون معناه الوالي للنعماء، أي بيده أمر النعم التي تحيطني. فالله هو ولي النعم ويرجع إليه كل فضل، وهو عزّ وجلّ منتهى الرجاء، أي ليس بعد هذا الرجاء رجاء، وليس بعد الله منى، والمنى هي ما يتمناه المرء ويحدّث به نفسه لبلوغه، فإن الله غاية المنى.

قالوا في اللغة: (أن أصل الغاية الراية وسميت نهاية الشيء غايته، لأن كل قوم ينتهون إلى غايتهم في الحرب أي رايتهم، ثم كثر حتى قيل لكل ما ينتهي إليه غاية ولكل غاية نهاية)[١].

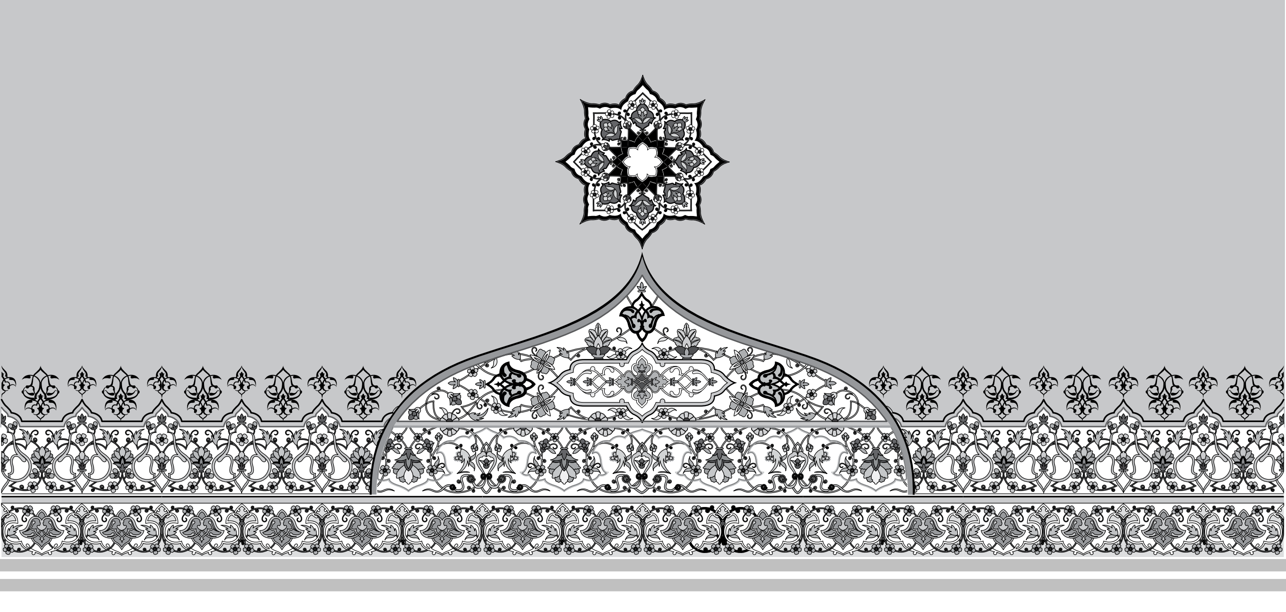
(١) الفروق في اللغة: ص٢٨٩.

ونهاية الغايات وختام الرجاء يكون في الآخرة، التي هي خير وأبقى، (في منقلبي) وهو مصير العباد في الآخرة، والمثوى هو مكان المقام، فكل سيصير إلى منقلبه في الآخرة، وسيستقر فيها.

وهذه العبارات تدل على أن الزائر الداعي متوجّه لله تعالى، مبتغية وجهه ورضاه، ولا يطلب من كل ما ذكر حطام الدنيا الزائل، والوجاهات الخاوية والمكاسب الآنية، بل أراد بكل ما طلب، حتى ما طلبه لأمور الدنيا، هو الله تعالى ووجه، وهذا مصداق للآية القرآنية الكريمة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].



(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.



٤

الفقرة الأخيرة

قال عليه السلام: «**أَنْتَ إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، اغْفِرْ (لِي وَ)**[١] **لِأَوْلِيَائِنَا، وَكُفَّ عَنَّا أَعْدَاءَنَا، وَاشْغَلْهُمْ عَنْ أَذَانَا، وَأَظْهِرْ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَاجْعَلْهَا الْعُلْيَا، وَأَدْحِضْ كَلِمَةَ الْبَاطِلِ وَاجْعَلْهَا السُّفْلَى، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**».

وهذه الفقرة الأخيرة، غير مذكورة في عدد من المصادر، وذكرها كامل الزيارات، فيها يعترف الزائر بالعبودية لله تعالى، وطلب المغفرة له ولأوليائه، ولعل المقصود هنا هم أصحابه أو المتعلقين به ومن يهمه أمرهم، بل هم المتعلقين بسبب العقيدة والرابط الولائي بأهل البيت عليهم السلام، لما في الفقرة من دلائل وأهداف هي إظهار الحق ودحض الباطل.

(١) ليست موجودة في البحار فيما ينقله عن كامل الزيارات.

ومن المطالب المهمة لكي يقوم الإنسان بممارسة دينه وحياته، ويعيش حياة كريمة، أن يُكفى شر الأعداء، وأن يشغلهم عن أذى المؤمنين، لتظهر كلمة الحق في الآفاق، وتخبوا كلمة الباطل وتندحر، فإن الله على كل شيء قدير.

في ختام الزيارة تأتي هذه الفقرة لتحمل موضوعاً عاماً، يختص بأمر الولاية الإلهية، ومستقبل الدين الإسلامي، ونحن بصدد ذكر هذا المطلب نستحضر ما جاء عن العطايا التي يعطيها الله تعالى من زار أي إمام معصوم بزيارة أمين الله، وهي أنه يتأهل لنصرة الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) في رجعته.

قال جابر: قال لي الباقر عليه السلام: «**مَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا دَعَا بِهِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا عِنْدَ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَوْ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام، إِلَّا رُفِعَ دُعَاؤُهُ فِي دَرَجٍ مِنْ نُورٍ، وَطُبِعَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَكَانَ مَحْفُوظاً كَذَلِكَ حَتَّى يُسَلَّمَ إِلَى قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَيَلْقَى صَاحِبَهُ بِالْبُشْرَى وَالتَّحِيَّةِ وَالْكَرَامَةِ إِنْ شَاءَ الله**»(١).

والإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه هو الذي سيحقق السلام العالمي، وسيبسط العدل الرباني على ربوع الأرض، وسيهيمن بالدين الإسلامي على كل الأديان، وقد قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾(٢).

فالمستقبل للدين الإسلامي، ولكن الأعداء لا يتوقفون عن مواجهة الدين وأهل الدين، لكي يضعفوه، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا

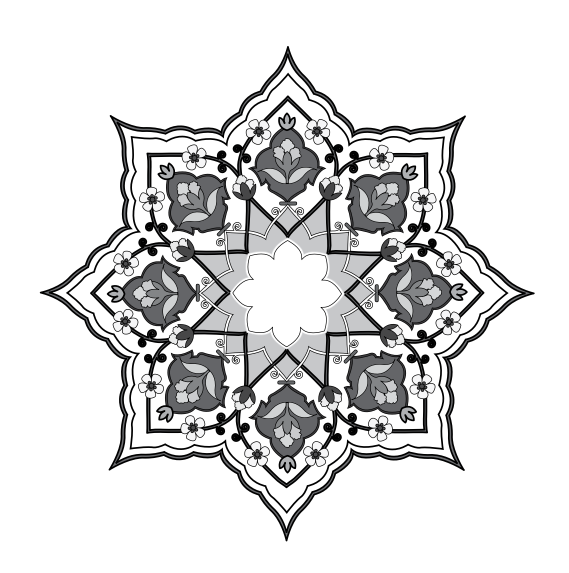
---

(١) إقبال الأعمال، ابن طاووس: ج١، ص٤٧٠.

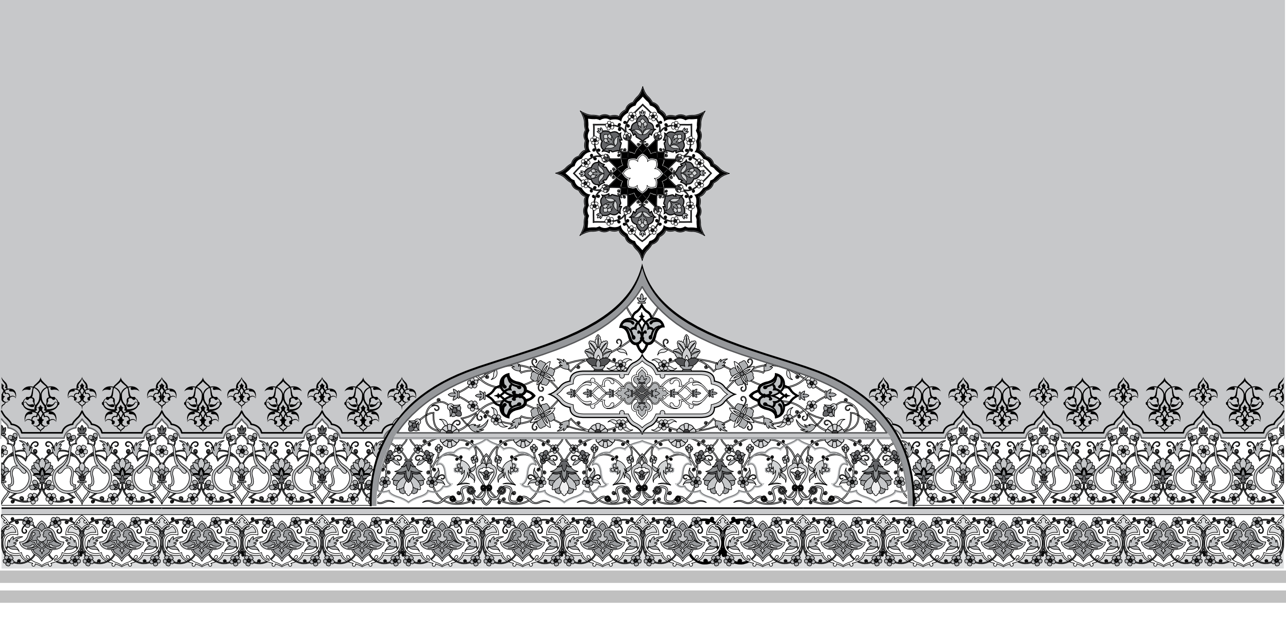
(٢) سورة القصص، الآية: ٥.

نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(١).

فمع العطية الكامنة وراء قراءة زيارة أمين الله من التأهل لنصرة الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) ينساق الزائر بهذه الزيارة لصياغة نفسه من خلال أنموذج المعصوم، ويترقّى في العلاقة مع الله عز وجل، يختتم زياراته في قسم الطلب هذا بهموم رسالية تستوعب مستقبل السلام العالمي، بأن يعم الخير كافة المؤمنين في الأرض عبر غفران ذنوبهم، والخلاص من أعدائهم، بأن يشغلهم بأنفسهم عن أذى المؤمنين، والنتيجة الكبرى التي يأمل تحقيقها في الأرض، هي إعلاء كلمة الحق، وهزيمة كلمة الباطل، فإنه مهما صعبت المهمة، فإن الله على كل شيء قدير.



(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢-٣٣.



وداع أمير المؤمنين عليه السلام

قَالَ جَابِرٌ: حَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عَبْدِ اللهَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَقَالَ لِي: «**زِدْ فِيهِ إِذَا وَدَّعْتَ أَحَداً مِنْهُمْ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِمَامُ وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ، أَسْتَوْدِعُكَ اللهَّ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهَّ، آمَنَّا بِالرَّسُولِ وَبِمَا جِئْتُمْ بِهِ، وَبِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَتِي وَلِيَّكَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي ثَوَابَ مَزَارِهِ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُ، وَيَسِّرْ لَنَا الْعَوْدَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهَّ**»[(١)].

إن جابر الجعفي قد روى زيارة أمين الله عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام، وبعد شهادته، لقي ابنه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وحدّثه بما سمعه من الإمام الباقر عليه السلام وهي نص زيارة أمين الله، فقال له الإمام بعد أن استمع له: «**زِدْ فِيهِ إِذَا وَدَّعْتَ أَحَداً مِنْهُمْ فَقُلْ: السلام عليك أيها الإمام...**».

(١) إقبال الأعمال، ابن طاووس: ج١، ص٤٧٠.

إن الإمام الصادق عليه السلام أعطى جابراً وداعاً عاماً، يصلح أن يكون وداعاً لأي إمام معصوم، ولكن هذا الوداع مرتبط بزيارة أمين الله، لأن الإمام قال له (وزد فيه) أي في ما حدثتني عنه من الزيارة، وكونها أشارت لأي إمام، فهو دليل على أن هذه الزيارة يزار بها كل الأئمة كما سيأتي في البحث القادم.

ووداع القبر عند الانتهاء من الزيارة له مراسيم خاصة تعبّر عن انتهاء اللقاء، وتتضمّن التأكيد على غايات الزيارة في بعدها العام، وما يرومه الزائر منها في مستواه الخاص، وأهم ما تتعرّض له هو موضوع العلاقة الدائمة مع الزيارة، والدعاء بتجديد العهد مرات أخرى، والوداع هو نص يتضمّن عادة هذه المطالب، ولكنه قد يأتي مرفقاً بالزيارة كختام لها، أي يدخل الزائر للمشهد المشّرف فيزور بزارته الواردة ثم يختمها بنص الوداع، ثم يمضي، كما في عدة نصوص لزيارات الإمام الحسين عليه السلام. وقد يأتي هذا النص منفرداً منفصلاً عن نص الزيارة، ويسمّى في هذه الحالة بذاته (زيارة)، كون الزائر في هذه الحالة بعد أن قضا عدة أيام متردداً في زيارة المشهد الشريف، وعند عزمه على الرحيل عنه، يقوم بالتوجّه نحو القبر الشريف ليزور الإمام بنص زيارة الوداع، هذا ما يستفاد من إنفراد زيارات خاصة بالوداع، ويستفاد كذلك من صريح قول الإمام الصادق عليه السلام بخصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فيقول معرّفاً نص الوداع بالتالي:

«إِذَا أَرَدْتَ الْـوَدَاعَ بَعْـدَ فَرَاغِـكَ مِـنَ الزِّيَـارَاتِ، فَأَكْثِـرْ مِنْهَـا مَـا اسْـتَطَعْتَ، ولْيَكُـنْ مُقَامُـكَ بِالنَّيْنَـوَى أَوِ الْغَاضِرِيَّـةِ، ومَتَـى أَرَدْتَ الزِّيَـارَةَ فَاغْتَسِـلْ وزُرْ زَوْرَةَ الْـوَدَاعِ، فَـإِذَا فَرَغْـتَ مِـنْ زِيَارَتِـكَ فَاسْـتَقْبِلْ بِوَجْهِـكَ وَجْهَـهُ، والْتَمِـسِ الْقَـبْرَ وقُـلِ: السَّـلَامُ عَلَيْـكَ يَـا وَلِيَّ... إلى أن يقـول: وأَلِـحَّ فِي الدُّعَـاءِ والْمَسْـأَلَةِ، فَـإِذَا

خَرَجْـتَ فَـلَا تُـوَلِّ وَجْهَـكَ عَـلَى الْقَـبْرِ حَتَّـى تَخْـرُجَ»[1].

إن الوداع الذي تضمّنته زيارة أمين الله فيما يبدو ليس من الوداع الأول المرتبط بنص الزيارة في كل مرة يزور بها، بل هو وداع يقرأ بعد زيارة أمين الله في حال أراد وداع الإمام الذي يزوره، كما هو مفاد كلمة الإمام عليه السلام: «**إذا ودّعت أحداً منهم فقل**»، كما أن نص الزيارة ورد في أكثر كتب الحديث المعتبرة من دون هذه الزيادة.

والوداع هو المفارقة والمتاركة، والزائر في آخر ساعات المفارقة كما هو مضمون هذا النص، فيه عدّة مضامين:

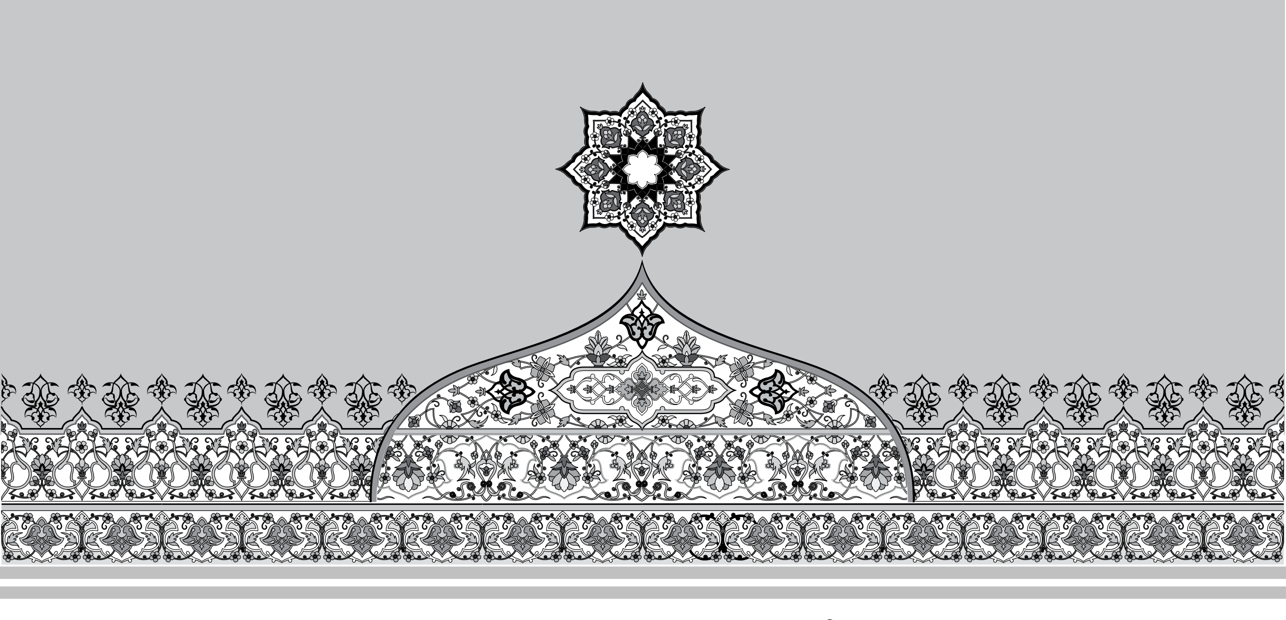
الأول: التسليم على الإمام، كإقرار يبدأ به، وهذا الإقرار يعبّر عن العلاقة السليمة بين الزائر والمزور.

الثاني: الإقرار بالبعد الإيماني بالرسول صلى الله عليه وآله وامتداده من العترة الطاهرة، وبكل ما جاؤوا به من الحق.

الثالث: العلاقة بالزيارة، من خلال الدعاء للتواصل الدائم معها وعدم الحرمان، والتيسير للعودة من جديد.

---

(١) كامل الزيارات: ص٢٥٦.



زيارة أمين الله في كل المشاهد

لقد ذكرت الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام، أن زيارة أمين الله يمكن أن تزور بها أو تقرأها عند أي قبر من قبور أهل البيت عليهم السلام، وبذلك يتشرّف الزائر بأن يقبل دعاؤه ويرفع في درج من نور، ويختم بضمانة النبي صلى الله عليه وآله، ويحفظه الله تعالى حتى يسلّم إلى الإمام القائم عجل الله فرجه.

إلاّ أن التساؤل، هل المقصود هو زيارة أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الزيارة عند كل قبر من قبور الأئمة، كما هو حال زيارة الإمام الحسين عليه السلام عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام؟

أو المقصود هو أن يزار بها كل إمام عند قبره بنفس نص هذه الزيارة؟

لنذكر نص ما جاء بهذا الخصوص والذي اعتمد عليه في الدلالة على أنها يمكن أن تكون زيارة مطلقة لجميع الأئمة عليهم السلام.

قَالَ جَابِرٌ قَالَ لِيَ الْبَاقِرُ عليه السلام: «**مَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا دَعَا بِهِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا عِنْدَ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، أَوْ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام، إِلَّا رُفِعَ دُعَاؤُهُ فِي دَرَجٍ مِنْ نُورٍ، وَطُبِعَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَكَانَ مَحْفُوظاً كَذَلِكَ حَتَّى يُسَلَّمَ إِلَى قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، فَيَلْقَى صَاحِبَهُ بِالْبُشْرَى وَالتَّحِيَّةِ وَالْكَرَامَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ**».

قَالَ جَابِرٌ: حَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عَبْدِ اللهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَقَالَ لِي: «**زِدْ فِيهِ إِذَا وَدَّعْتَ أَحَداً مِنْهُمْ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِمَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، آمَنَّا بِالرَّسُولِ وَبِمَا جِئْتُمْ بِهِ، وَبِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَتِي وَلِيَّكَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي ثَوَابَ مَزَارِهِ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُ، وَيَسِّرْ لَنَا الْعَوْدَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ**»[(١)].

لقد استظهر بعض الأعلام من عبارة (مَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا دَعَا بِهِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا عِنْدَ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَوْعِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام)، أن زيارة أمين الله يمكن أن نعدّها من الزيارات المطلقة التي يمكن زيارة أي إمام بنفس نصها، إلا أن البعض قد يشير إلى أن العبارة يمكن أن تحمل على عدة احتمالات هذا أحدها، ومن الاحتمالات المغايرة:

١- أن يزار بهذه الزيارة أمير المؤمنين عليه السلام عند مراقد كل الأئمة عليهم السلام، فهي زيارة لأمير المؤمنين، ولكن يمكن زيارته بها من أي مكان، وخصوصاً في البقاع الطاهرة لأهل البيت عليهم السلام.

(١) إقبال الأعمال، ابن طاووس: ج١، ص٤٧٠.

٢- أن المراد من عبارة (ما قال هذا الكلام ولا دعا به أحد) في الرواية، هو الدعاء اللاحق للزيارة، وليس الزيارة كلها.

ولعل استظهارهم هذه النتائج من أن نص الزيارة مذكور فيها عبارة (السلام عليك يا أمير المؤمنين) وهو لقب مختص بالإمام علي عليه السلام دون سواه، أو من كلمة (ولا دعا به أحد) فهي إشارة للدعاء دون الزيارة.

ولكننا نستبعد هذين الاحتمالين، لعدة دلالات، نذكرها باختصار:

أولاً: أن اللفظ الذي جاء في نص الرواية هو (مَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا دَعَا بِهِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا)، فالإشارة في الزيارة بعبارة (هذا الكلام، ولا دعا به) لا يدل على اختصاصها بالدعاء المعهود، لأنه في بعض نصوص أهل البيت عليهم السلام يطلقون على الزيارة لفظ الدعاء كما في زيارة عاشوراء[1]، لذا فإن العبارة المذكورة هي إشارة للزيارة التي تلفظ بها الإمام عليه السلام كوحدة متكاملة ولم يشر فيها إلى التجزّؤ، كما قد يشار إلى بعض الزيارات ثم يذكر بعدها دعاء ختامياً، أو دعاء بطلب الحوائج، فالإمام هنا ساق الزيارة كلها بنص واحد متكامل، وبهذا نصّت جميع كتب الزيارة.

ثانياً: أن النص لم يذكر أن من زار أمير المؤمنين عند سائر القبور، بل أشار لتلاوة النص عند كل قبر من قبورهم عليهم السلام، وبهذا يتحقق الانصراف إلى زيارتهم بهذا النص، ويدل عليه ما رواه ابن طاووس في نص الوداع بعد أن ذكر الزيارة بها عند جميع القبور، فقد قال: (قَالَ جَابِرٌ: حَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عَبْدِ اللهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَقَالَ لِي: زِدْ فِيهِ إِذَا وَدَّعْتَ أَحَداً مِنْهُمْ فَقُلْ...). فكلمة إذا ودّعت أحداً منهم، تدل

(١) لقد بحثنا بشكل مفصل، موضوع تسمية الزيارة باسم الدعاء في موسوعة زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

على أنه قام بزيارتهم، ثم يقرأ كلمات الوداع لذلك الإمام.

ثالثاً: أن عبارة (السلام عليك يا أمير المؤمنين)، الواردة في الزيارة، مع ثبوت الدعوة إلى الزيارة بنصها لجميع الأئمة من جهة، ومع ثبوت اختصاص اللقب بالإمام علي عليه السلام من جهة أخرى، فيمكن التصرّف بتغيير العبارة هذه فقط، وذكر اسم الإمام الذي يزوره.

إذا راجعنا نصوص الزيارة الواردة في كتب الحديث، سنكتشف أن بعضها ابتدأت بأول عبارة فيها بـ (السلام عليك يا أمير المؤمنين)، كما في كامل الزيارات[١]، وكتاب إقبال الأعمال[٢]، وكتاب فرحة الغري[٣]، إلا أن بعض الكتب لم تذكر هذه العبارة في أول الزيارة، واكتفت بها في داخلها، أي بعد كلمة (وحجته على عباده)، مثل المزار الكبير[٤]، وكتاب مصباح المتهجد[٥]، ورواها عنه الحر العاملي في الوسائل.

بل إن العلامة المجلسي في كتاب بحار الأنوار، ذكر الزيارة من دون (السلام عليك يا أمير المؤمنين) واكتفى بـ (السلام عليك يا مولاي)[٦].

وقد ذكرها المجلسي أيضاً في زاد المعاد في قسم زيارات أمير المؤمنين مع التسليم بإمرة المؤمنين، وعندما ذكرها ضمن الزيارات المطلقة ذكر محلها عبارة

(١) كامل الزيارات: ص٣٩.

(٢) إقبال الأعمال، علي بن موسى بن طاووس (ت٦٦٤هـ): ج١، ص٤٧٠.

(٣) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النجف، عبد الكريم بن أحمد بن طاووس (ت٦٩٣هـ): ص٤٠.

(٤) المزار الكبير، محمد بن جعفر ابن المشهدي (ت٦١٠هـ): ص٢٨٢.

(٥) مصباح المتهجد، وسلام المتعبد، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ): ج٢، ص٧٣٨.

(٦) بحار الأنوار: ج٩٩، ص١٧٧.

(السـلام عليـك يا مـولاي)[1].

ويبدو أن ذلك إما هو وارد عن أهل البيت عليهم السلام بعبارة (يا مولاي)، أو هو مما كان دأب العلماء في الجمع بين الروايات، بحيث يتصرّفون ضمن توجيهات الرواية، فالرواية التي دلّت على استحباب زيارة جميع الأئمة بهذا النص، كأنها تدعو إلى وضع اسم الإمام ضمن موضع الاسم الذي اختص به الإمام علي عليه السلام، فعند زيارة الإمام الرضا عليه السلام بزيارة أمين الله يقول الزائر: (السلام عليك يا أبا الحسن يا علي بن موسى الرضا)، وعندما يزور بها الإمام الحسن عليه السلام في البقيع، يقول (السلام عليك يا أبا محمد الحسن بن علي بن أبي طالب)، وهكذا جميع الأئمة.

وهذا النوع من التصرّف مما شهدت له بعض الروايات، ففي كامل الزيارات يروي رواية مطلقة لجميع المعصومين، ثم يذكر الإمام النموذج الأول باسم رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يوضّح لنا أنك إن زرت أمير المؤمنين بهذه الزيارة فعليك أن تتصرف بتغيير ما يلزم، فيتبدّل اسم النبي إلى اسم أمير المؤمنين عليه السلام وهكذا في السيدة فاطمة الزهراء عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام، ولكن مع المحافظة على انتسابهم للرسول لينتهي الاسم بكلمة (رسولك) لكي يستقيم الكلام بعد الاسم. وننقل جزءاً من هذه الرواية لتأكيد المعنى.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهَّ عليه السلام قَالَ: «**تَقُولُ إِذَا أَتَيْتَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام ويُجْزِيكَ عِنْدَ قَبْرِ كُلِّ إِمَامٍ عليه السلام: السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنَ اللهَّ والسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِ اللهَّ عَلَى رُسُلِهِ وعَزَائِمِ أَمْرِهِ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ والْفَاتِحِ لِمَا اسْتَقْبَلَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ**

(١) زاد المعاد، للعلامة المجلسي: ص٥١٢.

عَبْدِكَ ورَسُولِكَ الَّذِي انْتَجَبْتَهُ بِعِلْمِكَ وجَعَلْتَهُ هَادِياً لِمَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ والدَّلِيلَ عَلَى مَنْ بَعَثْتَ بِرِسَالاتِكَ وكُتُبِكَ ودَيَّانَ الدِّينِ بِعَدْلِكَ وفَصْلَ قَضَائِكَ بَيْنَ خَلْقِكَ والْمُهَيْمِنَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ والسَّلَامُ عَلَيْهِ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ».

وتَقُولُ فِي زِيَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، عَبْدِكَ وأَخِي رَسُولِكَ، إِلَى آخِرِهِ**»، وفِي زِيَارَةِ فَاطِمَةَ: «**أَمَتِكَ وبِنْتِ رَسُولِكَ**»، وفِي سَائِرِ الْأَئِمَّةِ: «**أَبْنَاءِ رَسُولِكَ عَلَى مَا قُلْتَ فِي النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى صَاحِبِكَ**». ثُمَّ تَقُولُ «**أَشْهَدُ أَنَّكُمْ كَلِمَةُ التَّقْوَى وبَابُ الْهُدَى...**»، إلى آخر الزيارة[١].

ولقد ذكر بعض العلماء زيارة أمين الله في مصنفاتهم ضمن الزيارات المطلقة التي يزار بها كل إمام، ومنهم الحر العاملي، في هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، ذكرها تحت عنوان: (يستحبّ زيارة كلّ واحد منهم عليهم السّلام بالزيارة المأثورة الخاصّة أو الجامعة)[٢].

وصنّفها العلامة المجلسي في بحار الأنوار ضمن الزيارات المطلقة[٣].

وقد ذكر المحقق البروجردي في جامع أحاديث الشيعة نفس الزيارة، وعدّها من الزيارات للمعصومين التي تجزي في المواضع كلها[٤].

---

(١) كامل الزيارات: ص٥٢٤.

(٢) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، الحر العاملي: ج٥، ص٤٥٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٩٩، ص١٧٧.

(٤) جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ج١٥، ص١١٩.

زيارة أمين الله لكل الأئمة

فيمكن للزائر أن يزور بنص هذه الزيارة العظيمة في كل المشاهد الشريفة، للأئمة عليهم السلام؛ لأنهم نور واحد وحقيقة واحدة من حيث مقام الحجية والشهود على العباد، فالزيارة تصف في أولها الإمام بأوصاف أساسية منطبقة على جميع المعصومين عليهم السلام، بل إن تلك المواصفات هي دعائم إيمان كل مؤمن بهم وكل معترف بحقهم عليهم السلام ومقامهم.

وقد وردت عدة روايات في تساوي فضلهم في مقام الحجية والأمر، ما يستلزم تساوي زياراتهم عليهم السلام[1] من هذه الجهة، فمن زار أحدهم فكأنما زار الآخر، فقد جاء عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْكَاظِمِ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: أَيُّمَا أَفْضَلُ، زِيَارَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، أَوْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، أَوْ لِفُلَانٍ [فُلَانٍ] وَفُلَانٍ، وَسَمَّيْتُ الْأَئِمَّةَ وَاحِداً وَاحِداً؟ فَقَالَ لِي: «**يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، مَنْ زَارَ أَوَّلَنَا فَقَدْ زَارَ آخِرَنَا، وَمَنْ زَارَ آخِرَنَا فَقَدْ زَارَ أَوَّلَنَا، وَمَنْ تَوَلَّى أَوَّلَنَا فَقَدْ تَوَلَّى آخِرَنَا، وَمَنْ تَوَلَّى آخِرَنَا، فَقَدْ تَوَلَّى أَوَّلَنَا، وَمَنْ قَضَى حَاجَةً لِأَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِنَا، فَكَأَنَّمَا قَضَاهَا لِأَجْمَعِنَا، يَاعَبْدَ الرَّحْمَنِ، أَحِبَّنَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّنَا، وَأَحِبَّ فِينَا، وَأَحْبِبْ لَنَا، وَتَوَلَّنَا وَتَوَلَّ مَنْ يَتَوَلَّانَا، وَأَبْغِضْ مَنْ يُبْغِضُنَا، أَلَا وَإِنَّ الرَّادَّ عَلَيْنَا كَالرَّادِّ عَلَى رَسُولِ اللهِ جَدِّنَا، وَمَنْ رَدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ** صلى الله عليه وآله، **فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللهِ، أَلَا يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَمَنْ أَبْغَضَنَا فَقَدْ أَبْغَضَ مُحَمَّداً، وَمَنْ أَبْغَضَ مُحَمَّداً، فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ، وَمَنْ أَبْغَضَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُصْلِيَهُ**

---

(١) هذا في جانب مقام كونه حجة على العباد فهي متساوية، ولا ينافي الروايات التي وردت عن التفاضل بينهم عليهم السلام كأشخاص وعمل، ولا ينافي الروايات التي وردت في التفاضل من جهة الخصائص.

النَّارَ، وَمَا لَهُ مِنْ نَصِيرٍ»[1].

ولذا فإن الرواية التي تدعو إلى زيارة جميع الأئمة بزيارة أمين الله، فكأنها تقول:

إذا زرت البقيع الغرقد وحضرت عند الإمام الحسن عليه السلام والإمام زين العابدين، والباقر والصادق عليهم السلام، فزرهم بزيارة أمين الله.

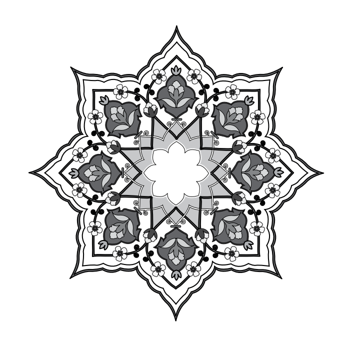
وإذا حضرت عند الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، فقف عنده زائراً بنص زيارة أمين الله.

وإذا توجّهت لزيارة الكاظميين في بغداد فخاطبهما بزيارة أمين الله.

وإذا يمّمت وجهك ناحية سامراء لزيارة العسكريين، فأتلو عندهما زائراً بزيارة أمين الله.

بل وإن تشرفت بزيارة الإمام الحسين عليه السلام ورغم زياراته العديدة، فزره أيضاً بزيارة أمين الله.

نسأل الله العلي القدير أن يكتبنا من زوارهم الدائمين في الدنيا، ومن شفعائهم في الآخرة، إنه سميع مجيب الدعاء.



(١) كامل الزيارات: ص٣٣٦.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، الأعلمي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.
٣. إقبال الأعمال، علي بن موسى بن طاووس، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط٢، ١٤٠٩هـ.
٤. إرشاد القلوب إلى الصواب، حسن بن محمد الديلمي، الشريف الرضي، قم، إيران، ط١، ١٤١٢هـ.
٥. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد المفيد، مؤتمر الشيخ المفيد، قم، إيران، ط١، ١٤١٣هـ.
٦. الإمام علي بن أبي طالب، من حبه عنوان الصحيفة، أحمد الرحماني الهمداني، دار الحوراء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٧. الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر، راجي أنور هيفا، دار العلوم، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
٨. الإمام علي من المهدي إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، دار القارئ، بيروت، لبنان، ط١٦، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٩. الأمالي للشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، كتابجي، طهران، إيران، ط٦، ١٤١٨هـ.
١٠. الأمالي للطوسي، محمد بن حسن الطوسي، دار الثقافة، قم، إيران، ط١، ١٤١٤هـ.
١١. الأمالي للمفيد، محمد بن محمد المفيد، مؤتمر الشيخ المفيد، قم، إيران، ط١، ١٤١٣هـ.
١٢. الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، نويد، طهران، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٣. التاريخ الإسلامي دروس وعبر، السيد محمد تقي المدرسي، مركز العصر للثقافة والنشر، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

١٤. التحقيق في كلمات القرآن، حسن المصطفوي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، إيران، ط١، ١٤١٠هـ.

١٥. التوحيد (للصدوق)، محمد بن علي بن بابويه، جماعة المدرسين، قم، إيران، ط١، ١٣٩٨هـ.

١٦. الجعفريات (الأشعثيات)، محمد بن محمد ابن الأشعث، مكتبة النينوى الحديثة، طهران، إيران، ط١.

١٧. الخرائج والجزائح، سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي، قم، إيران، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٨. الصحيفة السجادية، الإمام الرابع علي بن الحسين (ع)، نشر الهادي، قم، إيران، ط١، ١٤١٨هـ.

١٩. الغارات، إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي، دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٠. الفروق في اللغة، حسن بن عبد الله العسكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ.

٢١. الفضائل لابن شاذان، أبو الفضل شاذان ابن جبريل ابن شاذان القمي، الرضي، قم، إيران، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٢٢. الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط٤، ١٤٠٧هـ.

٢٣. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، دار الكتب الإسلامية، قم، إيران، ط٢، ١٣٧١هـ.

٢٤. المزار الكبير، محمد بن جعفر بن المشهدي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة

المدرسين بقم، قم، إيران، ط١، ١٤١٩هـ.
٢٥. المزار في كيفية زيارات النبي والأئمة (ع)، محمد بن مكي الشهيد الأول، مدرسة الإمام المهدي (عج)، قم، إيران، ط١، ١٤١٠هـ.
٢٦. المسترشد في إمام علي بن أبي طالب، محمد بن جرير بن رستم الطبري الآملي، كوشانبور، قم، إيران، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، مؤسسة دار الهجرة، قم، إيران، ط٢، ١٤١٤هـ.
٢٨. المصباح للكفعمي، جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية، إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي، دار الرضي، قم، إيران، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢٩. المقنعة، محمد بن محمد المفيد، مؤتمر الشيخ المفيد، قم، إيران، ط١، ١٤١٣هـ.
٣٠. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٣١. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، عماد الدين أبو جعفر محمد ابن أبي القاسم الطبري، المكتبة الحيدرية، النجف، العراق، ط٢، ١٣٨٢هـ.
٣٢. بصائر الدرجات في فضائل آل محمد، محمد بن حسن الصفار، مكتبة آية الله المرعشي، قم، إيران، ط٢، ١٤٠٤هـ.
٣٣. تاريخ الغيبة الكبرى، محمد الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٣٤. تحف العقول عن آل الرسول، الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط٦، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٣٥. تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، إيران، ط١، ١٤٠٧هـ.

٣٦. تفسير الصافي، محمد بن مرتضى، الفيض الكاشاني، مكتبة الصدر، طهران، إيران، ط٢، ١٤١٥هـ.
٣٧. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، دار الكتاب، قم، إيران، ط٣، ١٤٠٤هـ.
٣٨. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن حسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت (ع)، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.
٣٩. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن بابويه، دار الشريف الرضي، قم، إيران، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٤٠. جامع أحاديث الشيعة، حسين الطباطبائي البروجردي، منشورات فرهنك سبز، طهران، إيران، ط١، ١٤٢٨هـ.
٤١. دلائل الإمامة، محمد بن جرير بن رستم الطبري الآملي الصغير، البعثة، قم، إيران، ط١، ١٤١٣هـ.
٤٢. رجال الكشي، اختيار معرفة الرجال، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ط١، ١٤٢٧هـ.
٤٣. رجال النجاشي، أبي العباس أحمد بن علي النجاشي الأسدي الكوفي، تحقيق: محمد جواد النائيني، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٤٤. زاد المعاد (مفتاح الجنان)، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.
٤٥. زيارة الإمام الحسين، سماته الربانية وآثارها التربوية، السيد محمود الموسوي، مؤسسة أهل الكساء (ع)، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
٤٦. شرح الكافي، محمد صالح بن أحمد المازندراني، المكتبة الإسلامية، طهران، إيران، ط١، ١٤٢٤هـ.
٤٧. شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد، مكتبة المرعشي النجفي، قم، إيران، ط١، ١٤٠٤هـ.

٤٨. صداق الحور في شرح زيارة العاشور، السيد حسن الساروي المازندراني، ترجمة وتحقيق: أحمد بن حسين العبيدان الإحسلائي، مكتبة فدك لإحياء التراث، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠١٤م.
٤٩. عدة الداعي ونجاح الساعي، أحمد بن محمد بن فهد الحلي، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
٥٠. علل الشرائع، محمد بن علي بن بابويه، مكتبة داوري، قم، إيران، ط١، ١٤٢٧هـ.
٥١. عيون المواعظ والحكم، علي بن محمد الليثي الواسطي، دار الحديث، قم، إيران، ط١، ١٤١٨هـ.
٥٢. فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، منشورات الرضي، قم، إيران، ط١.
٥٣. كامل الزيارات، أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، دار المرتضى، النجف، العراق، ط١، ١٣٩٧هـ.
٥٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار الفكر للطاعة/ دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ.
٥٥. مجمع البحرين، فخر الدين بن محمد الطريحي، المرتضوي، طهران، إيران، ط٣، ١٤١٧هـ.
٥٦. مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها، علي بن جعفر العريضي، مؤسسة آل البيت (ع)، قم، إيران، ط١، ١٤٠٩هـ.
٥٧. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، حسين بن محمد تقي النوري، مؤسسة آل البيت (ع)، قم، إيران، ط١، ١٤٠٨هـ.
٥٨. مشكاة الأنوار في درر الأخبار، علي بن الحسن الطبرسي، المكتبة الحيدرية، النجف، العراق، ط٢، ١٣٨٥هـ.
٥٩. مصباح المتهجد وسلام المتعبد، محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ.

٦٠. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، مؤسسة الإمام الخوئي، النجف، العراق، ط٥.

٦١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مكتبة الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٤هـ.

٦٢. مفاتيح الجنان، الحاج الشيخ عباس القمي، تعريب: السيد محمد رضا النوري النجفي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٩، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٦٣. مكاتيب الأئمة، علي أحمدي ميانجي، دار الحديث، قم، إيران، ط١، ١٤٢٦هـ.

٦٤. مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي، الشريف الرضي، قم، إيران، ط٤، ١٤١٢هـ.

٦٥. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر اشوب المازندراني، علامة، قم، إيران، ط١، ١٤٢١هـ.

٦٦. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ط٢، ١٤١٣هـ.

٦٧. من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، دار القارئ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٦٨. موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي، الشيخ باقر شريف القرشي، مؤسسة الكوثر، ط١، ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م.

٦٩. موسوعة الإمام علي صوت العدال الإنسانية، جورج جرداق، الدار العالمية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٧٠. نهج البلاغة، الشريف الرضي، تعليق: صبحي الصالح، الهجرة، قم، إيران، ط١، ١٤١٤هـ.

٧١. هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، الروضة الرضوية، قسم البحوث، مشهد، إيران، ط١، ١٤١٤هـ.

المحتويات